الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–

كلية أصول الدين
الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل: .....

قسم: الدعوة الإعلام والاتصال
تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

منهجيات الإصلاح من خلال سورة غـــــافر
–دراسة تحليلية–

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

إعداد الطالبة:
خديجة طابتي

إشراف الأستاذة:
د. وحيدة بوفدح بديسي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
أ.د زكية منزل غرابة	أستاذ	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة
د. وحيدة بوفدح بديسي	أستاذ محاضر–أ	مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة
أ.د عبد الغاني عيساوي	أستاذ	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة
أ.د نورة بن حسن	أستاذ	عضوا	جامعة الحاج لخضر – باتنة 01
د. عبد الباسط دردور	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الحاج لخضر – باتنة 01
د. نبيل صوالح محمد	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الشهيد حمة الأخضر – الوادي

السنة الجامعية: 1447–1448هـ/ 2025–2026م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى سيد المصلحين وإمام المتقين، إلى من أرسل رحمة للعالمين -نبينا محمد صلى الله عليه وسلم- نسأل الله أن يكون هذا العمل قطرة في بحر دعوتك، وننال به شفاعتك.

إلى من غيبه الثرى، ولم تغب سيرته من قلبي ووصاياه من ذهني إليك يا أبي -رحمك الله وجعل قبرك روضة من رياض الجنة-

إلى سيدة الدعاء والرجاء، إلى من غرست في قلبي نور الإيمان وزرعت في دربي بذور الصبر، إليك يا أمي أجر السهر ومقام البر ودعاء العمر.

إلى رفيق الدرب، إلى سندي في لحظات التعب واليأس، إليك يا زوجي الغالي ثمرة صبرك واحتوائك و إيمانك.

إلى فلذات كبدي ونور عيني: إليك يا شفيعتي يوم القيامة "عصماء " وإلى من جعلوا للأمل معنى وللكفاح سبب "رقية وغفران وأحمد ياسين" أسأل الله أن يجعل لكم نصيبا من بركة هذا العمل المتعلق بكتاب الله، فتكونوا من الحفظة لآياته العاملين به.

إلى كل أفراد عائلتي "طابتي" وعائلة زوجي "لكبير" وخاصة حماتي الطيبة -رحمها الله- أحمل لكم جميعا في قلبي عرفانا ودعاءا.

إلى أهل غزة، أهل الثبات والصبر والرباط، إليكم يا من تجددون في الأمة معنى العزة والكرامة، وتعلموننا كيف يكون السعي والصبر والاحتساب.

لكم جميعا من القلب دعاء لا ينقطع.

شكر وتقدير

انطلاقا من قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: 7)

أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه وفضله وكرمه، فلولاه ما كان لهذا العمل

أن يتم.

كما أتقدم بأصدق عبارات الشكر والامتنان إلى أستاذتي الفاضلة: "د. وحيدة بوفدح بديسي" لما قدمته من توجيه سديد، ودعم مستمر، ومجهودات قيمة ساهمت بشكل كبير في إنجاز هذه الأطروحة، فجزاها الله عني خير الجزاء.

وأخيرا أتوجه بالتقدير والاحترام لجامعتي الموقرة "جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- فقد كانت الصرح الأكاديمي العريق الذي شكل رحلتي العلمية وصاغ معرفتي وهيأ لي أجواء أكاديمية محفزة ومميزة.

مقدمة

مقدّمة:

الحمد لله غافر الذنب، وقـابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لا إله إلا هو، إليه المرجع والمصير، مصير الدنيا والآخرة، حيث تقام موازين العدل الإلهي، "فـمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقـــال ذرة شرا يره".

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الخلق المبعوث رحمة للعالمين، الذي أرسله الله ليخرج الناس من ظلمات الجهل والفساد إلى نور الإيمان والإصلاح، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

شهدت البشرية على مر العصور مظاهر متكررة من الفساد في الأرض، سواء في بنيانها العقدي، أو نظمها الاجتماعية، أو مساراتها السياسية والثقافية، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة بقوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ (سورة الروم **الآية 41**) لتكون تنبيها ربانيا دائما إلى أن مظاهر الخلل والاضطراب هي نتاج مباشر لانحراف الإنسان عن منهج الله، وأن الحاجة إلى الإصلاح تظل مستمرة ومتجددة، ما دام الفساد يتجدد في صور وأشكال شتى.

ومن هنا، برز الإصلاح كفريضة قرآنية متجذرة في الرسالة الإلهية، ومهمة حملها الأنبياء والرسل، ثم ورثها العلماء والدعاة والمصلحون في كل زمان. غير أن الإصلاح لا ينبغي أن يفهم بوصفه مجرد حماس أو نشاط عفوي، بل هو عملية دقيقة تتطلب رؤية واضحة ومنهجا سليما وفهما عميقا للنصوص، ووعيا بسنن التغيير، ذلك أن التحرك الإصلاحي الغير مؤسس على وعي ومنهجية قد يفضي إلى مفاقمة الأزمات بدل معالجتها، وقد يخلط بين الوسائل والمقاصد، أو بين الثوابت والمتغيرات.

في هذا السياق، يمثل القرآن الكريم المصدر الأسمى للهداية في مسارات الإصلاح، إذ لم يكتف بتشخيص أسقام المجتمعات، بل قدم منهجا ربانيا متكاملا للتغيير والإصلاح، يجمع بين إصلاح النفس، وتقويم السلوك وتزكية العقيدة، وإقامة العدل، والدعوة بالحكمة ومجابهة الاستبداد والفساد.

وتتجلى هذه المنهجية الإصلاحية في كثير من سور القرآن الكريم، ومن أبرزها "سورة غافر" التي تزخر بإشارات عميقة وتوجيهات دقيقة تعنى ببناء الذات وتعزيز الموقف الرسالي، وفضح آليات الاستكبار، وتثبيت المصلحين في ميدان المواجهة.

وعلى ضوء ذلك، تأتي هذه الدراسة تحت عنوان: " **منهجيات الإصلاح من خلال سورة غافر –**

دراسة تحليلية–" لتسلط الضوء على ملامح المنهج الإصلاحي في هذه السورة، وإلى استخلاص المنهجيات الكامنة في النص القرآني، ولتبرز أيضا فعالية من يتحرك وفق منهجية صحيحة مستمدة من الوحي، عكس من يتبع الأهواء التي تؤدي إلى نتائج منقوصة أو خاطئة.

وقد جاءت هذه الدراسة موزعة على خمسة فصول رئيسية، تناول كل منها جانبا محددا من موضوع منهجيات الإصلاح كما ورد في سورة غافر وفق مقاربة تحليلية منهجية.

ويستعرض **الفصل الأول** الإطار المفاهيمي للدراسة، حيث تم التطرق إلى تعريف المصطلحات الأساسية: المنهجية، الإصلاح، ومنهجية الإصلاح مع التركيز على دلالتها في السياق القرآني، كما ناقش هذا الفصل أهمية التعرف على منهجيات الإصلاح المستمدة من القرآن الكريم، وضرورة تبنيها وتفعيلها في المشاريع الإصلاحية المعاصرة، وتناول الفصل كذلك كيفية استنباط هذه المنهجيات بالاستناد إلى محددات منهجية في التعامل مع النص القرآني، وفضلا عن الشروط المطلوبة في المصلح نفسه، والتي تعد ضرورية لتوفيقه في فهم هذه المنهجيات والعمل بها.

وفي امتداد للطرح النظري، جاء **الفصل الثاني**، المخصص لدراسة أنواع الإصلاح الواردة في السورة، وتحليل الأبعاد المتصلة بالعملية الإصلاحية من حيث طبيعتها وسياقاتها المختلفة.

ثم جاء في **الفصل الثالث** تحليل منهجيات الإصلاح الذاتي التربوي، باعتبارها منهجيات فردية تطبيقية تهدف إلى إحداث تحول في ذات الإنسان، تنقله من حال الضلال والظلمة إلى حال الانشراح والنور والخير وذلك من خلال بناء داخلي واع يرتكز على القيم القرآنية.

ثم يتناول **الفصل الرابع** منهجيات الإصلاح الدعوي والرسالي، أي الإصلاح الذي ينهض به فرد أو جماعة أو مؤسسة، بهدف إحداث تغيير إيجابي على المستوى الجمعي، انطلاقا من رؤية دعوية مستمدة من المنهج القرآني.

أما **الفصل الخامس والأخير**، فقد عالج منهجية الإصلاح الإلهي، مبينا كيف أن الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان –خليفته في الأرض– يواجه وحده تحديات النفس، ووساوس وأساليب الشيطان، ومظاهر الجهل، بل أمده بهدي إلهي متكامل، يرسم له طريق الإصلاح، ويهديه إلى سواء السبيل، ويعينه على القيام بمهمته الاستخلافية على الوجه الأكمل.

هذه هي مضامين هذه الدراسة، وقد اعتمدت فيها الباحثة على مختلف المصادر والمراجع المتخصصة ذات الصلة، إلى جانب استشارة أهل العلم فيما توصلت إليه من منهجيات، فإن وفقت فمن الله الذي يمن على عباده إذا ما جدوا وأقبلوا وتدبروا، أما إن أخطأت فحسبها أنها اجتهدت وسعت، لإيمانها أن احجام الباحث عن تدبر القرآن خشية الوقوع في الخطأ فهو في ذاته خطأ أعظم، فالقرآن أنزل على الناس ليهديهم إلى التي هي أقوم في كل شيء، والإعراض عن فهمه وتدبره لا يستدرك إلا بالاجتهاد المنضبط بأدوات الفهم السليم، وإن تبين أن هناك خطأ فهو حتما غير مقصود والباحثة تتراجع عنه.

1- إشكالية البحث:

يسعى المصلحون في كل زمان ومكان إلى إزالة الفساد ورد الأمور إلى نصابها من خلال ترسيخ قيم الصلاح والاعتدال، غير أن هذا المسعى الإصلاحي لا يمكن أن يؤتي ثماره إلا في إطار رؤية منهجية واضحة، تقوم على أسس معرفية دقيقة، وخطوات مدروسة تراعي الواقع وتستجيب لتحدياته.

وهذه المنهجية الإصلاحية المطلوبة متضمنة في الوحي الإلهي، حيث اشتمل القرآن الكريم على قواعد إصلاحية شاملة، ونماذج حية وأساليب منهجية دقيقة في الإصلاح، تستهدف تقويم الفرد والمجتمع ضمن تصور متكامل يوازن بين المثالية والواقعية.

وتأتي سورة غافر بوصفها نموذجا قرآنيا غنيا بالمضامين الإصلاحية، حيث عالجت أنماطا من الفساد العقدي والاجتماعي والسياسي، وقدمت من خلال قصة موسى عليه السلام ومؤمن آل فرعون وغيرهما معالم واضحة لخطاب دعوي إصلاحي، يراعي الفروق النفسية والاجتماعية بين المدعوين ويعتمد أساليب متعددة.

ومن هنا تبرز الإشكالية المركزية لهذا البحث:

ما المنهجيات الإصلاحية المتضمنة في سورة غافر التي يمكن أن تشكّل أساسا لبناء تصور إصلاحي متكامل يستجيب لتحديات الواقع المعاصر؟

2- أسئلة البحث الفرعية:

وللإجابة على هذا السؤال، يستوجب البحث الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما المقصود بمنهجية الإصلاح في السياق اللغوي والاصطلاحي والقرآني؟
2. ما أهمية معرفة منهجية القرآن في الإصلاح، وما الحاجة المعاصرة إليها؟
3. ما أبرز خصائص منهجيات القرآن في الإصلاح من حيث الأهداف والوسائل والمجالات؟
4. ما المنهجيات التربوية للإصلاح الذاتي التي تقدمها سورة غافر؟
5. ما المنهجيات الدعوية والرسالية التي اعتمدتها سورة غافر في معالجة الانحراف والفساد؟
6. ما المنهجيات الربانية التي اختص بها الله عباده في إصلاح أحوالهم من خلال سورة غافر؟

3- أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختيار الباحثة على موضوع "**منهجيات الإصلاح من خلال سورة غافر – دراسة تحليلية** " بعد الاستخارة والاستشارة، استجابة لجملة من **الدوافع العلمية والدعوية والواقعية**، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. الشعور بالحاجة الملحة إلى **استمداد منهج الإصلاح من مرجعية الوحي**، في ظل تعدد الطروحات الفكرية الوافدة، وتشتت الخطاب الإصلاحي المعاصر.
2. إدراك **المكانة المحورية للإصلاح في الخطاب القرآني**؛ باعتباره مقصدا أساسيا في البناء والاستخلاف وفق المنظور السنني الإلهي.
3. ما تزخر به **سورة غافر** من مضامين إصلاحية ثرية، تجمع بين الأبعاد العقدية والدعوية والاجتماعية، مما يجعلها نموذجا تطبيقيا مميزا للدراسة التحليلية.
4. الرغبة في **توجيه الخطاب الدعوي المعاصر** نحو مرجعية قرآنية واضحة، تحصّنه من الارتجال والتبعية المنهجية الوافدة.
5. السعي إلى **إحياء الوعي القرآني الإصلاحي** في مواجهة ظاهرة استبدال النماذج الغربية بالمرجعية الإسلامية.
6. الطموح إلى **ربط العقل المسلم المنتج معرفيا بالقرآن الكريم**، وتحفيزه على التفاعل الواعي مع نصوص الوحي، واستنباط منهجيات إصلاحية من داخله.

4- أهمّية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا البحث في **عدة مستويات علمية ومعرفية ودعوية**، من أبرزها:

-**الأهمية العلمية**: تتمثل الأهمية العلمية لهذا البحث في معالجته لمفهوم الإصلاح من منظور قرآني تحليلي، يجمع بين التفسير الموضوعي والمنهجية الاستنباطية، في ضوء سورة غافر. فالقرآن الكريم قدّم رؤية كلية للإصلاح تقوم على التكامل بين العقيدة والسلوك والمجتمع، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى إبرازه من خلال تحليل النص القرآني، واستنباط منهجياته في الإصلاح.

كما يثري البحث حقل الدراسات القرآنية المعاصرة بإسهام نوعي يجمع بين البعد المفاهيمي والبعد التطبيقي، ويؤسس لقراءة علمية أصيلة للمفاهيم القرآنية تتجاوز الطرح الوعظي إلى التحليل المنهجي الرصين.

-**الأهمية العملية**: تنبع الأهمية العملية لهذا البحث من محاولة الباحثة تقديم نموذج تطبيقي لكيفية استنباط المنهجيات الإصلاحية من الوحي، بما يسمح بربط النظرية القرآنية بالواقع المعيش. فواقع الأمة اليوم يشهد تنوعا في المشاريع الإصلاحية وتعددا في المرجعيات، مما يستدعي العودة إلى المنهج الرباني بوصفه أساسا لبناء نماذج إصلاحية واقعية، تستجيب للتحديات المعاصرة. ومن شأن هذا البحث أن يمدّ المشتغلين في مجالات الفكر والتربية والاجتماع بأطر منهجية مستمدة من القرآن الكريم، يمكن الإفادة منها في صياغة استراتيجيات إصلاحية متوازنة وشاملة.

-**الأهمية الدعوية**: وتتجلى في كون الدراسة تسهم في توجيه الخطاب الدعوي والإصلاحي المعاصر نحو مرجعية قرآنية واضحة، تعيد بناء الخطاب على أسس شرعية متينة، وتجنبه الارتجال والتقليد للمناهج الوافدة. فاستحضار المنهج الإصلاحي القرآني كما تجلّى في سورة غافر يساعد الدعاة والمربين على فهم السنن الربانية في التغيير والإصلاح، ويحفّز العقل المسلم على التفاعل الواعي مع نصوص الوحي، واستلهام مقاصده في خدمة قضايا الأمة. ومن ثمّ، يشكل البحث لبنة في مشروع تجديدي يسعى إلى إعادة ربط العمل الدعوي بمصادره الأصيلة، وتعزيز فاعلية الإصلاح القرآني في الواقع الاجتماعي والفكري.

5- أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والعملية، أبرزها:

1. **تأصيل مفهوم منهجية الإصلاح** في ضوء التصور القرآني، وبيان أبعاده النظرية والعملية.
2. **تحليل محتوى سورة غافر** لاستخراج المنهجيات الإصلاحية الواردة فيها على المستويين الذاتي والمجتمعي.
3. **تقويم الخطاب الإصلاحي المعاصر** في ضوء المرجعية القرآنية، والكشف عن أوجه القصور الناتجة عن الابتعاد عن المنهج الرباني.
4. **تقديم نموذج تطبيقي** لاستنباط المنهجيات الإصلاحية من النص القرآني.
5. **ربط مسارات الإصلاح المعاصر بالهدي القرآني**، وإبراز دور الوحي في بناء المصلحين وتوجيه الجهود الدعوية والفكرية.

6- الدّراسات السابقة:

شهدت الساحة الأكاديمية عددا من الدراسات التي تناولت موضوع الإصلاح في القرآن الكريم من زوايا متعددة، سواء من خلال التأصيل النظري لمفهوم الإصلاح، أو بتحليل الآيات المتعلقة به، أو بدراسة منهجيات الأنبياء في الإصلاح، أو من خلال رصد المضامين الدعوية والتربوية لبعض السور، لاسيما سورة غافر.

ويمكن تقسيم هذه الدراسات السابقة إلى قسمين:

القسم الأول: تنقسم الدراسات السابقة بحسب مجالها وارتباطها بموضوع البحث إلى ثلاثة أقسام:

- الدراسات التي تناولت الإصلاح في القرآن الكريم عموما.
- الدراسات المتعلقة بسورة غافر.
- الدراسات ذات الطابع التربوي الدعوي المتصل بمنهج الإصلاح.

القسم الثاني: يتضمن الدراسات المتعلقة بمنهجيات الإصلاح من خلال سورة من سور القرآن الكريم،

والذي بزغ وبرع فيه الدكتور صلاح الدين سلطان[*] بعد نشر كتابه الذي لاقى اهتماما كبيرا في الوسط الفكري والدعوي وهو كتاب "**سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير**.

والقارئ لهذا الكتاب يجد نفسه أمام فتح رباني حظي به الدكتور سلطان، حيث أن استنباط تلك المنهجيات وعرضها بتلك الصورة الممزوجة بالنص والواقع قد جعلت من القارئ يشعر بأنه يقرأ سورة الكهف لأول مرة. وذلك ما ذكره الدكتور في كتابه حيث قال: " لقد لامست سورة الكهف كل جمعة شغاف قلبي، وحبات عقلي، وذرات جسمي، وهمت بها، فأعطاني الله فيها من عمق التدبر العقلي وشدة التأثير القلبي ما جعلني أشعر أنها جزء من منظومة فكري ومنهاج حياتي، وقد هداني الله فيها إلى منهجيات كلما حدثت فيها أحدا من الدعاة والعلماء والأخوة والأخوات قالوا كأننا نقرأ هذه السورة لأول مرة وفق هذه المنهجيات".[1]

- **سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير**، للدكتور: صلاح الدين سلطان، وهي دراسة تأصيلية تطبيقية.

تناولت هذه الدراسة منهجيات الإصلاح في سورة الكهف، مركزة على النماذج الأربعة (أصحاب الكهف، صاحب الجنتين، موسى والخضر، ذو القرنين) كأنماط من التغيير والإصلاح على المستوى العقدي والمعرفي والاجتماعي والسياسي.

_ **أوجه الاختلاف**: أنها تتعلق بدراسة سورة الكهف التي تحمل خصائص إصلاحية متفردة، وهذا البحث يعالج سورة غافر بالتحليل كحالة مستقلة ومتكاملة في مجال الإصلاح.

_ **أوجه الاستفادة**: استفادت الباحثة كثيرا من هذه الدراسة في كل المجالات وخاصة في الجانب المنهجي.

_ **الدراسات الأخرى**:

---

[*] – صلاح الدين عبد الحميد سلطان من مواليد 20 أغسطس 1959م، وهو عالم وداعية مصري، وعضو في الإتحاد العالمي للعلماء المسلمين، شغل عدة مناصب منها المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية _مملكة البحرين– وأستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم –جامعة القاهرة– ورئيس الجامعة الإسلامية الأمريكية –ميتشيغن–سابقا، وله عدة مؤلفات وفتاوى تهم بشكل خاص المسلمين المقيمين في الغرب. اعتقل عقب الإنقلاب العسكري في مصر عام 2013، ولا يزال رهن الاعتقال إلى اليوم –فك الله بالعز أسره–.

[1]– صلاح سلطان: سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير، دار سلطان للنشر، القاهرة، ط1، 1429–2008م، ص 19.

بعد صدور كتاب: "سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير " تبنت الجامعة الإسلامية بغزة هذا المشروع، فقام الطلبة بإعداد الرسائل حول منهجيات الإصلاح والتغيير في سور القرآن الكريم، وقد أنجزت الكثير من الدراسات لكل السور تقريبا ومن بينها دراسة حول سورة غافر التي يختص بها هذا البحث والمعنونة بـ:

"منهجيات الإصلاح والتغيير في سور الزمر – غافر – فصلت": للطالب محمد أحمد يحي، إشراف الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، غزة.

إشكالية الدراسة: ما هي منهجيات الإصلاح والتغيير من خلال سور الزمر، غافر، وفصلت؟

منهج الدراسة: لقد اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي حسب منهجية التفسير الموضوعي

أوجه التشابه والاختلاف بين الدراستين:

أولا: أوجه التشابه

تشترك الدراستان في "سورة غافر" بالدراسة والتحليل، حيث حاولت الباحثة والباحث أيضا استنباط منهجيات الإصلاح الواردة في سورة غافر، وقد توصلتا إلى نفس مجالات الإصلاح وهي: العقيدة، الدعوة والأخلاق.

وهذا راجع إلى كون السورة مكية، والقرآن المكي يتعلق خطابه بالإصلاح العقدي والأخلاقي وبالجانب الدعوي.

كما عنيت كلا الدراستين بالبحث في موضوع الإصلاح والتعريف بالسورة الكريمة من حيث التسمية والفضل وأسباب النزول والمناسبات وكل ما يتعلق بالسورة، وبالرغم من أن هذه الدراسة نوقشت أولا إلا أن الباحثة التزمت بأخلاق طالب العلم ولم تنقل من الدراسة ما يتعلق بتفاصيل السورة.

ثانيا: أوجه الاختلاف

تختلف هذه الدراسة عن سابقتها في أمور كثيرة، بداية من الفصل الأول الذي يتعلق بالمنهجية القرآنية فهذا الموضوع لم يتطرق إليه الباحث _ كما لم يتطرق إليه الآخرون_ بالدراسة بالرغم من أن الجانب المنهجي للإصلاح من خلال القرآن هو محور الدراسة.

أوجه الإفادة من الدراسات السابقة بصفة عامة:

يتبين من خلال دراسة ومراجعة هذه الدراسات أنها ساهمت جميعا في تأسيس الأرضية النظرية لموضوع الإصلاح في القرآن الكريم، وسلطت الضوء على بعض أبعاده الدعوية والتربوية، غير أنها لم تفرد سورة غافر بدراسة تحليلية متخصصة في منهجيات الإصلاح كما هو الحال في هذه الأطروحة، مما يبرز قيمة هذا البحث وأصالته بوصفه يتناول السورة من زاوية منهجية تحليلية تعنى بجوانب الإصلاح الذاتي والدعوي والرباني.

7- **منهج البحث:**

اعتمدت هذه الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي** باعتبار أن هذه الدراسة تحليلية.

ويعرف التحليل بأنه: "محاولة للتعرف على معنى مضمون المتن (النص) الذي يتضح من خلال السياق، حيث يضمر المتن بداخله أكثر من هدف ومعنى، كما له المرجعية والمصادر التي يشتق منها مواقفه، وتوجهاته، كما يتطلب تحليل الخطاب استرجاع الظروف التي أدت إلى انتاجه، فبذلك يطبق التحليل على كل أنواع الخطاب بغرض التوصل إلى تحليل ما هو مبهم، والبحث خلف السطور في الخطاب المكتوب، وعملية تحديد المعنى لا تتكون من القراءة الأولى والمباشرة للخطاب بل بالقراءات المتعددة للمتن".[1]

وقد اعتمدت الباحثة هذا المنهج في الوقوف عند الآيات القرآنية في سورة غافر ذات الصلة بالإصلاح، ثم وصف دلالتها العامة وتحليل مضامينها واستنباط المنهجيات الإصلاحية المضمنة فيها.

كما تم توظيف **المنهج الاستنباطي** في الكشف عن القواعد والأسس الإصلاحية، من خلال تتبع

[1]- أحمد أوزي: تحليل المضمون ومنهجية البحث، الشركة المغربية للطباعة، المغرب، ط1، 1993م، ص 14.

السياق القرآني وتحليل البناء التركيبي والدلالي للنص، وقد عرف الاستنباط بأنه "العمل على فقه النص من أجل الوصول إلى الحكم الذي يدل عليه، وهو اجتهاد ضمن دائرة هذا النص الموجود، على هدي الحدود الشرعية واللغوية التي رسمها العلماء ومقاصد الشريعة"[1].

وقد استعنا أيضا ببعض **أدوات المنهج الموضوعي في التفسير**، باعتبار أن الدراسة تتمحور حول موضوع محدد (الإصلاح) في إطار سورة واحدة، مما استدعى تتبع الآيات ذات الصلة بالموضوع، وجمعها، وتحليلها وربط بعضها ببعض لبناء رؤية منهجية متكاملة.

8- المنهجية المتبعة في البحث:

ـ الالتزام التّام بعزو الآيات القرآنية الواردة ببيان اسم السّورة ورقم الآية، بجانب الآية في المتن.

ـ تخريج الأحاديث النبويّة الشريفة الواردة في المذكرة، وحسبُنا في ذلك الصّحيحين إن وجد الحديث فيهما وإلا خرّجته من كتب الحديث المشهورة بعد الصّحيحين.

ـ الترجمة الموجزة لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في متن الرّسالة.

ـ شرح غريب الحديث، الوارد في البحث، وشكل الكلمات الغامضة.

ـ نسبة الأقوال إلى أصحابها وتَحرّي الأمانة العلمية في ذلك، بالرّجوع إلى المصادر المعتمدة لنقل قول كلّ قائل من كتابه وتوثيق ذلك في الهامش، وِفْق المنهجية العلمية المتداولة.

ـ وضعنا فهارس علمية في آخر الرّسالة بغية تيسير العصيّ، وتسهيل الوصول إلى المراد، وهي على النّحو الآتي:

أ– فهرس الآيات القرآنية، وقد رتبنا الآيات حسب ترتيب المصحف.

ب– فهرس الأحاديث النبويّة.

ج– فهرس الموضوعات.

9– صعوبات البحث:

فيما يتعلق بصعوبات البحث فهي متعددة، بعضها يعد بنيويا يتعلق بطبيعة موضوع الأطروحة

[1]- محمد أديب الصالح: التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1423هـ- 2002م، ص 361.

وتشعبه وتفرعه، مما يتطلب جهدا بحثيا معمقا ومتواصلا وتصميما منهجيا دقيقا.

ويزداد الأمر تعقيدا عندما يكون موضوع البحث مرتبطا بالقرآن الكريم، إذ يشعر الباحث بمسؤولية علمية ودينية مضاعفة في التعامل مع النص القرآني، خشية الوقوع في التأويل الخاطئ أو إسقاط مفاهيم لا تنسجم مع السياق القرآني، أو المنهج التفسيري المعتمد، هذا الحذر المشروع وإن كان دافعا للتأني والدقة، فقد يؤدي أحيانا إلى التردد والجمود، ويجعل الباحث في حالة قلق مستمر تؤثر على أدائه العلمي.

والبعض الآخر من هذه الصعوبات تتعلق بالظروف الشخصية والاجتماعية التي تلعب دورا مهما، وخاصة الظروف التي تعاني منها ربة البيت المحاطة بمسؤوليات وضغوط زمنية أو نفسية حيث يأخذ منها صغارها كل الوقت والجهد مما يحد قدرتها على التركيز والتفرغ للبحث.

لكن تبقى نفس المرء أكبر عدو وأكبر عائق، لأنها تحب التسويف والركون إلى الراحة، وتكره الضغط والتعب، كما تضعف تجاه الانتقادات الهدامة وفقدان الثقة في النفس وفي قيمة الموضوع التي تجعل الطالب في وضع صعب.

وأمام هذه الصعوبات تشيد الباحثة بفضل الأساتذة والمقربين الذين سخرهم الله لمد يد العون والتوجيه والإرشاد وتقول لهم ــ جزاكم الله خيرا–

كما تشيد بجهود الدولة الجزائرية في تعليم أبنائها في أحسن الظروف، خاصة فيما يتعلق بمجانية التعليم وبالمنح التي لا تجعل من العوائق المادية مشكلة أمام طلاب العلم.

وتبقى الإرادة والهمة هما أجنحة الوصول إلى القمة، فلا طالب غاية وجد الطريق مفروشا بالورد، وعلى قدر المتاعب يرتفع الأجر والقدر، والله مع عبده ما كان العبد مع ربه على الصراط المستقيم.

10– خطة البحث:

مقدمة.

الفصل الأول:

تعريف منهجيات الإصلاح وطرق استنباطها من القرآن الكريم

المبحث الأول: ضبط المصطلحات: المنهجية، الإصلاح، منهجية الإصلاح القرآنية.

المطلب الأول: ضبط مصطلح "المنهجية"

المطلب الثاني: ضبط مصطلح "الإصلاح"

المطلب الثالث: ضبط مصطلح "منهجية الإصلاح القرآنية"

المبحث الثاني: أهمية معرفة منهجيات الإصلاح في القرآن والعمل بها وتفعيلها في الواقع

المبحث الثالث: خصائص منهجيات الإصلاح القرآنية

المبحث الرابع: المحددات المنهجية لفهم الإصلاح في القرآن الكريم

المبحث الخامس: مفاتيح استنباط منهجيات الاصلاح من القرآن الكريم

المطلب الأول: المفاتيح المتعلقة بالنص القرآني

المطلب الثاني: المفاتيح المتعلقة بالمستنبط لمنهجيات الإصلاح القرآنية.

الفصل الثاني:

سورة غافر: تعريفها، مقاصدها، وأبعادها الإصلاحية

المبحث الأول: اسم السورة وترتيبها ونوعها وموضوعها

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها

المطلب الثاني: نوعها

المطلب الثالث: موضوعها

المبحث الثاني: فضل السورة وأسباب نزولها

المطلب الأول: فضل السورة

المطلب الثاني: أسباب نزولها

المبحث الثالث: مناسبات السورة وأغراضها

المطلب الأول: مناسبات السورة

المطلب الثاني: أغراضها

المبحث الرابع: الأبعاد الإصلاحية في سورة غافر

المطلب الأول: الأثر الإصلاحي المباشر للسورة الكريمة

المطلب الثاني: وجوه الإصلاح العقدي والأخلاقي والفكري في السورة الكريمة

المبحث الخامس: صفات المصلحين ومنهجيات المفسدين من خلال السورة الكريمة

المطلب الأول: صفات المصلحين

المطلب الثاني: مصادر الفساد ومنهجيات التصدي للحق من قبل المفسدين

المطلب الثالث: منهجية مواجهة التحديات من خلال السورة

الفصل الثالث:

منهجيات الإصلاح الذاتي التربوي

المبحث الأول: منهجية حاكمية الكتاب

المطلب الأول: ضبط مفهوم الحاكمية

المطلب الثاني: أهمية العمل بهذه المنهجية

المطلب الثالث: عناصر حاكمية القرآن الواردة في السورة الكريمة

المطلب الرابع: منهجية أعداء الدين في صد الإنسان عن هذا الكتاب المبين

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الثاني: منهجية التخلية قبل التحلية

المطلب الأول: ضبط مصطلحي "التخلية " و"التحلية"

المطلب الثاني: أهمية العمل بمنهجية التخلية قبل التحلية

المطلب الثالث: لماذا التخلية قبل التحلية؟

المطلب الرابع: منهجية التخلية قبل التحلية من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الثالث: منهجية الجمع بين الرجاء والخوف مع الإيمان

المطلب الأول: ضبط مصطلحي: "الخوف" و"الرجاء".

المطلب الثاني: أهمية العمل بهذه المنهجية

المطلب الثالث: الآيات التي تبث الرجاء في قلب القارئ في السورة

المطلب الرابع: الآيات التي تبث الرعب والخوف في قلب القارئ في السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الرابع: منهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

المطلب الثاني: أهمية العمل بمنهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج

المطلب الثالث: ربط الأسباب بالمسببات التي ينتج عنها النجاح والفلاح من خلال السورة

المطلب الرابع: ربط الأسباب بالمسببات التي ينتج عنها الخسران المبين من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الخامس: منهجية الجمع بين القراءات

المطلب الأول: ضبط مصطلح القراءة

المطلب الثاني: أنواع القراءات الواردة في السورة

المطلب الثالث: منهجية الجمع بين القراءات في القرآن الكريم

المطلب الرابع: منهجية الجمع بين القراءات من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

الفصل الرابع:

منهجيات الإصلاح الدعوي الرسالي

المبحث الأول: المنهجية المتعلقة بالخطاب الإصلاحي

المطلب الأول: تعريف الخطاب الإصلاحي

المطلب الثاني: أهمية الخطاب في الإصلاح

المطلب الثالث: شروط الخطيب من خلال السورة

المطلب الرابع: منهجية الخطاب الإصلاحي من خلال سورة غافر

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الثاني: منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

المطلب الثاني: أهمية منهجية المبادرة الشخصية في الإصلاح

المطلب الثالث: أهمية منهجية المواجهة في عملية الإصلاح

المطلب الرابع: منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة في عملية الإصلاح من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الثالث: منهجية التشخيص قبل المعالجة ثم التفويض

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

المطلب الثاني: قواعد وأسس التشخيص السليم من أجل معالجة جيدة

المطلب الثالث: شروط التفويض

المطلب الرابع: منهجية التشخيص قبل المعالجة ثم التفويض من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد المنهجية

المبحث الرابع: منهجية ترتيب الأولويات

المطلب الأول: تعريف الأولويات

المطلب الثاني: أهمية منهجية ترتيب الأولويات في القرآن الكريم

المطلب الثالث: ضرورة العمل بمنهجية الأولويات في الإصلاح

المطلب الرابع: منهجية ترتيب الأولويات من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الخامس: منهجية ولكم في القصص عبرة

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

المطلب الثاني: أهمية منهجية الاعتبار بالقصص في الإصلاح

المطلب الثالث: أقسام القصص المتعلقة بالإصلاح الواردة في السورة

المطلب الرابع: أهمية منهجية ولكم في القصص عبرة الواردة في السورة الكريمة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية.

الفصل الخامس:

منهجيات الإصلاح الرباني

المبحث الأول: منهجية ربط كل غيب بمشهد

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

المطلب الثاني: أهمية منهجية الربط بين الغيب والمشهد في الإصلاح

المطلب الثالث: منهجية الربط بين الغيب والشهادة في أركان الإيمان من خلال السورة

المطلب الرابع: منهجية الربط بين الغيب والشهادة في مصير الأمم السابقة من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الثاني: منهجية المعجزة

المطلب الأول: تعريف المعجزة

المطلب الثاني: علاقة المعجزة بالإصلاح

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز الواردة في السورة

المطلب الرابع: منهجية الإعجاز البياني الذي تحدى الله به العرب من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد المنهجية

المبحث الثالث: منهجية الإمهال قبل الأخذ

المطلب الأول: تعريف مصطلحي الإمهال والأخذ

المطلب الثاني: الحكمة من هذه المنهجية

المطلب الثالث: منهجية الإمهال قبل الأخذ في عهد الرسول ﷺ

المطلب الرابع: منهجية الإمهال قبل الأخذ عند الأمم السابقة من خلال السورة الكريمة.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الرابع: منهجية لكل فرعون موسى ولكل موسى رب يحميه

المطلب الأول: ما المقصود بعبارة لكل فرعون موسى ولكل موسى رب يحميه؟

المطلب الثاني: الحكمة من هذه المنهجية

المطلب الثالث: المصلحون الذين واجهوا الطواغيت من الأنبياء في السورة

المطلب الرابع: المصلحون الذين واجهوا الطواغيت من غير الأنبياء في السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

المبحث الخامس: منهجية السنن

المطلب الأول: تعريف السنن الإلهية

المطلب الثاني: دور السنن الإلهية في الإصلاح من خلال السورة

المطلب الثالث: أقسام السنن الواردة في سورة غافر

المطلب الرابع: السنن المتعلقة بالمؤمنين والكافرين من خلال السورة

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

خاتمة البحث: وفيها ذكر أهم النتائج المتوصل لها.

الفصل الأول:

تعريف منهجيات الإصلاح وطرق استنباطها من خلال القرآن الكريم.

المبحث الأول: ضبط المصطلحات: "المنهجية"، "الإصلاح"، و"منهجية الإصلاح القرآنية".

المبحث الثاني: أهمية معرفة منهجيات القرآن في الإصلاح والعمل بها وتفعيلها في الواقع

المبحث الثالث: خصائص منهجيات الإصلاح القرآنية

المبحث الرابع: المحددات المنهجية لفهم الإصلاح في القرآن الكريم

المبحث الخامس: مفاتيح استنباط منهجيات الاصلاح من القرآن الكريم

المبحث الأول: ضبط المصطلحات: "المنهجية"، "الإصلاح"، و"منهجية الإصلاح القرآنية".

تمهيد:

يعد ضبط المصطلح خطوة أساسية للولوج الصحيح إلى الموضوعات من مداخلها السليمة، والقرآن الكريم يحث المسلمين على تسمية الأمور بمسمياتها، يقول تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (**الحجرات: 14**)

فتسمية الأمور بمسمياتها وبدقة كبيرة منهجية قرآنية ضرورية تقتضيها دقة تناول القضايا من أبوابها الأساسية.

قال ابن تيمية[*]—رحمه الله–: "ومن أنفع الأمور معرفة دلالة الألفاظ مطلقا، وخصوصا ألفاظ الكتاب والسنة، وبه تزول شبهات كثيرة، كثر فيها نزاع الناس "[1]

المطلب الأول: ضبط مصطلح "المنهجية"

1. من الناحية المعجمية

إن كلمة "منهجية" مشتقة من الفعل: "نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج، الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمِنهج والـمَنهج: الطريق أيضا، والجمع المناهج."[2]

والنهج هو: الطريق الواضح، كالمنهج والمنهاج، وأنهج: وضح وأوضح، واستنهج الطريق: صار نهجا، كأنهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه.[3]

والمنهجية هي: مصدر صناعي من مَنهج/ مِنهج: أي: نظام طرق البحث، منهجية البحث العلمي: طبق

---

[*]—الشيخ الإمام العلامة المفتي المفسر الخطيب البارع عالم حران وخطيبا وواعظها، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني، الحنبلي صاحب «الديوان"، الخطب والتفسير الكبير، ولد في شعبان سنة اثنتين وأربعين بحرن، توفي في صفر سنة اثنتين وعشرين وست مائة، له ثمانون سنة، وكان صاحب فنون وجلالة ببلده. المرجع: انظر: شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ط1427هـ -2006م، ج16، ص 218.)

[1]-أحمد بن تيمية: مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط1، 1425هـ - 2004م، ج7، ص 169.

[2]-أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399هـ -1979م، ج5، ص361.

[3]- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1998م، ص 208.

منهجية جديدة"[1]

ملاحظة:

في سياق تحديد المفاهيم الأساسية تبرز ضرورة التمييز بين مصطلحي "المنهج" و" المنهجية" لما لهذا التمييز من أثر بالغ في دقة التناول العلمي، إذ إن العديد من الدراسات وقعت في خلط مفاهيمي بين المصطلحين نتيجة التعامل مع "المنهجية" بوصفها مرادفا للمنهج أو مشتقة منه، دون توضيح الفارق الدلالي والمنهجي بينهما وعلى الرغم من الترابط الوثيق بين المفهومين إلا أن العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، حيث تشير "المنهجية" إلى دراسة المناهج وتنظيمها ضمن إطار علمي، في حين يعنى "المنهج" بالطريقة المتبعة في البحث أو الدراسة.

وتؤكد المعاجم الأجنبية هذا التمايز، إذ تقدم لكل من المصطلحين تعريفا مستقلا يعكس خصوصيته ووظيفته داخل الحقل المعرفي.

- لقد عرفت المنهجية في اللغة الفرنسية بأنها:

La methdologie :[2]étude des methodespropers a une science

أي: هي دراسة المناهج الخاصة بمجال أو علم معين، فالمنهجية في اللغة الفرنسية تتكون من لفظين méthode وهو المنهج وLogie أي العلم أي أنها تعني علم المنهج.

أما المنهج فهو:

Le Methode: demarcheorganisee et rationnel de lespritpour arriver à un certain résultat[3]

أي: هو خطوات منتظمة ومنطقية يتبعها العقل للوصول إلى نتيجة محددة في مجال معين

وعرف المنهج أيضا بأنه: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد أو

---

[1]- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ -2008م، ص 2291.

[2]- Larousse. Maury. France.2008. P 48.

[3]- Ibid. P 48.

نظام من القواعد والإجراءات أو خطوات منتظمة توجه سير العمل، وتحدد عملياته.[1]

ونستنتج مما سبق أن:

- المنهج هو الأصول والقواعد، والمنهجية هي الجانب التطبيقي للمنهج.
- المنهج يتضمن طرق البحث وإجراءاته، والمنهجية تتضمن العلم الذي يدرس هذه الطرق والإجراءات.
- المنهجية تفصيل والمنهج إجمال.
- المنهج هو القوانين والمنهجية هي التوجيهات والإرشادات لضمان تحقيق المنهج.
- المنهج واحد أما المنهجية فتختلف وتتعدد.

ملاحظة ثانية: من المصطلحات التي يخلط بينها وبين المنهجية هي: " الشرعة"

والشرعة هي الطريق، والمذهب المستقيم، أما الشريعة فهي: ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام والطريقة[2]. وفي التنزيل: **"ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها"**

التعريف الاصطلاحي للشريعة:

الشريعة هي: اسم للأحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشا ومعادا سواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعة إليه.[3]

يقول تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ (**المائدة: 48**) والشرعة والشريعة: الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة، والشريعة في اللغة: الطريق الذي يتوصل منه إلى الماء، والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم يشرع شرعا، أي: سن، والشارع: الطريق الأعظم. والشرعة أيضا: الوتر، والجمع شرع وشرع، وشراع جمع الجمع.

والمنهاج: الطريق المستمر، وهو النهج والمنهج، أي البين، قال الراجز:

---

[1]- محمود عبد الحميد: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، د ت، ص 54.

[2]- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 2014م، ص479.

[3]- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي: الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م، ص 524.

من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج

وقال ابو العباس محمد بن يزيد: الشريعة ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستمر.[1]

فالشرعة هي: "الأحكام التفصيلية، مثل وجوب الصلاة، أمّا المنهجية فهي كيف وصلنا إلى أن الصلاة فريضة والجواب هو من النصوص القطعية من الكتاب والسنة".[2]

مثل قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (**آل عمران: 159**) منهجية في اتخاذ القرار، وشرعة لمنهجية الشورى في اتخاذ القرارات.

2. من الناحية الاصطلاحية

1.2 من خلال القرآن الكريم

كلمة المنهجية كمصطلح لم تظهر إلا بعد نزول الوحي، أما من حيث الاشتقاق والجذر لم ترد إلا في موضع واحد، وهو في الآية 48 من سورة المائدة حيث قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾(**المائدة: 48**)

وقد اقترن مصطلح الشرعة بمصطلح المنهاج للدلالة على أن لكل منهما خصوصية، وأن العلاقة بينهما ليست علاقة ترادف إنما علاقة ترابط، فالمنهاج السوي يحقق الالتزام بالشرعة على أكمل وجه.

وعند البحث عن المفهوم القرآني لهذه الكلمة لابد من تتبع الآيات التي وردت فيها الكلمات التي تحمل نفس المعنى **مثل الصراط وسبيل الله** كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (**الأنعام: 153**) والهدى والنور والاتباع وغيرها من الكلمات التي تدل على المعنى الواحد (الطريق الواضح)

---

[1]- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1437هـ- 2006م، ج 8، ص38، 39.

[2]-صلاح الدين سلطان، سورة الكهف منهجيات في الاصلاح والتغيير، مرجع سابق، ص23.

2.2من خلال السنة النبوية الشريفة

والمنهجية في السنة النبوية هي المحجة البيضاء الواضحة المعالم المضمونة النتائج. يقول الرسول ﷺ: "قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ." [1]

3.2من خلال الفكر الإسلامي

لقد كان للمسلمين قصب السبق في ربط المنهجية بالعقيدة والدين، ومن بينهم فريد الأنصاري[*] حيث قال: "إن المنهجية –في البحث العلمي– ليست ضرورة تقنية ولكنها ضرورة إيمانية أيضا".[2]

وقال عن المنهجية القرآنية والقرآن: "إن الهدى القرآني أو المنهاجي يتضمن رسالة أو عدة رسالات هي خلاصة المقاصد التربوية، ومكنز التعاليم الربانية التي تبني الشخصية الإيمانية للإنسان المسلم، وتسلك به مسالك العبدية لله رب العالمين في نفسه ومجتمعه وعالم شهادته ."[3]

وقد عرف الشاهد البوشيخي [**] الهدى المنهاجي بأنه" الطريقة المثلى في أداء الوظيفة الخلافية

---

[1]-أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ -2001م، ج28، ص 367.

[*]–فريد الأنصاري: من مواليد سنة 1960م، بإقليم الرشيدية، عضو مؤسس لمعهد الدراسات المصطلحية التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، من مؤلفاته: – مصطلحات أصولية في كتاب الموافقات للشاطبي، – أبجديات البحث في العلوم الشرعية، – التوحيد والوساطة في التربية الدعوية (جزءان)، أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس. توفي يوم 17 ذو القعدة 1430هـ – 05 نوفمبر 2009م بتركيا (المرجع: انظر: فريد الأنصاري: قناديل الصلاة، منشورات التجديد، الدار البيضاء، ط1، 1420هـ -1999م.)

[2]-فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، مرجع سابق، ص41.

[3]-فريد الأنصاري: مجالس القرآن، مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ، دار السلام، القاهرة، ط1، 1430هـ -2009م، ص 83.

[**]– البوشيخي: الشاهد بن محمد البوشيخي من علماء المغرب، ولد عام 1945م بالحريشة، تحصل على عدة شهادات منها الدكتوراه في النقد الأدبي (الدراسات المصطلحية) عام 1990م، له عدة مؤلفات في: الدراسة المصطلحية (مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، نظرات في المصطلح والمنهج...) وله كتب اخرى في غير الدراسات المصطلحية منها: القرآن الكريم: طبيعته ووظيفته، القرآن الكريم وروح الأمة ...) شغل عدة مناصب من بينها: الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية، مدير معهد الدراسات المصطلحية، أمين من أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية(انظر: سيرة ذاتية مختصرة، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، الموقع الإلكتروني: https: //www.mobdii.com/ (تاريخ الزيارة: 22_08_2022م).

للإنسان في عبادته وشهادته".[1]

أما محمد أبو القاسم حاج حمد[*] فعرف الضابط المنهجي بأنه: "القانون الفلسفي أو المبادئ الفلسفية الناظمة بتحديد واضح للأفكار، فالمنهجية تقنين للفكر، ودون هذا التقنين يتحول الفكر إلى تأملات وخطرات انتقائية قد تكون عبقرية ومشرقة جدا وذات جدوى في كثير من الأحيان وتصلح للمواعظ والمجادلة الحسنة، ولكنها لا تكون منهجية، فمنهجية الأفكار أو تقنينها بالمنهج تماثل حالة توليد القوانين من الطبيعة ."[2]

وعرف المنهجية بقوله: "يستخدم مصطلح المنهجية عموما ليعطي معنى (الناظم الكلي) للأفكار وأشكال الوعي والمعرفة برد الكثرة إلى الوحدة التي تحتويها، فهي تقارب (طريقة البحث) في الأمور لتنتهي إلى إيجاد ضوابط لها أي قانون لها، وفي هذا الإطار العام تطلق صفة المنهج ومنهجة الأمور والمنهجية على كل فكر يستهدف إيجاد قواعد للتفكير، في مجال جزئي أو كلي."[3]

التعريف الإجرائي لمصطلح المنهجية:

ومن خلال ما تقدم من تعريفات للمنهجية من الناحية اللغوية (الطريق الواضح)، ومن خلال معانيها في القرآن الكريم (السبيل، الصراط، الهدى، النور..) وفي السنة النبوية بأنها المحجة البيضاء، وكذا من خلال ما أفاد به رجال الفكر من تعريفات، تعرف الباحثة المنهجية بأنها: " **مجموعة من القواعد والتعاليم والتوجيهات التي تتضمن مختلف الأساليب والأدوات والطرق التي تسلك بصاحبها الطريق في وضوح**

---

[1]- الشاهد البوشيخي: الهدى المنهاجي من القرآن الكريم، مجلة حراء، العدد الثاني عشر، 2008م، ص 6

[*]- **حمد أبو القاسم حاج حمد**(1941-2004) م: سياسي ومفكر وباحث سوداني عمل مستشاراً علمياً للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن .أسّس عام 1982 «مركز الإنماء الثقافي» في أبو ظبي وأقام أول معارض الكتاب العربي المعاصر بالتعاون مع العديد من دور النشر اللبنانية. أسّس في قبرص «دار الدينونة» لإعداد موسوعة القرآن المنهجية والمعرفية، ومجلة «الاتجاه» التي تعنى بشؤون الفكر والاستراتيجيا في نطاق الوسط العربي والجوار الجغرافي. صدر له عدة مؤلفات، منها: العالمية الإسلامية الثانية ومنهجية القرآن المعرفية.، الأبعاد الدولية لمعركة إرتريا، دراسة عن «أزمة القرن الأفريقي وموقعه في إستراتيجية العدو الصهيوني»،السودان المأزق التاريخي وافاق المستقبل ....توفي محمد أبو القاسم حاج حمد في 20 ديسمبر2004 م(المرجع: محمد أبو القاسم حاج حمد: ويكيبيديا، https: ///ar.wikipedia.org (تاريخ الزيارة: 22_08_2022م).

[2]- محمد أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية، دار الهادي، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م ص 33-34..

[3]- محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، المرجع السابق، ص 235-236.

ودقة ليصل إلى المراد بشكل صحيح"

المطلب الثاني: ضبط مصطلح "الإصلاح"

1. من الناحية المعجمية

الإصلاح كلمة مأخوذة من الجذر(صلح)، فالصاد واللام والحاء أصل واحد، يدل على القضاء على الفساد واستئصاله من جذوره، والإصلاح يقابله الإفساد، والاستصلاح ضده الإستفساد.[1]

وصلح صلاحا وصلوحا: زال عنه الفساد فهو صالح، واستصلح الشيءُ: تهيّأ للصلاح، واستصلح الشيءَ: أصلحه وطلب إصلاحه وعدّه صالحا.

واصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف، وعلى الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا، وأصلح في عمله وأمره: أتى بما هو صالح نافع، وأصلح بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق.[2]

ونفس التعريف نجده في المعجم الوسيط: صلح صلاحا وصلوحا: زال عنه الفساد، والشيء: كان نافعا أو مناسبا ويقال هذا الشيء يصلح لك[3]

والصلاح: هو سلوك طريق الهدى وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعوا إليه العقل [4]

ملاحظة:

"إنّ الاطلاع السريع على المعاجم يدل على ما زخرت به اللغة من المصطلحات والمفردات التي يراد بها الإصلاح في كل ميدان وقطاع، فالإصلاح ينشأ من الاستعمال، وحينما تتعطل محركات النهوض والتألق الحضاري يكون أول من يعاني من العقم جهاز توليد المصطلحات وخزانه الحضاري بالمعاني والدلالات".[5]

وقد وردت في المعاجم العربية ألفاظ ومصطلحات دالة على الإصلاح حسب مجال المصلحين في شتى الواجهات والقطاعات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

(1)- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 3، ص 303.

(2)- أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1982م، ص 214-215.

(3)- مجمّع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج 1، ص 520.

(4)- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ص 560-561.

(5)- محمد بريش: مفهوم الإصلاح، حولية أمتي في العالم، مركز الحضارة للدراسات الإسلامية، القاهرة، مج7، 2007م، ص 6.

-التدويك: وهو إصلاح القوم أمرهم.

-الترقيح والترقح: إصلاح المعيشة، والترقيح: إصلاح المال، يقال للتاجر: مرقح، ومن ذلك قول بعض قبائل العرب في تلبية الحج في الجاهلية: لم نأت للرقاحة جئناك للنصاحة.

-رأب الثأي: إصلاح الفساد.

-الثّمّ: إصلاح الشيء وإحكامه.

-الرّمّ: إصلاح الشيء الذي فسد بعضه...ورمّ إصلاح ما فسد ولمّ ما تفرق.. ورمّ الشيء يرمه رمّا أصلحه، واسترم دعا إلى إصلاحه.

-القوس: إصلاح المعيشة.

-التثبيتة: إصلاح الشيء والزيادة عليه.

-يرب: يصلح، من قول الأعرابي: راب، إذا أصلح، قال: والربوة إصلاح الشأن والأمر.

-النّكنكة: إصلاح العمل

ومن سيفهم برنامج حزب أو تيار إصلاح يطالب **بتدويك** الشأن السياسي، و**ترقيح** الواقع الاقتصادي، و**ترقح** حال معيشة الأفراد، و**تثبيتة** القرار الحكومي، و**رمّ** الوضع الاجتماعي، **وقوس** أوضاع المعيشة، و**رأب الثأي** في دواليب الإدارة، و**ثمّ** الوضع الأمني و**تمّ** المجال العسكري والقيام في كل ذلك بجهد ملموس يحقق للمجتمع الروبة، ويميز جهازه القيادي **بالنكنكة**. [1]

إن هذا الثراء في المعاني والدلالات التي ارتبطت بمفهوم الإصلاح في التراث العربي، سواء في المجالات العقلية أو المادية، يكشف عن عمق حضوره وأهميته في البناء الحضاري للأمم، وقد اقترن هذا المفهوم بمقابله وهو الفساد، مما يعكس طبيعة العلاقة الجدلية بينهما، إذ إن الإصلاح يفهم باعتباره مسعى جماعيا مستمرا لتقويم الانحرافات ومواجهة كل ما من شأنه تهديد الكيان المجتمعي أو النيل من أسسه وبيانه.

[1]- محمد بريش، مفهوم الإصلاح، المرجع السابق، ص6-7.

التعريف اللغوي للفساد:

فسد: ضد صلح، فهو فاسد وفسيد من فسدى، والفساد: أخذ المال ظلما، وفسّده تفسيدا أفسده، وتفاسدوا: قطعوا الأرحام واستفسد ضد استصلح.[1] وفسد اللحم أو اللبن أو نحوهما فسادا: أنتن أو عطب، والعقد ونحوه: بطل، والرجل: جاوز الصواب والحكمة، والأمور: اضطربت وأدركها الخلل، والفساد: التلف والعطب والاضطراب والخلل والجذب والقحط وإلحاق الضرر.[2]

2. من الناحية الاصطلاحية

1.2من خلال القرآن الكريم

إن الإصلاح مصطلح شرعي ورد في القرآن الكريم، وقد وردت مادة "صلح" في القرآن الكريم في مواضع عـــــدة، وباشتقاقات مختلفة، وصيغ مختلفة:

الآية	رقم الآية
سورة البقرة	
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ **مُصْلِحُونَ**﴾	11
﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا **فَأَصْلَحَ** بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	160
﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ **إِصْلَاحٌ** لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	220
﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا **وَتُصْلِحُوا** بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	224
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا **إِصْلَاحًا** ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	228

(1)- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص306.

(2)- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج2، ص 688.

سورة النساء	
﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾	16
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا **إِصْلَاحًا** يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾	35
﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ **إِصْلَاحٍ** بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	114
﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا **صُلْحًا** ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	128
﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن **تُصْلِحُوا** وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	129
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا **وَأَصْلَحُوا** وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	146
سورة الأنعام	
﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ **وَأَصْلَحَ** فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	48
﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ **وَأَصْلَحَ** فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	54
سورة الأعراف	
﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ **وَأَصْلَحَ** فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	35
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ **إِصْلَاحِهَا** وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	56
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ **إِصْلَاحِهَا** ۚ	85

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	
﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي **وَأَصْلِحْ** وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	142
﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ **الْمُصْلِحِينَ**﴾	170
سورة الأنفال	
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ **وَأَصْلِحُوا** ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	01
سورة يونس	
﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا **يُصْلِحُ** عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	81
سورة هود	
﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا **الْإِصْلَاحَ** مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	88
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا **مُصْلِحُونَ**﴾	117
سورة الرعد	
﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن **صَلَحَ** مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾	23
سورة النحل	
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ **وَأَصْلَحُوا** إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	119

سورة الأنبياء	
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ **وَأَصْلَحْنَا** لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾	90
سورة النور	
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ **وَأَصْلَحُوا** فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	5
سورة الشعراء	
﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا **يُصْلِحُونَ**﴾	152
سورة النمل	
﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا **يُصْلِحُونَ**﴾	48
سورة القصص	
﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ **الْمُصْلِحِينَ**﴾	19
سورة الأحزاب	
﴿**يُصْلِحْ** لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	71
سورة غافر	
﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن **صَلَحَ** مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	8
سورة الشورى	
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا **وَأَصْلَحَ** فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾	40
سورة الأحقاف	
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ	15

وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ **وَأَصْلِحْ** لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	
سورة محمد	
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ **وَأَصْلَحَ** بَالَهُمْ﴾	02
﴿سَيَهْدِيهِمْ **وَيُصْلِحُ** بَالَهُمْ﴾	05
سورة الحجرات	
﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ **فَأَصْلِحُوا** بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	09
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ **فَأَصْلِحُوا** بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	10

ومما يمكن استنباطه من خلال هذا الجدول _ومن خلال ما فسرت بهذه هذه الآيات من قبل المفسرين _ ما يلي:

1. أن كلمة "الإصلاح" ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم بصيغ متعددة، دلت على معان متنوعة، منها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو ديني إيماني، ومن أبرز الصيغ القرآنية التي وردت بها الكلمة:

أولا: الجذر اللغوي (ص-ل-ح) بصيغه المختلفة:

- الفعل الماضي: أصلح...
- الفعل الحاضر والمستقبل: يصلح، يصلحون...
- الأمر: أصلحوا..
- اسم الفاعل: مصلح
- اسم المصدر أو المصدر نفسه: إصلاح، صلاح

وهذا التنوع في الصيغ (الماضي، المضارع، والأمر) يدل أن الإصلاح مطلوب دائما في كل حين ومكان وليس لحظة عابرة، وهذا ما تدل عليه صيغة اسم الفاعل كذلك حيث أن كلمة مصلح تظهر بأنه صفة ثابتة في الشخصية وبأن الله يريد من المؤمن أن يكون مصلحا بطبعه لا فقط عند الحاجة.

2. **توكيد التضاد مع الفساد:** حيث وردت كلمة الإصلاح مقابل الفساد في كثير من المواضع، وهذا يظهر أن القرآن يجعل الإصلاح جبهة مقاومة ضد الفساد بكل أنواعه.

3. أن كلمة الإصلاح وردت في السور المكية والمدنية: حيث ركزت السور المكية على ترسيخ مفهوم الإصلاح العقائدي والأخلاقي والفكري، أما السور المدنية فقد ركزت على تنظيم المجتمع وتقنين العلاقات الاجتماعية والسياسية.

4. إن الإصلاح من منظور قرآني له عدة معاني منها (بحسب ما ورد في التفاسير): حسن الإيمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإحسان، الرفق.

5. **أنه يشمل كل المجالات:** الإصلاح العقدي، الإصلاح السياسي، الإصلاح الاقتصادي، الإصلاح الإعلامي، الإصلاح الاجتماعي، الإصلاح الأسري، إصلاح ذات البين، الإصلاح الفكري، إصلاح المال، إصلاح النفس ...

6.**أن الإصلاح في القرآن الكريم هو من فعال المولى عز وجل،** ومن ذلك إصلاح البال كما جاء في قوله تعالى: ﴿**سيهديهم ويصلح بالهم**﴾ (محمد: 5).

7.**كما أنه رسالة ووظيفة كل الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم في هذا الطريق.**

8. **الإصلاح مسؤولية كل إنسان،** فالكل مطالب بإصلاح نفسه بنفسه، وإزالة ما وقع على قلبه وفعله من فساد، وهو مرتبط بالثواب الإلهي.

9. الإصلاح مسؤولية مشتركة بين الذكر والأنثى، وقد وعد الله المصلحة بالأجر كما وعد الرجل.

10. أنه يتطلب الاستمرارية: أن الإصلاح المعاصر هو استمرار لسلسة تاريخية ومبادئه ثابتة عبر كل الشرائع.

11. أنه يعتمد على التنوع.

12. أنه متعلق بالإرادة، فعملية الإصلاح قرنت في القرآن الكريم بالإرادة (الإرادة الفردية والإرادة الجماعية) سواء فيما تعلق بالقضايا الأسرية أو السياسية أو الاجتماعية...فالإصلاح ينطلق من الإرادة الحقيقية فقط.

13. أن التوبة من أعظم أبوابه، وهي لا تتعلق بالمصلحة الشخصية للفرد فقط وإنما يمتد أثرها إلى المحيط الخارجي بما يعود على المجتمع والبلد من الخير والأمن.

14. **المرجعية الدينية القرآن والسنة:** فالإسلام لا يقبل من لا يرجع إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية في أقواله وأفعاله، وهذا شرط أساسي في المصلح فإن لم يكن كذلك فهو يعتبر مفسدا لا مصلحا.

2.2 من خلال السنة النبوية الشريفة

يعد مفهوم الإصلاح من المفاهيم المركزية في المنهج النبوي، حيث لم يقتصر اهتمام السنة النبوية بالإصلاح كمجرد خلق فردي، بل تجاوزه إلى كونه رسالة مجتمعية ومسؤولية جماعية.

– وقد وردت أحاديث كثيرة تبين فضل الإصلاح وأثره في بناء الأمة، ومن أبزها قوله ρ: " **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام: قالوا بلى. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**".[1]

وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ﷺ: "**كلُّ سُلامى من النّاس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين النّاس صدقة**".[2]

– ولأهمية الإصلاح فإن الرسول ﷺ كان يسارع إليه ولا يؤخره، فعن سهل بن سعد τ أنّ أهل قُباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: "**اذهبوا بنا نصلح بينهم**"[3]

– كما أجاز الرسول ﷺ الكذب في الإصلاح لما فيه من درء للفتنة وحفظ للوئام والعلاقات، ويجلب مصلحة ويدفع مفسدة، فعن أمّ كلثوم بنت عقبة أنّها سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا**"[4]

---

(1)- محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير " سنن الترمذي"، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ – 2009م، ج 4، ص 484.

(2)- صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين النّاس والعدل بينهم، ص 338.

(3)- صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح، ص 336

(4)- صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين النّاس، ص 336.

3.2 من خلال الفكر الإسلامي

وردت تعريفات مختلفة للإصلاح عند علماء ومفكري العالم الإسلامي ونذكر منها:

_ **محمد عبده:** الإصلاح هو تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه على ينابيعه الأولى، واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من غلطه وخبطه، لتعم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإسلامي.[1]

_**عبد الحميد بن باديس**[*] الإصلاح هو: "إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرء عليه من الفساد."[2]

– **محمّد عمارة:** "الإصلاح هو: التغيير الشامل والعميق إلى الأفضل بالتدريج" والحركات الإصلاحية: هي الدعوات التي تحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد في الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالا بالحياة إلى درجة أرقى في سلّم التطور الإنساني.[3]

_ **عبد الرحمان الميداني:** "الإصلاح: هو خطة من خطط العمل لخدمة أفراد المسلمين وجماعتهم، بغية الإصلاح وحمايتهم من الانحراف عن صراط الله إلى سبل الضلال والغي والفسق والفجور، فالردّة والكفر والشقاء العاجل والآجل، وبغية حماية المجتمع الإسلامي من التفكك والانهيار بعوامل الفساد التي قد تظهر فيه من قبل ذوي الانحراف فيه عن صراط الله، وما يكون نتيجة انحرافهم من عدوى تؤثّر على هيكل المجتمع الإسلامي بوجه عام.[4]

_ **محمّد بشير حداد**[*]: "الإصلاح الإسلامي: هو التغيير المتدرج الشامل والعميق، المنبثق من

---

[1]- محمد عبده: الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1972م، ج2، ص318.

[*]–عبد الحميد بن باديس: (1889) من شخصيات الإصلاح في الوطن العربي، ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، حفظ القرآن وهو صغير ثم تتلمذ على الشيخ العالم الفقيه أبو حمدان الونيسي، وهو من أوائل الشيوخ الذين كان لهم أثر طيب في الاتجاه الديني، والذي كان دائما ما يوصيه: اقرأ العلم للعلم لا للوظيفة. أبو محمد عبد الرحمان: الراسخون في ذاكرة الأيام، دار المواهب، الجزائر، ط ط1، 2011م، ص51.

[2]-عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الرشيد، الجزائر، ط 1، 1430هـ-2009م، ج 1، ص 206.

[3]-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: الموسوعة الإسلامية العامّة، القاهرة، ط 1، 2003م، ص 159.

[4]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: فقه الدعوة إلى الله، دار القلم، دمشق، ط1، 1991م، ج1، ص 23.

[*]–محمد بشير حداد: درج منذ نشأته على حلقات العلم، حصل على الماجستير في التربية الإسلامية من جامعة القرى والدكتوراه في

مرجعية الوحي الإلهي، بلسان العصر، ووفق الممكن والمأمول، مع مراعاة الأولويات، لمواجهة التحديات، ودفع الأخطار، والوصول بالأمة إلى السؤدد".[1]

يلاحظ من هذه التعريفات أنها تتقاطع في الهدف العام من الإصلاح وهو إزالة الفساد وإخراج الأمة من حالة الانحطاط والفساد إلى الوضع الأفضل دينيا وفكريا واجتماعيا.

كما أنها تتفق في المرجعية، حيث تستند هذه التعاريف إلى مبادئ الإسلام الأصلية (القرآن والسنة النبوية) وتعتبر أن العودة إليها ضرورية للنجاح والقبول.

والاختلاف منحسر في الزوايا التي يتم التركيز عليها لتحقيق الهدف ومثال ذلك أن:

-الشيخ محمد عبده: ركز على تحرير الفكر والعقل من الجمود.

_أما الشيخ عبد الحميد بن باديس فقد ركز على الإصلاح الديني والتربوي وتطهير العقيدة من الخرافات

_ والأستاذ محمد عمارة: نظر إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي.

_ أما الكواكبي: فركز على مواجهة الاستبداد والظلم وضرورة الوعي السياسي.

وخلاصة القول إن هذه التعريفات يكمل بعضها البعض من زوايا مختلفة.

التعريف الإجرائي للإصلاح:

وانطلاقا مما سبق يمكن تعريف الإصلاح بأنه: **"مشروع نهضوي شامل، يهدف إلى إخراج الناس والأمة من واقع الانحطاط والفساد إلى واقع النهوض والرشد من خلال معالجة الانحرافات الفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية، انطلاقا من مرجعية إسلامية أصيلة، ووفق منهجية قائمة على وضع خطط واضحة لتحقيق التغيير المنشود".**

المطلب الثالث: ضبط مصطلح "منهجية الإصلاح القرآنية"

الفلسفة في التربية من جامعة عين شمس، وله مشاركة في العمل الإعلامي الدعوي والعديد من المؤلفات. (انظر: محمد بشير حداد، الدعوة والإصلاح مناهج وأساليب، المرجع نفسه).

[1]- محمد بشير حداد: الدعوة والإصلاح مناهج وأساليب، دار القلم، دمشق، ط 1، 2012م، ص 356.

تعريف القرآن الكريم

1. من الناحية المعجمية

"قرأ" القرآن: التنزيل العزيز، وإنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه، قرأه ويقرؤه، وقراءة فهو مقروء.

يسمى كلام الله تعالى الذي أنزل على نبيه ρ كتابا وقرآنا وفرقانا ومعنى القرآن الجمع وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها وقوله تعالى: "إن علينا جمعه وقرآنه أي وقراءته فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" أي قراءته.[1]

2. من الناحية الاصطلاحية

إن القرآن الكريم هو كلام الله، ولما حاول علماء الكلام وصفه بأكثر من ذلك، وذهبوا إلى أنه مخلوق، حدثت أكبر فتنة في تاريخ الإسلام والمسلمين، وهي الفتنة التي قيض الله لها الإمام ابن حنبل[*]_ رحمه الله _للتصدي لها.

ولذلك وضع العلماء تعريفات لكتاب الله، لتعريف الناس بكتاب ربهم من غير تحريف، ومن بين هذه التعريفات:

"القرآن هو الكلام القائم بذات الله تعالى، وحد الكتاب هو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف، على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا "[2]

وعرف بأنه "هو كلام الله المنزل على محمد ρ بواسطة جبريل عليه السلام، المعجز بأقصر سورة منه، المتعبد بتلاوته"[3]

---

[1]- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، د ت، مج1، ص 123.

[*]_أحمد بن حنبل: طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك وحماد بن زيد، عدة شيوخه الذين روى عنهم في "المسند" مئتان وثمانون ونيف، قال عنه الشافعي: "خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل"(المرجع: انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج، 11، ص)

[2]- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ -1993م، ص 81.

[3]- مساعد بن سليمان الطيار: المحرر الوجيز في علوم القرآن، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط2، 1429هـ-2008م، ص22.

وعرف بأنه: "القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقا وغربا فما بين ذلك من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين، كلام الله عز وجل ووحيه، أنزله على قلب نبيه محمد ρ ومن كفر بحرف منه فهو كافر"[1]

و "هو اللفظ العربي المنزل على محمد ρ المنقول إلينا بالتواتر"[2]

وقد عرَّف القرآن تعريفاً يتناسب مع منهجه في النظر إلى القرآن باعتباره كتاباً كونياً مهيمناً، فيعرَّف القرآن بأنه: " كلام الله تعالى صفة من صفات ذاته المنزهة والمتعالية، المعادل للكون وحركته، فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وهو الفصل ليس بالهزل، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن زاغ عنه فقد ضل ضلالاً بعيداً، وهو حبل الله المتين ونوره المبين وصراطه المستقيم، يسره الله تعالى بلسان نبيه ولغته ليمكن الناس من التعامل معه، وإلا فهو أكبر من أية لغة، وأوسع من أي لسان، معجز لو اجتمعت الجن والإنس على أن تأتي بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، متحد به في كل زمان ومكان وعلى سائر المستويات، خطاب للعالمين كافة إنسهم وجنهم، لم تلبث الجن حين سمعته أن قالت: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** ﴾ (الجن: **2،1**).[3]

تعريف المنهجية القرآنية في الإصلاح:

من خلال ما تقدم يمكن تعريف منهجيات الإصلاح من خلال القرآن الكريم: " **هي: التوجيهات الربانية الواردة في القرآن الكريم والتي تتضمن منظومة متكاملة من الطرق والمبادئ والتشريعات الهادفة إلى إزالة الفساد وإرجاع الأمور إلى حالة الصلاح، تحقيقا للفلاح في الدنيا والآخرة.**"

المبحث الثاني: أهمية معرفة منهجيات الإصلاح في القرآن والعمل بها وتفعيلها في الواقع

تمهيد:

---

(1)- علي بن أحمد ابن حزم: معجم فقه ابن حزم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1385هـ -2966م، مج 2، ص833.

(2)- محمد شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، ط18، 1421هـ -2001م، ص 471.

(3)- مصطفى جابر العلواني: عالمية الخطاب القرآني: دراسة تحليلية في السور المسبحات الخمس، رسالة ماجستير، جامعة الجزيرة، 1425هـ -2004م، ص26.

لم يقتصر القرآن الكريم على الدعوة إلى الإصلاح بوصفه هدفا، بل قدم منهجيات متكاملة توضح كيفياته ومراحله وأولوياته ومجالاته في ضوء هداية ربانية شاملة.

ويعد استنباط ومعرفة هذه المنهجيات وتفعيلها في الواقع ضرورة شرعية وفكرية، وليست ترفا فكريا، لأنها تمثل الإطار المرجعي السليم للفهم السليم والمعالجة المناسبة.

وتكمن هذه الأهمية في عدة جوانب أساسية، منها:

1. الاهتداء إلى الصراط المستقيم في الإصلاح:

الإصلاح في التصور الإسلامي ليس فعلا ارتجاليا أو انفعاليا، بل هو مشروع ممنهج يستمد شرعيته من الوحي، فالمصلح هو الذي يستعين في الاهتداء إلى الصراط الذي يحقق به الإصلاح المنشود بالله تعالى، كما قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ (**الفاتحة: 6**).

وقد أشار العلماء قديما وحديثا إلى ضرورة اتباع المنهج الرباني وعدم ترك الأمور للأهواء، لأن اتباع الهوى قد يؤدي إلى الفساد فيتحول المصلح إلى مفسد، وفي ذلك قال ابن القيم: "الشرع والقدر متفقان على أن الفساد لا يزال بفساد مثله، وإنما يزال بصلاح يضاده، وإلا كان المصلح مفسدا في الحقيقة، وهو يظن أنه مفسد".[1]

ومعنى هذا القول إن كل إصلاح لا ينطلق من مقاصد الشريعة فسيؤول إلى فساد أكبر كما قال الشاطبي –رحمه الله–: " الطريق المستقيم هو ما انضبط بالوحي، وخرج عن الأهواء والظنون".[2]

2. تفعيل مرجعية الوحي:

إن الفصل بين الإيمان بأن القرآن الكريم كلام الله ويهدي للتي هي أقوم وبين عدم العمل بهديه والاكتفاء بتلاوته طلبا للأجر والبركة فقط لهو فصل وهمي لا يقبله الشرع، ويعتبر بابا من أبواب الهجر الذي حذر منه رسول الله ﷺ ، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾ (**سورة الفرقان: 30**).

---

(1)- محمد بن أبي بكر ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، د.ت، ج3، ص11.

(2)- إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1997م، ص 12.

فهجر القرآن ليس بعدم حفظه وإنما بعدم تدبره والعمل به، وهذا ما نبه إليه العلماء مرارا وتكرارا ومن بينهم الشيخ محمد رشيد رضا بقوله: " القرآن الكريم لم ينزل ليكون كتاب عبادة فحسب بل هو كتاب إصلاح وهداية وتربية أمة وبناء حضارة".[1].

إن تفعيل الوحي والسير بهديه هو أعظم ما تحتاجه الأمة لأنه الكتاب الوحيد الذي "يجمع بين العقيدة والمنهج، وبين الفهم والتطبيق".[2]

وقد أدرك أعداء الأمة الإسلامية أن صلاح أمر المسلمين مرتبط بمدى ارتباطهم بالقرآن فشنوا عليه حربا ممنهجة، يقول طه جابر العلواني: " ترى هل أدرك الشيطان وأعوانه بين البشر هذه القدرة الكامنّة في القرآن فبدأوا عليه حرباً معلنة تتناول تاريخ نزوله وجمعه وتدوينه وبلاغته ونظمه وفصاحته بسهام قتّالة تحاول أن تتسربل بمظاهر علميَّة أو منهجيَّة خادمة، وليس لها من ذلك شيء؟! وهنا تبدو أهميَّة وثقل ‘‘مهمة القرآن وحملة القرآن’’، هل سيحملونه بالطريقة الحماريَّة مثل أبناء العمومة الذين حمَلوا التوراة ثم لم يحملوها، أو لأنهم سوف يحملونه بالطريقة الإنسانيَّة مثل الأنبياء؟! ولعل الغرب يحاول أن ينفي الله عن العالم لكي يحلّ في إهابه، وبدلاً عن قيم الله المشتركة التي يمكن أن تمثل قواعد منهجيّة للفكر والتناول غير مفصولين عن أخلاقيّات العلم أو المعرفة ذهب يؤسس قواعد عالميّة للتبعيّة، من خلال مشروعه الاستعماريّ الجديد، لكي يبرر حسب تعبير ‘‘فروم’’ (التملّك) الذي هو سلب لإيجابيّة (المشاركة).[3]

ومن الشبهات التي يبثها أعداء الإسلام حول القرآن لصد الناس عن الاعتماد على هديه في الإصلاح:

_ الشبهة الأولى: أنه لا يصلح لأن يكون مرجعا منهاجيا بحكم ان المنهج يتأثر بالظروف

---

(1)- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المعرفة، الجزائر، ط1، دت، ج1، ص 12.

(2)- أحمد الريسوني: منهجية الإصلاح الإسلامي: مدخل وتقويم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 2010م، ص 45.

(3)-طه جابر العلواني: معالم في المنهج القرآني، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، الموقع الإلكتروني: https: //www.arrabita.ma / (تاريخ الزيارة: 2016/03/28م).

الزمانية والمكانية وان هذا الكتاب قديم.

والرد على هذه الشبهة هو أن: السنن الإلهية ثابتة ولا تتبدل ولا تتغير.

الدليل: التجارب البشرية التي نقلها لنا القرآن الكريم.

- **_ الشبهة الثانية: أن هذا القرآن نزل لأحداث معينة في عهد الرسول ρ. (اسباب النزول)**

الرد هذه الشبهة: صحيح أنه في عصر التنزيل كان القرآن الكريم لمعالجة قضايا الناس ومشكلاتهم_ مثل حادثة الإفك، وقصة المخلفون، والمجادلة في زوجها وغيرها من القضايا_ غير أن المسلمين يقع معهم من الأحداث مثل ما حدث مع سابقيهم وهم مطالبون اليوم بصياغة تساؤلاتهم وأزماتهم ومشاكلهم ثم اللجوء إلى القرآن الكريم والبحث فيه عن أجوبة، بشرط أن تكون القراءة بتدبر وتفكر وتعقل وتذكر وتلاوته حق التلاوة، للحصول منه على الحلول والجواب الشافي.

3. تحديد المشروع الإصلاحي بطريقة واضحة:

فالمصلح الذي يتبع المنهج القرآني في الإصلاح يجد الطريق أمامه آمنا من التطرف ومتزنا في التغيير، باعتبار أن القرآن يقدم للمصلحين منهجا إلهيا واضحا، يجمع بين التدرج والحكمة والموعظة والمصارحة، بعيدا عن العنف والانفعال".[1]

4. تفادي الأخطاء والانزلاقات المنهجية:

إن المصلح لابد أن يمشي سويا على صراط مستقيم، مسترشدا بنور الهداية، آخذا العبرة من ظلمات ضل بها أقوام، وأخذوا يتخبطون على غير هدى، قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (**الملك: 22**) فمنهجية القرآن في الإصلاح معصومة من الخطأ والانحراف، بخلاف المناهج البشرية التي قد تبنى على الظن أو المصلحة أو الهوى.، وكما قال ابن القيم: "من ظن أنه مصلح دون أن ينضبط بالوحي فهو مفسد في صورة مصلح".[2]

---

[1]- يوسف القرضاوي: بينات الحل الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2006، ص 120.

[2]- محمد ين أبي بكر ابن القيم: الفوائد، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، د ت، ص 12.

5. التخطيط الجيد:

إن الطريق إلى الإصلاح لا يمكن خطه تبعا للصدفة والعشوائية، وإنما يتم عبر التخطيط المحكم الذي يسير العمل وفقه في إطار الدقة والوضوح وفي الإطار الزمني المعقول، "فالطريق غير المنهجي هو أطول الطرق بلا شك، طريق المفاجآت التي تفجأ العقل التائه، طريق السائح غير المتحقق من وجهته أو هدفه".[1]

6. تحقيق الشمولية:

تشمل منهجية الإصلاح في القرآن كل العناصر التي تشكل العميلة، فالقرآن الكريم "كتاب إصلاح شامل لا يقتصر على فرد أو طبقة، بل يعالج المجتمع كله".[2]

ومنهجية الإصلاح في القرآن تشمل:

- جميع جوانب الحياة: العقيدة، والأخلاق، والسياسة، والمجتمع، والاقتصاد..
- تشمل الاصلاح الفردي والجماعي.
- تشمل مواجهة الفساد بكل أشكاله.
- تجمع بين العقيدة والمنهج، وبين الفهم والتطبيق.

المبحث الثالث: خصائص منهجيات الإصلاح القرآنية

تمهيد:

تمتاز منهجيات الإصلاح في القرآن الكريم بجملة من الخصائص المنهجية والفكرية التي تجعلها متفردة في بنيتها، وصالحة لكل زمان ومكان، وتشكل بذلك مرجعا أصيلا لكل مشاريع الإصلاح في واقع الأمة، وفيما يلي أبرز هذه الخصائص:

1- خاصية المصدرية الربانية

من أهم ما يميز منهجيات الإصلاح القرآنية أنها صادرة من مصدر إلهي معصوم، وهو الله

---

(1)- مالك بن نبي: فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، دار الفكر، دمشق، ط3، 1422هـ - 2001م، ص 85.

(2)- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م، ج1، ص 21.

سبحانه وتعالى، مما يمنحها صفة الكمال والثبات، فهي ليست اجتهادا بشريا محدودا بالزمان والمكان، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة يوسف: 40)

وفي هذا السياق يقول الزنداني: "إن الإصلاح حين يصدر عن الوحي الإلهي يكون منسجما مع الفطرة متحررا من أهواء البشر، ومتماشيا مع مقاصد الشريعة".[1]

❖ مثال قرآني تطبيقي على خاصية المصدرية الربانية في الإصلاح:

من أبرز الأمثلة الدالة على أن منهج الإصلاح في القرآن يستمد مرجعيته من الوحي الإلهي، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام: 161).

تبرز هذه الآية أن الهداية إلى الطريق المستقيم ومنهج الحياة القويم ليست ثمرة اجتهاد بشري مستقل، بل هو وحي من الله، وأن الأصل في الإصلاح هو الرجوع إلى الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده، لا إلى أهواء الناس أو تجاربهم المحدودة.

كما أن التعبير بـ **"هداني ربي"** يدل على أن كل ما يتفرع من هذا الصراط من تشريعات وتوجيهات إصلاحية إنما تستمد سلطانها ومشروعيتها من ربانية مصدرها، لا من مرجعية بشرية نسبية أو متغيرة، وتقوم على مطلق القيم لا على نسبيتها.

2- خاصية مركزية العقيدة والإنسان وبناء الداخل الإنساني

يشكل التوحيد الأساس الأول في الإصلاح القرآني، حيث تبدأ عملية الإصلاح من العقيدة، باعتبارها الأساس الذي يبنى عليه التغيير الحقيقي وقاعدة البناء الصلب لكل مشروع دعوي أو إصلاحي ناجح، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: 11)

---

[1]- عبد المجيد الزنداني: منهجية الإصلاح في القرآن، دار الإيمان، مصر، ط1، 2004م، ص 22.

تتميز منهجية الإصلاح في القرآن الكريم بالتركيز على العقيدة وعلى الإنسان وبنائه الداخلي لأن العلاقة بينهما علاقة جوهرية وأساسية تنطلق من قاعدة أن "**العقيدة هي المحرك هي المحرك الأول في توجيه الإنسان نحو الصلاح والإعمار**".[1]

❖ مثال قرآني تطبيقية على خاصية مركزية العقيدة وبناء الداخل الإنساني في الإصلاح:

من أبرز الأمثلة الدالة على أن الإصلاح القرآني يبدأ ببناء العقيدة وترسيخ الإيمان في النفوس، قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾ (**سورة إبراهيم: 28**).

قال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: "أي استبدلوا شكر نعمة الله بالكفر به، وأشركوا به غيره، وسعوا في طمس دينه وتبديله وتغييره، وهم قريش ومن سلك سبيلهم من كفار العرب، ومن أشبههم، وقوله " وأحلوا قومهم دار البوار" أي أهلكوهم وباءوا بهم إلى دار البوار، وهي الهلاك والدمار، يوم القيامة إلى النار، ولهذا فسرها بقوله " جهنم يصلونها وبئس القرار".[2]

وفي نفس السورة الكريمة، جعل الله تعالى مفتاح التغيير الحقيقي في النفس البشرية هو الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ (**سورة إبراهيم: 24**) والكلمة الطيبة في قول ابن عباس هي "شهادة أن لا إله إلا الله، "كشجرة طيبة" هو المؤمن، "أصلها ثابت" أي قول لا إله إلا الله في قلب المؤمن، "وفرعها في السماء" يعمل في السماء، ويرفع إليه عمل المؤمن"

وقيل الكلمة الطيبة: الإيمان، والشجرة: المؤمن، شبه بالنخلة لأنه لا يزال يرفع له عمل صالح في كل وقت، كأنما يجنى منه في كل وقت".[3]

هذا التشبيه العظيم الذي يربط بين "الكلمة الطيبة والتي فسرها القرطبي بأنها العقيدة الراسخة وبين الثمار الظاهرة ليبين أن كل إصلاح خارجي لا ينبع من الداخل الإيماني هو إصلاح هش لا يدوم، فالإصلاح في التصور القرآني ليس مجرد تغيير في الهياكل السياسية أو الاجتماعية، **بل هو تحول**

---

(1)- عبد المجيد الزنداني: منهجية الإصلاح في القرآن، المرجع السابق، ص 45.

(2)- إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1998م، مج 3، ص 424.

(3)- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، مج 9، ص317.

يبدأ من القلب والعقيدة والنية والعمل الفردي، ومن ثم ينعكس على المجتمع والدولة.

وجه الدلالة:

_ **مركزية العقيدة:** لأن الكلمة الطيبة هي التي تنبت العمل الصالح، وهي العقيدة الصحيحة.

_ **بناء الإنسان أولا:** فالتغيير الحقيقي يبدأ من النفس قبل الخارج.

_ **الربط بين الإيمان والإصلاح:** الإصلاح لا يؤتي ثماره إلا إذا تأسس على إيمان عميق وبنية داخلية مستقيمة.

3- خاصية الشمولية والتوازن

تتسم منهجيات الإصلاح في القرآن الكريم بالشمولية لكل مجالات الحياة، مع التوازن بين الروح والمادة وبين الفرد والمجتمع.

وتتمثل خاصية الشمولية في هذه المنهجيات في أمرين وهما المجال والوسيلة:

1.شمولية المجال: " هي منهجية شمولية تبحث وتوجه نشاط الإنسان المسلم والعقل المسلم في وجوه إصلاح الحياة كافة وتنظيم أدائها ورعايتها وتطوير طاقتها وإمكاناتها على ما تقتضيه غاية الحياة ووجود الإنسان والكائنات نوعا وكما".[1]

2.شمولية الوسيلة: "فالحياة بكل كائناتها ومكوناتها مجال لأداء سعي المسلم ولذلك فهو مكلف بالسعي بكل وسيلة، ولا قيد على الوسيلة أيا كانت إلا أن تكون وسيلة صحيحة هادفة إلى الإصلاح. تنصرف في موقعها وأدائها إلى عون الإنسان على أداء دوره الخير في خلافة الأرض" [2].

العلاقة بين الشمولية والتوازن في منهجيات الإصلاح القرآني:

1.الشمولية تحقق التوازن: إذ حين يشمل منهج الإصلاح القرآني جميع جوانب الحياة العقيدة، العبادة، الأخلاق، المعاملات، السياسة والاقتصاد، فإنه يمنع الإفراط في جانب على حساب الآخر، مما

---

(1)- عبد الحميد أحمد أبو سليمان: أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 2009م، ص 174.

(2)- المرجع نفسه، ص 175.

يؤدي إلى تحقيق التوازن في شخصية الفرد والمجتمع.

فالتوجيه الرباني لا يقتصر على بناء الروح دون الجسد، ولا يهتم بالمجتمع ويغفل الفرد، **بل يخاطب الإنسان في كل أبعاده،** قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (**سورة البقرة: 208**).

2. **التوازن ثمرة طبيعية للشمولية:** بما أن الإصلاح القرآني يتناول الإنسان ككل متكامل فإن هذا يؤدي إلى اتزان في بناء شخصيته، يقول الزنداني: " الشمول في المنهج الرباني هو الذي ينتج الاعتدال، ويمنع التطرف، ويزرع التوازن في فكر الإنسان وسلوكه"[1] أي أنه يكون متدينا دون غلو، ومصلحا دون عنف، وزاهدا دون تعطيل للحياة، ومجاهدا دون تعد.

3. **كلا الخاصيتين ضروريتان لتحقيق إصلاح فعال:** إذ لا يكفي أن يكون المنهج متوازنا دون أن يكون شاملا، لأن نقص أحد الجوانب يخل بالتوازن وكذلك لا يكفي أن يشمل جميع الجوانب دون تنظيم أولوياتها وتحقيق التناسق بينها.

❖ مثال قرآني تطبيقي يبين خاصية الشمولية والتوازن في منهجية الإصلاح القرآني:

قال تعالى: ﴿**۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (**سورة النحل: 90**)

قال الإمام القرطبي عن هذه الآية: "هذه أجمع آية في كتاب الله للخير والشر، وما ينبغي وما لا ينبغي، حتى قال ابن مسعود: إنها أجمع آية في القرآن للخير والشر".[2]

أي أن هذه الآية الكريمة تعد من أشمل الآيات القرآنية في عرض المبادئ الإصلاحية المتوازنة، حيث جمعت بين:

_الأوامر الأخلاقية والاجتماعية: (العدل، الإحسان، إيتاء ذي القربى).

---

(1)- عبد المجيد الزنداني: منهجية الإصلاح في القرآن، مرجع سابق، ص 82.

(2)- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج 10، ص158.

ـ النواهي الأخلاقية والسلوكية: (الفحشاء، المنكر، البغي).

وهذا يبرز خاصية الشمولية، إذ لم تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة، (كالعقيدة فقط أو السلوك فقط)، بل تناولت أبعادا متعددة: اجتماعية، فردية، أسرية، أخلاقية.

كما أن الترتيب الداخلي للآية يعكس التوازن:

- بدأ بالأوامر البناءة.
- ثم انتقل للنواهي،
- وختم بالتعليل التربوي: "يعظكم لعلكم تذكرون".

وهذا يؤكد أن منهج القرآن الإصلاح القرآني ليس قاسيا ولا متطرفا ولا متسيبا، بل يراعي التوازن بين الترغيب والترهيب، وبين الفرد والمجتمع، وبين الدين والدنيا.

وجه الدلالة:

ـالشمولية: لتناول الآية لمبادئ متكاملة تشمل مختلف جوانب الإصلاح.

ـالتوازن: لمزجها بين الأمر والنهي، وبين العدل والإحسان، وبين الحقوق والواجبات.

4- خاصية الجمع بين مصالح الدنيا والدين (التكامل بين المعاش والمعاد)

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد بأنه لا يركز على إصلاح الحياة المادية فقط (الجانب الدنيوي)، ولا يهملها لحساب الآخرة، بل يجمع بين:

ـ إعمار الأرض وإصلاح المجتمع والدولة.

ـ وتزكية النفس والربط بالمصير الأخروي.

يقول الطاهر بن عاشور: "القرآن جامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها من

خلال تدبره أو مطالعة كلام مفسره".[1]

❖ **مثال قرآني تطبيقي يجسد خاصية الجمع بين الدنيا والآخرة في منهجية الإصلاح القرآني:**

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ **(القصص: 77)**

هذه الآية الكريمة تبين المنهج الرباني في التعامل مع المال والنجاح الأخروي:

ـ "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة": توجيه صريح نحو الغاية الأخروية للإصلاح، أي أن ما تملكه من مال ونفوذ يا ابن آدم يجب أن يسخر في بناء الآخرة، من خلال الصدقة، البر، العدل، التقوى.

ـ ولا تنسى نصيبك من الدنيا": هنا توازن دقيق، فالقرآن لا يدعو إلى الزهد السلبي أو رفض الدنيا، بل إلى الاعتدال في التمتع بها دون غفلة أو إسراف.

ـ "وأحسن كما أحسن الله إليك": دعوة إلى ممارسة الإحسان الاجتماعي أي توجيه المال والنعمة نحو خدمة الناس، وهو جانب دنيوي مجتمعي من الإصلاح.

وجه الدلالة: الآية الكريمة تعد نموذجا حيا على خاصية الجمع بين الدنيا والآخرة في الإصلاح:

ـ لا يفصل بين الإيمان والعمل، ولا بين النية الأخروية والسلوك الدنيوي.

ـ تقدم منهجا متوازنا في استخدام المال والنفوذ لخدمة الإصلاح الشامل.

ـ تجمع بين الإصلاح الفردي (تزكية النفس) والاجتماعي (الإحسان إلى الناس).

5- خاصية التنوع والتوحد في التعدد (التنوع ضمن الوحدة)

تتمثل هذه الخاصية في منهجية الإصلاح في القرآن في "قدرة هذا القرآن العظيم على بناء

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص5.

المنهج العلمي الكوني القادر على إعادة بناء الإنسانية من خلال المنهج والمعرفة والثقافة وإحداث التغيير في العالم كله، واحتواء سائر تناقضاته والقضاء على سلبياتها وتحويلها إلى عوامل تفاعل بناء، وتجاوز ثنائيات الصراع والتقابل إلى وحدة في تنوع وتوحد في تعدد."[1]

والمقصود بهذا الكلام، أن القرآن يقدم منهجا إصلاحيا مرنا:

_ يقر بوجود تنوع في الوسائل والأساليب والمواقف الإصلاحية حسب الزمان والمكان والحال.

_ لكنه في الوقت ذاته يحافظ على وحدة الأصول والمقاصد والمرجعيات، بحيث لا يتحول التعدد إلى فوضى أو تفرق.

❖ مثال قرآني تطبيقي عن خاصية التنوع والتوحد في التعدد في منهجية الإصلاح القرآني:

إن عرض مواقف الأنبياء عليهم السلام المتنوعة في الإصلاح مع وحدة العقيدة والرسالة يبين هذه الخاصية بالشكل المناسب، ومثال ذلك:

1. موقف إبراهيم عليه السلام:

دعا نبي الله إبراهيم عليه السلام أهله وقومه بالحوار العقلي الهادئ كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ (**سورة الأنعام: 74**).

ثم استخدم أسلوب المحاججة العقلية مع قومه من خلال استخدام أسلوب التأمل والتدبر في خلق الله، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (**الأنعام: 76– 79**)

2. موقف موسى عليه السلام:

أما موسى عليه السلام فقد تضمنت رسالته الإصلاحية مواجهة الطغيان السياسي والاقتصادي للطبقة الفرعونية الحاكمة، واستعمل هو وأخاه هارون عليه السلام أسلوب المواجهة، قال تعالى: ﴿**فَأْتِيَا**

[1]- محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، مرجع سابق، ص 9-10.

فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الشعراء: 16)

3.موقف يوسف عليه السلام:

مارس يوسف عليه السلام الإصلاح من داخل مؤسسات الحكم، وطبق العدل والشفافية في الاقتصاد والتوزيع، قال تعالى: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ **(يوسف: 55)** فكان أسلوب الإصلاح عنده بالتمكين والتخطيط وليس بالمواجهة.

وجه الدلالة: رغم تنوع السياقات والأساليب والوسائل الإصلاحية لكل نبي:

- إبراهيم عليه السلام: حوار فكري
- موسى عليه السلام: مواجهة الطغيان
- يوسف عليه السلام: إصلاح مؤسسي

إلا أن الهدف واحد: عبادة الله، تحقيق العدل، إزالة الفساد، الدعوة إلى التوحيد.

6- خاصية الواقعية والمرحلية

من خصائص منهجية الإصلاح في القرآن أنها منهجيات واقعية وتراعي شرط المرحلية والتدرج في العمل، فالقرآن الكريم يتعامل مع الإنسان في واقعه كما قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ **(البقرة: 286)**

إن القرآن الكريم اعتمد مبدأ الواقعية، فشرع الأحكام بما يناسب أحوال الناس وقدراتهم، كما راعى مراحل التلقي والتدرج في الانتقال من حال إلى حال".[1]

❖ **مثال قرآني تطبيقي لخاصية الواقعية والمرحلية في منهجية الإصلاح القرآنية:**

انموذج دعوة موسى عليه السلام لفرعون:

قال الله تعالى: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾ **(طه: 44)**.

ثم قال: ﴿**فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا**﴾ **(الفرقان: 36)**

---

[1]- أحمد السيد: سنن الإصلاح في القرآن الكريم، دار السلام، القاهرة، ط1، 2019م، ص78.

وفي النهاية: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ والأولى﴾ (النازعات: 25)

وجه الدلالة على خاصية الواقعية والمرحلية في الإصلاح هو:

ـ **الواقعية:** حيث جاءت الدعوة الأولى لموسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون بلطف ورفق رغم طغيانه، مراعاة للواقع السياسي والديني، وموقع فرعون في قومه، وعدم إغلاق باب الاستجابة.

ـ **المرحلية:** تعامل الخطاب الإلهي مع فرعون بمراحل إصلاحية: (المرحلة الأولى: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة)، (المرحلة الثانية: إرسال الآيات والمعجزات واحدة تلو أخرى) (المرحلة الثالثة: إهلاك فرعون بعد استنفاذ فرص التذكير والهداية).

إن هذا المثال القرآني يبين أن المنهج الإصلاحي في القرآن الكريم يراعي طبيعة المدعو وظروف الواقع، ولا يبدأ بالعقوبة أو المواجهة بل بالحوار واللين، مما يمثل واقعية في الفهم، وتدرجا في الخطاب والإجراء، وهي من أهم الخصائص المنهجية في الإصلاح القرآني.

7- خاصية الاستمرارية والثبات على المبدأ

إن "الثبات على الحق عنصر جوهري في الخطاب الإصلاحي القرآني لا يتزحزح عنه الداعية ولو بلغ الأذى أقصاه، إذ لا قيمة لمنهج لا يصمد عند المحكات"[1]، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة الأحقاف: 35)، فهذه الآية الكريمة تتضمن حقيقة أن "الإسلام لا يعرف الإصلاح المرحلي الذي يتغير بتغير الزمان والمكان، بل هو إصلاح ثابت المصدر، واحد المبدأ، قائم على قواعد لا تتبدل، لأن مصدره إلهي لا يخضع لأهواء البشر". [2]

❖ مثال قرآني تطبيقي عن خاصية الاستمرارية والثبات على المبدأ في منهجية الإصلاح:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

---

(1)- عبد المجيد عوض: منهج القرآن الكريم في الإصلاح العقدي والاجتماعي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003م، ص 121.

(2)- محمد سعيد رمضان: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983م، ص 112.

(سورة العنكبوت: 14)

وجه الدلالة: يدل هذا النص القرآني على ثبات نوح عليه السلام في دعوته الإصلاحية لمدة 950 سنة، دون أن يتراجع أو يلين رغم:

_ الإعراض الشديد من قومه.

_ التكذيب والسخرية.

_ قلة الاستجابة

هذا الثبات يظهر خاصية "الاستمرارية والثبات على المبدأ"، حيث بقي نوح متمسكا بمنهجه الإصلاحي، لم يساوم على العقيدة أو يغير خطابه، بل واصل دعوته ليلا ونهارا، سرا وعلانية، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا**﴾ **(سورة نوح: 5)**

المبحث الرابع: المحددات المنهجية لفهم الإصلاح في القرآن الكريم

تمهيد:

إن الباحث في موضوعات القرآن وفي الخطاب القرآني يجد تنوعا وتعددا، وهذا التنوع والتمايز يستدعي اختيار المناهج المناسب والآليات المحددة للتعامل معها.

وقد حدد بعض المفكرين والعلماء المسلمين المحدَّدات والقواعد والإشارات المنهجية التي يمكن من خلالها التعامل المنهاجي مع القرآن الكريم لمن رام استخراج كنوز القرآن الكريم.

❖ **المحددات المنهجية في التعامل مع القرآن الكريم بصفة عامة:**

إن "**المداخل المنهاجية** التي تتضمن جملة من القواعد المنهجية في كيفية التعامل مع الخطاب القرآني هي:

أ –تحديد الموضوع الذي يراد دراسته في ظل فهم واع بالموضوعات المعنية بالدارسة.

ب –جمع الآيات التي ترتبط بتلكم الموضوعات في سياق واحد.

ج –ترتيب وتصنيف للآيات بما يحقق اختصاص كل موضوع بمجموعة آياته ونصوصه المختلفة.

د –فهم الآيات المجموعة في إطارها النصي، وهنا يستعان بالتفاسير الجزئية لمختلف النصوص بعد تصنيفها.

هـ –ضرورة البحث عن الرابط الموضوعي بين هذه الآيات من خلال قواعد منهجية وضوابط جامعة بغية تأسيس منظومة موضوعية تصب في مقصود البحث وهو الوصول إلى قواعد تنظيرية تكون مرجعاً للموضوع المعني.

و –ربط القواعد التنظيرية بمقاصد الشرع والرؤية القيمية الكلية بغية تنزيلها على الواقع المعاصر والإجابة على إشكالاته القائمة".[1]

❖ الأطر المنهجية للتعامل مع النص القرآني في سياق الإصلاح:

يعد موضوع الإصلاح في القرآن الكريم من المحاور المركزية التي تتطلب منهجية دقيقة في التعامل معها، سواء من حيث المفهوم أو من حيث الاستنباط والتحليل، ومن أجل ضمان فهم سليم ومتوازن لهذا المفهوم، فإن الباحث في هذا المجال مطالب بمراعاة جملة من المحددات المنهجية التي تشكل إطارا علميا يضمن له الابتعاد عن التعسف في التأويل أو الاسقاطات الذاتية، ومن أبرز هذه المحددات:

1. تحديد موضوع الإصلاح وتحديد دلالاته في السياق القرآني:

ينبغي للباحث أن يضبط المصطلح الأساسي وهو "الإصلاح"، مع تتبع مشتقاته واستعمالاته السياقية وربطها بمقابلها من مصطلح "الفساد"، ذلك أن "ضبط المفاهيم أمر أساسي، إذ لا يمكن الوصول إلى نتائج صحيحة دون فهم دقيق للمصطلح في سياقه العام والخاص".

2. حصر الآيات ذات الصلة وتتبعها موضوعيا:

يتطلب الفهم المنهجي تتبع الآيات التي تتضمن لفظ "الإصلاح" أو ما يدل عليه من مفاهيم مثل

---

[1]- فارس العزاوي: القرآن المجيد. دراسة حول المفهوم والمحددات المنهجية شبكة الالوكة الموقع الإلكتروني:: https: //www.alukah.net (تاريخ الزيارة: 1/ مارس/2022م)

"الصلاح" "الفساد «،» المصلحين" وربطها ببعضها البعض، ضمن أسلوب التجميع الموضوعي للآيات.

3. تصنيف الآيات حسب مضامينها وتحت عناوين جزئية:

تعد هذه الخطوة ضرورية في تنظيم المادة القرآنية المتعلقة بالإصلاح، بحيث يتم تجميع الآيات في محاور فرعية تسهل فهم المنهج العام، حيث أن "منهج القرآن يقوم على تكرار المعاني بألفاظ مختلفة، ولذلك لابد من جمع أطرافه واستقراء مواضعه للوصول إلى دلالته المتكاملة".[1]

4. التحرز من الانتقائية والتسرع في التفسير:

ينبغي توخي الحذر من القراءة الانتقائية أو إسقاط المعاني المسبقة، والحرص على استحضار أقوال المفسرين، لاسيما في المواضع التي تحتمل أكثر من معنى، "فالقرآن يفسر بعضه بعضا، ومن لم يربط بين المواضع المختلفة فقد أخطأ السبيل في التفسير".[2]

5. ضرورة الربط الموضوعي بين الآيات وتحقيق وحدة السياق:

يعد الربط بين الآيات القرآنية التي تتناول الإصلاح شرطا لفهم البنية المفهومية المتماسكة لهذا الموضوع وهو ما يسميه بعض الباحثين ب "التفسير الموضوعي"، كما أن "الخطاب القرآني يمتاز بوحدة موضوعية، لا يمكن إدراكها إلا من خلال نظرة شاملة تتجاوز التجزئة الظاهرية للنصوص".[3]

6. الربط بين مقاصد الشريعة والواقع:

يتطلب فهم الإصلاح في القرآن الكريم ربط المبادئ النظرية بمقاصد الشريعة الكبرى كالعدل، والحرية، والتوحيد، وربطها كذلك بالواقع المعاش، تحقيقا لمبدأ تنزيل النص على الواقع، وقد شدد العلامة الطاهر بن عاشور على هذا البعد بقوله: "القرآن الكريم لم ينزل ليحفظ ويتلى فقط، بل ليفهم ويطبق في واقع الناس".[4]

---

(1)- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، القاهرة، ط1، 2000م، ص 47.

(2)- محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص 18.

(3)- محمد عبد الله الشرقاوي: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم مفهومه، منهجه وضوابطه، دار السلام، القاهرة، ط1، 2015م، ص 89.

(4)- محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، مقدمة التفسير، مصدر سابق.

إن مراعاة هذه المحددات المنهجية تمثل ركيزة أساسية لفهم الإصلاح القرآني فهما متكاملا وعميقا، كما أن تجاهل هذه المحددات قد يؤدي إلى انزلاق نحو قراءات مبتورة أو إسقاط أيديولوجيته لا تمت لروح النص القرآني بصلة، ومن هنا تظهر الحاجة الملحة إلى اعتماد منهج متكامل يجمع بين الضبط المفاهيمي والربط السياقي واستحضار المقاصد الشرعية والاتصال بالواقع.

المبحث الخامس: مفاتيح استنباط منهجيات الاصلاح من القرآن الكريم

تمهيد:

تتطلب عملية استنباط منهجيات الإصلاح بالمرور بمرحلة أساسية هي مرحلة التأمل الواعي في النصوص، والتفكير المنهجي في مضامين الآيات، مع الالتزام بأدوات وضوابط علمية دقيقة تضمن سلامة الفهم، وتعين على الوصول إلى المقاصد الإصلاحية.

وتعد عملية الاستنباط من القرآن عملية مركبة، تحتاج إلى إعمال جملة من العلوم المساعدة على فهم النص وفق مراد الله تعالى.

ومن هنا، فإن الحديث عن منهجيات الإصلاح في ضوء القرآن الكريم لا ينفك عن بيان المفاتيح المنهجية التي يبنى عليها الاستنباط، والتي تشكل مدخلا ضروريا لفهم الأطر التصورية والمعرفية للنص القرآني في سياقه الإصلاحي.

المطلب الأول: المفاتيح المتعلقة بالنص القرآني

أ-السياق العام:

"لقد عني المفسرون منذ وقت مبكر بالسياق القرآني، لما له من أثر فاعل في الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه، وكان له حضور بارز إلى جانب القرائن الأخرى كأسباب النزول واللغة والعموم وربّما قدم على بعضها أو تحكم بها، لتوقف المعنى العام عليه إنه عند التفاضل بين هذه القواعد لابد من مراعاة السياق دائما فهو المقصود بهذه القواعد حتى يفهم على وجهه."

دور معرفة السياق العام في استنباط منهجيات الإصلاح:

يعد فهم السياق العام من المفاتيح الأساسية في استنباط منهجيات الإصلاح في القرآن الكريم، إذ يعين الباحث على تحديد الإطار الموضوعي والظرفي الذي وردت فيه الآيات، مما يساعد على إدراك المقاصد الإصلاحية الكبرى.

مثال تطبيقي: يعكس السياق العام لسورة يوسف غربة يوسف عليه السلام في بيئة لا تعرف الله، واضطهاده، ثم صبره وثباته، ثم صعوده إلى موقع التأثير والإصلاح من داخل منظومة فاسدة، ومن خلال هذا السياق، استنبطت منهجية قرآنية للإصلاح مفادها " منهجية الإصلاح من الداخل دون صدام وعبر التدرج حتى بلوغ موقع القرار والتأثير".

ب– معرفة سبب النزول:

سبب النزول هو: "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه مبينة لحكمه، وعلى هذا فسبب النزول هو حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أو سؤال وجّه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو جواب هذا السؤال."

تعد معرفة سبب النزول «أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحق القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدّوا في الطلاب وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في العلم بالنار".[1]

دور معرفة سبب النزول في استنباط منهاجيات الإصلاح: تعد معرفة سبب النزول من المفاتيح المركزية لفهم الآيات الإصلاحية في سياقها الواقعي، فهي تكشف الملابسات الاجتماعية أو السياسية أو العقدية التي أدت إلى نزول الآية، مما يعين الباحث على استنباط المنهج القرآني في التعامل مع تلك الإشكالات.

وقد أكد الزركشي على هذه الأهمية بقوله: "معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم

[1]-علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب النزول، دار الاصلاح، المملكة العربية السعودية، ط2، 1416هـ، ج1، ص8.

بالسبب يورث العلم بالمسبب".[1]

_مثال تطبيقي: قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ **(القصص: 4)**

إن معرفة الخلفية التاريخية لحال فرعون من حيث الطغيان والتفرقة والفساد، تظهر أن منهجية الإصلاح القرآني في مواجهة الاستبداد تقوم على فضح الظلم، وتعزيز الوحدة، والتذكير بالمصير، وهي منهجية لا يمكن استنباطها بدقة إلا بفهم سبب نزول الآيات المرتبطة بهذا السياق.

ج- المناسبات:

"علم مناسبات القرآن علم تعرف منع علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو."[2]

يقول الإمام الزركشي رحمه الله: "وفائدته (علم معرفة المناسبات) هو جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء.[3]

دور علم المناسبات في استنباط منهجيات الإصلاح:

يعد علم المناسبات من العلوم المهمة لفهم البناء الموضوعي للقرآن الكريم، إذ يكشف عن العلاقة بين الآيات والسور، ويساعد على ربط الجزئيات بالكل القرآني، ومن ثم، فإن إدراك مناسبة الآية لما قبلها أو بعدها يوجه الباحث نحو فهم منهجي مترابط، يمكن من خلاله استنباط منهجية الإصلاح في سياقها المتكامل.

مثال تطبيقي: من الأمثلة البارزة على توظيف علم المناسبات في استنباط منهج الإصلاح، ما نجده في سورة الأعراف، حيث تتتابع قصص عدد من الأنبياء، بدءا من نوح إلى موسى عليهم السلام، في سياق

---

[1]- محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، ط3، 1984م، ج1، ص103.

[2]- ابراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط 1، د ت، ج1، ص6.

[3]- محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج1، 36.

واحد متصل، يخدم غرضا إصلاحيا عاما.

فجاءت هذه القصص متعاقبة لترسخ في وعي القارئ أن الإصلاح سنة متكررة، تواجه أنماطا متشابهة من الانحراف والفساد، وتقتضي منهجيات متعددة ولكنها مرتبطة بأصل الوحي ومرجعيته، فجاء ترتيب القصص وفق تصاعد في شدة المواجهة مما يوحي بأن الإصلاح يمر بمراحل ويستلزم الحكمة والتدرج والاتكال على الله.

د- القصة:

"إن في القصص القرآنية لعبرا جمة وفوائد للأمة، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها، ويعرض عما عداه، ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها، ومن أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها، لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، هو ذكر وموعظة لأهل الدين فهو بالخطابة أشبه، وللقرآن أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر، فكان أسلوبه قاضيا للوطرين وكان أجلّ من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها **لأن سوقها في مناسباتها يكسبها صفتين صفة البرهان وصفة التبيان.**"

وقد تتكرر القصة الواحدة في القرآن، غير أن هذا التكرار لا يعني التكرار المجرد، بل يحمل في كل مرة دلالة جديدة وفائدة مستقلة لا توجد في المواضع الأخرى، ويعود ذلك إلى اختلاف السياق الذي وردت فيه القصة، واختلاف الغايات والمقاصد مما يضفي على التكرار عمقا بيانيا وتأثيرا عقليا ووجدانيا، بحيث يذكر جزء منها في موضع ويستكمل في موضع آخر بما يتناسب مع المقام دون أن يكون هناك تكرار عبثي أو لا غرض له.

دور القصة في استنباط منهجيات الإصلاح:

دور القصة في استنباط منهجيات الإصلاح دور محوري ومتكامل، فهي تقدم نماذج من المصلحين في مختلف العصور (مثل نوح، وإبراهيم، وموسى، ويوسف، ومحمد عليهم السلام)، مما يسمح باستنباط السمات المشتركة بين منهجيات الإصلاح، رغم اختلاف السياقات الزمانية والمكانية.

ملاحظة: تناولنا القصة القرآنية باعتبارها إحدى منهجيات الإصلاح، وقد جرى بيان دورها بوصفها أداة منهجية فعالة، من خلال تحليل دقيق يبرز أبعادها الإصلاحية وتجلياتها في السياق القرآني.

هـ- الكلمة القرآنية:

كل كلمة وردت في القرآن الكريم لها مغزى ولها دلالتها الخاصة التي لا يمكن أن تحملها أخرى وإن بدت مرادفة لها، "فكل كلمة في القرآن تمثل ذروة البلاغة، تتألق بتضاعيف بديعة وتبدو كغرة الكلام بعطرها الخاص".[1]

دور الكلمة في استنباط منهجيات الإصلاح:

إن دور الكلمة القرآنية في استنباط منهجيات الإصلاح بالغ الأهمية، لأن القرآن الكريم لا يستخدم الألفاظ اعتباطا، بل كل كلمة فيه مختارة بعناية، تحمل دلالات دقيقة تخدم المعنى والمقصد الإصلاحي، ومن أهم الأدوار التي تؤديها:

ـ **توجيه دقيق للمفاهيم الإصلاحية:** الكلمة في القرآن تأتي محملة بدلالات لغوية وسياقية تؤسس لفهم المفاهيم الكبرى مثل: الإصلاح، الفساد، التغيير، الظلم، العدل، الأمر بالمعروف...ما يساعد على ضبط المفاهيم الإصلاحية وعدم الانزلاق في تأويلات خاطئة، مثل الفرق بين "الإصلاح «و"الإحسان" و"التقوى".

ـ **بناء المنهج من خلال التكرار والتركيز:** فتكرار كلمات معينة مثل: الفساد، الصلاح، الظلم، العدل، التغيير...في سياقات متنوعة يساعد على رصد معالم المنهج الإصلاحي القرآني، والتعرف على محاورها.

مثال: تكرار كلمة "الفساد" في سياقات مختلفة يدل على تنوع مظاهره، ما يقتضي تعدد الوسائل الإصلاحية.

ـ **الربط بين اللفظ والسياق العملي:** الكلمة ترتبط بالسياق الذي وردت فيه، فتوجه فهم المصلح إلى الآلية المناسبة للعمل، سواء تعلق الأمر بخطاب الأفراد، أو مواجهة الفساد، أو الصبر على الأذى، أو

[1]- أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط1، د ت، ص 64.

التخطيط للتغيير.

مثال: استخدام كلمة "لينا" في قوله تعالى: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾ (**طه: 44**) يرشد إلى المنهج اللغوي والنفسي في الإصلاح حتى مع رموز الطغيان.

هذه بعض أدوار الكلمة القرآنية التي تدل بأنها ليست مجرد لفظ، بل هي مفتاح لفهم المنهج الإصلاحي.

مثال تطبيقي: يوضح هذا المثال كيف تستنبط منهجية الشورى من خلال كلمة واحدة وردت في السياق القرآني، وهي كلمة "وشاورهم" في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (**سورة آل عمران: 159**)

ـ جاءت الكلمة " وشاورهم" بصيغة أمر موجه للنبي صلى الله عليه وسلم مع أنه مؤيد بالوحي، مما يدل على أن الشورى ليست أمرا شكليا، بل منهجية في إدارة الشأن العام، ومنهج أصيل في الإصلاح السياسي والاجتماعي، فمن خلالها فقط يمنع الاستبداد، وتتعزز المسؤولية الجماعية.

المطلب الثاني: المفاتيح المتعلقة بالمستنبط لمنهجيات الإصلاح في القرآن الكريم

لا يمكن استنباط منهجيات الإصلاح من القرآن الكريم بصورة عشوائية أو تلقائية، بل يتطلب ذلك توفر جملة من المؤهلات العلمية والضوابط المنهجية في المصلح الذي يسعى إلى استمداد منهجيته من الوحي، إذ لابد أن يتحلى بمفاتيح منهجية معينة، تمكنه من الغوص في النص القرآني واستنطاق آياته بما ينسجم مع روح الإصلاح ومقاصده الكلية، بعيدا عن الإسقاط أو التسرع أو التجزئة، ويسلط هذا المطلب الضوء على أهم تلك المفاتيح التي ينبغي توافرها في المستنبط، باعتبارها شرطا في سلامة البناء المنهجي واستقامة المخرجات الإصلاحية.

أولا: النية الصادقة والتجرد من الأهواء

إن الاستنباط هو عمل تعبدي في جوهره يراد به فهم كلام الله سبحانه وتعالى، ولذلك اعتبر العلماء الإخلاص في النية والتجرد من الأهواء والمصالح من الشروط الأساسية لمن أراد استنباط منهجيات الإصلاح

من القرآن، قال الإمام الشوكاني: " ومن أعظم ما يعين على فهم كلام الله إخلاص النية في طلب الحق، ومجانبة التعصب، فإن المخلص يفتح له ما لا يفتح لغيره".[1]

وقال الإمام الشاطبي: "صاحب البدعة إذا استدل بالقرآن لا يفهم منه إلا ما يوافق هواه.... فالنية الفاسدة تضلل الفهم وتزيغ به عن جادة الاستقامة".[2]

ثانيا: الالتزام بضابط التعبد والابتعاد عن المعاصي

إن المعصية تنكت على قلب المؤمن نكتة سوداء تزاح بالتوبة وتتعمق بالإصرار، وللمعصية أثرها السلبي على الذهن، كما قال في ذلك الإمام الشافعي رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي[3]

وإلى هذا المعنى أشار بن القيم الجوزية أيضا، وذلك في نونيته الشهيرة حيث قال:

فالقلب بيت الرب جلّ جلاله حبا وإجلالا مع الإحسان

فإذا تعلق بالسماع أصاره عبدا لكل فلانة وفلان

حب الكتاب وحب ألحان الغنا في قلب عبد ليس يجتمعان.[4]

"وقد كان علماء هذه الأمة يبدؤون في استهلال دروسهم وأعمالهم العلمية عادة بحديث "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" رجاء رفع عملهم ذاك إلى مقام التعبد".[5]

ثالثا: العلم بالعلوم الشرعية والقرآنية

يعد تحصيل العلوم الشرعية شرطا أساسيا، لا يستغني عنه المصلح الذي يبتغي بناء مشروع إصلاحي على هدي القرآن، إذ إن الجهل بالعلوم الشرعية يؤدي إلى قراءة مبتورة للنصوص، ويفضي إلى إسقاطات لا

---

(1)- محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفكر، بيروت، ط1، 1999م، ص 198.

(2)- إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج1، ص69.

(3)- ديوان الإمام الشافعي: دار المعرفة، بيروت، ط3، 2005م، ص 70.

(4)- محمد ابن ابي بكر ابن قيم الجوزية: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1428هـ، ص273.

(5)- فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، مرجع سابق، ص 25.

تعبر عن مراد الله عز وجل، وقد شدد ابن القيم على أن من يتناول النص بلا أدوات صحيحة قد يضل ويضل فقال: " أكثر فساد التأويل من جهة تقديم ما ليس بدليل، أو الاعتماد على فهم لم يبن على علم راسخ".[1]

رابعا: الوعي بمقاصد القرآن الكلية

إن فهم الغايات الكبرى للإصلاح (مثل التوحيد، إقامة العدل، تحقيق الرحمة، حفظ الفطرة، إصلاح الواقع...) شرط أساسي قبل الخوض في التفاصيل، فهذا يوجه المستنبط إلى رؤية الإصلاح في سياق شمولي لا تجزيئي، " فمن يميل إلى ما دون المقاصد فقد غير الشريعة ومن غيرها فقد أبطل عمله"[2]

خامسا: التمكن من اللغة العربية وأسرار البيان القرآني

يعد فهم البلاغة، وفنون التعبير، والصيغ الصرفية، أمر أساس لاستنباط المنهج، مثلا: الفرق بين "أصلحوا" و"يصلحون" له أثر في تحديد طبيعة الإصلاح (أمر مباشر، صفة ملازمة).

وتتأكد ضرورة تعلم اللغة العربية في هذا العصر مع ابتعاد كثير من الناس عن الملكة اللغوية السليمة، وهو ما أدى إلى ضعف القدرة على إدراك معاني الآيات القرآنية، ومن ثم أصبحت الأداة اللغوية عنصرا أساسيا لا غنى عنه لفهم دقيق لمعاني القرآني، وقد نبَّه ابنُ خلدون على ذلك بقوله:

"فلمَّا جاء الإسلامُ، وفارقوا الحجاز ...وخالطوا العجمَ – تغيرت تلك الملكةُ بما ألقى إليها السَّمعُ من المخالفاتِ التي للمستعربين من العجم؛ والسمع أبو الملكات اللسانية؛ ففسدت بما أُلقي إليها مما يغايرها لجنوحِها إليه باعتبارِ السمع، وخشي أهلُ الحلوم منهم أن تفسدَ تلك الملكة رأسًا بطولِ العهد؛ فينغلق القرآنُ والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامِهم قوانين لتلك الملكة مطَّردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائرَ أنواعِ الكلام، ويلحقون الأشباه منها بالأشباه"[3]

إن الباحث الذي لا يميز الاستعارة المكنية من الاستعارة التصريحية، أو لا يعرف بأن الغرض من

---

(1)- محمد بن أبي بكر ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مرجع سابق، ج 1، ص 191.

(2)- إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، مصدر سابق، ج4، ص431.

(3)-عبد الرحمان بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوي الشأن الأكبر (المقدمة)، دار الفكر، بيروت، ط1، 2016م، ص 566.

السؤال هو الاستنكار لا الاستعلام، كما أن الذي لا يميز الفعل من الفاعل لا يستطيع أن يستنبط منهجيات الإصلاح من خلال القرآن الكريم، فالكلمة القرآنية لا تؤدي معناها كاملا إلا ضمن بنيتها وسياقها.

سادسا: الوعي بالواقع ومتغيراته

من الشروط الضرورية لاستنباط منهجيات الإصلاح من القرآن الكريم: الوعي بالواقع ومتغيراته، فالمصلح الذي يستنطق النصوص القرآنية لا ينبغي أن يكون بعيدا عن واقع الناس، بل لابد أن يمتلك بصيرة في فهم المشكلات المعاصرة، والوقوف على حاجات المجتمعات وتحولات الفكر والسلوك والأنظمة، وقد عبر عن ذلك الدكتور يوسف القرضاوي بوضوح حيث قال: "لابد للداعية والمجتهد المعاصر من جمع بين فقه النص وفقه الواقع، فإن الاقتصار على أحدهما يوقع في الخلل ويؤدي إلى عجز المشروع الإصلاحي عن مواجهة التحديات الفعلية".[1]

سابعا: استشارة أهل العلم

من المعايير المنهجية التي ينبغي للمستنبط لمنهجيات الإصلاح من القرآن الكريم أن يراعيها: الرجوع إلى أهل العلم الراسخين واستشارتهم، إذ لا يستغنى عن رأيهم في بيان دقائق المعاني لضمان صحة الفهم وتجنبا للزلل، قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (**النحل: 43**)

ثامنا: الاعتماد على كتب التفسير

التفسير هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ρ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، وهو قسمان:

التفسير بالمأثور: ويعتمد على ما جاء في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين من تفسير لكلام الله عز وجل.

التفسير بالرأي: ويرتكز على قواعد اللغة ومصادر الاجتهاد المعتمدة بين العلماء، دون إهمال لمصادر

---

[1]- يوسف القرضاوي: الاجتهاد في الشريعة الإسلامية: مع نظرات تحليلية في اجتهادات العصر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1994م، ص 23.

التفسير بالمأثور.[1]

فالتفسير علم لا بد منه، لتوضيحه معاني كلام الله عز وجل، واشتماله على نتائج التدبر لآياته.[2]

بهذه المفاتيح يمكن للمستنبط أن يخرج رؤى إصلاحية مستمدة من الوحي بروح أصيلة، ويبقى التوفيق من فضل الله تعالى على عباده، وعلى الباحث استحضار شروط الاجتهاد ثم يبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

نتائج الفصل الأول:

بعد الانتهاء من معالجة مباحث هذا الفصل، والتي تناولت المفاهيم الأساسية المتعلقة بمصطلحات المنهجية والإصلاح ومنهجية الإصلاح في القرآن، وبيان أهمية دراسة منهجيات الإصلاح القرآني وخصائصها، فضلا عن تسليط الضوء على المحددات المنهجية والمفاتيح المعرفية التي تعين الباحث في عملية الاستنباط، يمكن استخلاص جملة من النتائج المهمة التي تمثل خلاصة ما توصلنا إليه في هذا الفصل، وهي:

1. فيما يتعلق بضبط المصطلحات:

- تبين أن مصطلح المنهجية يدل على المسار المنظم للوصول إلى الغايات.
- أما مصطلح الإصلاح فهو يدل على إزالة الفساد بصفة عامة، ويحيله السياق القرآني إلى إزالة الفساد وإرجاع الأمر إلى ما ينبغي عليه وفق المرجعية الإسلامية.
- والمقصود بمنهجية الإصلاح في القرآن فهي: تلك القواعد والأسس المستنبطة من القرآن الكريم والتي توجه عملية الإصلاح في الواقع وفق مراد الله تعالى، بما يضمن التوازن بين الثبات والمرونة، والوسيلة والمقصد.

2. **أهمية معرفة منهجيات الإصلاح وتفعيلها:** أظهرت الدراسة أن معرفة منهجيات الإصلاح كما وردت في القرآن الكريم ضرورة حتمية، إذ تسهم في:

---

[1]- وهبة الزحيلي وآخرون: الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م، ص990.

[2]- عبد المحسن بن حمد العباد البدر: أهمية العناية بالتفسير والحديث والفقه، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، ط1، 1425هـ، ص7.

_ الاهتداء إلى الصراط المستقيم في الإصلاح.

_ تفعيل مرجعية الوحي.

_ تحديد المشروع الإصلاحي بطريقة واضحة.

_ تفادي الأخطاء والانزلاقات المنهجية.

_ التخطيط الجيد.

_ تحقيق الشمولية.

3. فيما يخص خصائص منهجيات الإصلاح القرآنية: تميزت هذه المنهجيات بعدد من الخصائص، من أبرزها:

_ خاصية المصدرية الربانية.

_ خاصية مركزية العقيدة والإنسان وبناء الداخل الإنساني.

_ خاصية الشمول والتوازن.

_ خاصية الجمع بين مصالح الدنيا والدين. (التكامل بين المعاش والمعاد).

_ خاصية التنوع والتوحد في التعدد. (التنوع ضمن الوحدة)

_ خاصية الواقعية والمرحلية.

_ خاصية الاستمرارية والثبات على المبدأ.

4. حول المحددات المنهجية لفهم الإصلاح في القرآن الكريم: اتضح أن فهم منهج الإصلاح في القرآن الكريم يتوقف على جملة من المحددات المنهجية، أبرزها:

_ المحددات المنهجية في التعامل مع النص القرآني بصفة عامة: تحديد الموضوع المراد دراسته – جمع الآيات المرتبطة به _ ثم ترتيبها وتصنيفها – فهمها ودراسة تفاسيرها – الوصول إلى قواعد تنظيرية تكون مرجعا للموضوع وربطها بمقاصد الشرع بغية تنزيلها إلى الواقع المعاصر.

_ المحددات المنهجية للتعامل مع النص القرآني في سياق الإصلاح:

-تحديد موضوع الإصلاح وتحديد دلالاته في السياق القرآني- حصر الآيات ذات الصلة وتتبعها موضوعيا _تصنيف الآيات حسب مضامينها وتحت عناوين جزئية -التحرز من الانتقائية والتسرع في التفسير _ضرورة الربط الموضوعي بين الآيات وتحقيق وحدة السياق _الربط بين مقاصد الشريعة والواقع.

5. **مفاتيح استنباط منهجيات الإصلاح من القرآن الكريم:** خلص البحث إلى أن استنباط منهجيات الإصلاح من القرآن الكريم يقتضي توفر جملة من المفاتيح العلمية المتعلقة بالنص، وبجملة من المفاتيح العلمية والخلقية في المستنبط، من أهمها:

_ **المفاتيح المتعلقة بالنص القرآني:** السياق العام – معرفة سبب النزول- المناسبات- القصة- الكلمة القرآنية.

_ **المفاتيح المتعلقة بالمستنبط:** النية الصادقة والتجرد من الأهواء- الالتزام بضابط التعبد والابتعاد عن المعاصي- العلم بالعلوم الشرعية والقرآنية – الوعي بمقاصد القرآن الكلية- التمكن من اللغة العربية وأسرار البيان القرآني – الوعي بالواقع ومتغيراته- استشارة أهل العلم- الاعتماد على كتب التفسير

الفصل الثاني:

سورة غافر: تعريفها، مقاصدها، و أبعادها الإصلاحية

ويتضمن الفصل خمسة مباحث رئيسية هي:

المبحث الأول: اسم السورة وترتيبها ونوعها وموضوعها

المبحث الثاني: فضل السورة وأسباب نزولها

المبحث الثالث: مناسبات السورة وأغراضها

المبحث الرابع: الأبعاد الإصلاحية في سورة غافر

المبحث الخامس: صفات المصلحين ومنهجيات المفسدين في سورة غافر

المبحث الأول: اسم السورة وترتيبها ونوعها وموضوعها

تمهيد:

يعد التعريف بسور القرآن الكريم مدخلا ضروريا لفهم مقاصدها وموضوعاتها، إذ إن معرفة اسم السورة، وترتيبها في المصحف، ونوعها من حيث المكي والمدني، يفتح آفاقا لفهم سياقها العام والموضوعات التي عالجتها.

كما أن الوقوف على محاورها الرئيسية يساعد في إدراك ما تضمنته من توجيهات إصلاحية، وفي هذا المبحث التعريف بسورة غافر من حيث اسمها وترتيبها ونوعها، مع الإشارة إلى أبرز موضوعاتها، تمهيدا لاستجلاء ملامح الإصلاح التي اشتملت عليها.

إن سورة غافر من سور القرآن الكريم البالغ عددها 114، ولهذه السورة خصائصها ومواضيعها التي تتضمنها.

المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها

الفرع الأول: تسميتها

تسمى هذه السورة ب: سورة غافر، سورة المؤمن، وسورة الطول.

–غافر: وهو الاسم الذي اشتهرت به كتب المصاحف والتفسير، وقد ذكر البقاعي أن "مقصدها الاستدلال على آخر ما قبلها من تصنيف النّاس في الآخرة إلى صنفين، وتوفية كل ما يستحقه على سبيل العدل، بأن فاعل ذلك له العزة الكاملة والعلم الشامل، وقد بيّن ما يغضبه وما يرضيه غاية البيان على وجه الحكمة فمن لم يسلم أمره كلّه إليه وجادل في آياته الدالة على القيامة أو غيرها بقوله أو فعله فإنه يخزيه ويعذبه ويرديه، وعلى ذلك دلّت تسميتها ب"غافر" فإنه لا يقدر على غفران ما شاء لمن يشاء إلا كامل العزة، ولا يعلم جميع الذنوب ليس لها بالغ الأمر وذا في جميع الأوصاف التي في الآية من المثاب والعقاب".[1]

[1]- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج 17، ص 2.

– الطول:

"لأنه لا يقدر على التطول المطلق إلا من كان كذلك، فإن من كان ناقص العزة فهو قابل لأن يمنعه من بعض التطولات مانع، ولن يكون ذلك إلا بنقصان العلم".[1]

–المؤمن:

عرفت السورة أيضا باسم "سورة المؤمن"، لورود قصة مؤمن آل فرعون فيها، وهو الرجل الذي كتم إيمانه وواجه الطغيان بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد ذكر ابن عاشور أن من أسمائها "سورة المؤمن" "لأنها اختصت بذكر قصة هذا الرجل دون أن تتكرر في موضع آخر من القرآن".[2]

وقد وردت هذه التسمية في السنة **"حم المؤمن"**، ووجه التسمية أنها ذكرت فيها قصة مؤمن آل فرعون ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح.[3]

ويتبين من تعدد أسماء السورة أن كل اسم منها يبرز جانبا من مضامينها الإصلاحية، مما يجعل هذه التسمية أكثر من مجرد عنوان، بل مفتاحا منهجيا لفهم رسالتها ومحاورها الأساسية.

الفرع الثاني: ترتيبها

تأتي سورة غافر في الترتيب الأربعين من سور المصحف الشريف، ضمن الجزء الرابع والعشرين، وهي واقعة بين سورتي الزمر وفصلت، وذلك وفق الترتيب العثماني الذي استقر عليه الصحابة ψ في جمع المصحف، وقد ورد ترتيبها هذا في جميع المصاحف المطبوعة والمتداولة.

" أما ترتيبها في النزول فهي السورة التاسعة والخمسون من السور المكية، وكان نزولها بعد سورة الزمر، ويبدوا –والله أعلم– أنّ الحواميم كان نزولها على حسب ترتيبها في المصحف، فقد ذكر صاحب الإتقان عند حديثه عن المكي والمدني من القرآن، وعن ترتيب السور على حسب النزول. ذكر سورة الزمر، ثم سورة غافر، ثم الشورى، ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف".[4]

---

(1)- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج17، ص 2.

(2)- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج24، ص 1.

(3)- المصدر نفسه، ج 24، ص 75.

(4)- محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط1، دت، مج 12، ص 255

وقد أشار السيوطي في كتابه الإتقان إلى أن ترتيب سور القرآن ليس عبثيا، بل يحمل دلالات مقصودة من حيث التناسب في المعاني والموضوعات.[1]

وقد عدت آيها أربعا وثمانين في عد أهل المدينة وأهل مكة، وخمسا وثمانين في عد أهل الشام والكوفة، واثنتين وثمانين في عد أهل البصرة.[2]

المطلب الثاني: نوعها

"إن سورة غافر من السور المكية الخالصة، وقد حكى أبو حيّان الإجماع على ذلك، كما أن الإمام ابن كثير قال عنها بأنها مكية دون أن يستثنى منها شيئا.

وقيل: كلها مكية إلا قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ..)** (غافر: 56)

ولكن هذا القيل وغيره لم تنهض له حجة يعتمد عليها، فالرأي أنها جميعا مكية"[3].

المطلب الثالث: موضوعها

يقول السيد قطب أن هذه السورة تعالج "قضية الحق والباطل، قضية الإيمان والكفر، قضية الدعوة والتكذيب، وأخيرا قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين.. وفي ثنايا هذه القضية تلم بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم.

وجو السورة كله–من ثم– كأنّه جو معركة، وهي المعركة بين الحق والباطل، وبين الإيمان والطغيان، وبين المتكبرين والمتجبرين في الأرض وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل، تنسم خلال هذا الجو نسمات الرحمة والرضوان حين يجيء ذكر المؤمنين".[4]

---

(1)- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط1، 2008م، ج1، ص204.

(2)- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج24، ص 77.

(3)- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المرجع السابق، ص 255.

(4)- سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 24، ص 3025

ويمكن تلخيص محاور سورة غافر الكبرى في النقاط التالية:

– **التوحيد وإثبات الرسالة:** إذ افتتحت السورة ببيان صفات الله عز وجل (غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول) لتؤسس لقاعدة التوحيد وتربط المؤمنين بمرجعيتهم العليا.

– **قصة مؤمن آل فرعون:** وهو من أبرز محاور السورة، حيث جاء مثلا للمصلح الذي يجهر بالحق في وجه الطغيان، محذرا قومه من عاقبة التكذيب والفساد، وداعيا إلى اتباع طريق الهداية.

– **بيان سنن الله في الأمم:** ذكرت السورة هلاك المكذبين من قبل، مثل عاد وثمود وقوم نوح، لإثبات أن مصير من يعاند الحق هو الخسران مهما بلغ من قوة.

– **مشاهد الآخرة:** وصفت السورة مشاهد الحساب والجزاء، وانقسام الناس إلى فريقين: فريق في الجنة ينال رحمة الله، وفريق في النار يذوق العذاب.

– **البعد الإصلاحي:** حيث رسمت السورة معالم منهج الإصلاح وربطته بالإيمان وبالجزاء في الدنيا وفي اليوم الآخر.

– **الآيات الكونية الدالة على وجود الله ووحدانيته:** حيث لفتت السورة النظر إلى مظاهر الخلق والتدبير في السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وإنزال المطر، وتسخير الرياح، باعتبارها شواهد ربانية تدعو الإنسان إلى الإيمان بقدرة الله والتسليم لعظمته.

المبحث الثاني: فضل السورة وأسباب نزولها

تمهيد:

تعد دراسة فضل السور القرآنية وأسباب نزولها مدخلا أساسيا لفهم مقاصدها ومعانيها، إذ إن معرفة الفضل الوارد في السورة يبرز مكانتها وأثرها في حياة المسلم تعبدا وتدبرا، كما أن الوقوف على أسباب نزول آياتها يعين على إدراك السياق التاريخي والواقعي الذي نزلت فيه، مما يسهم في تفسيرها تفسيرا أدق ويكشف عن أبعادها التي تحملها.

المطلب الأول: فضل السورة

لم يرد في الأحاديث النبوية الصحيحة نص خاص يبين فضل سورة غافر على وجه التحديد، كما هو الحال مع سور أخرى كالفاتحة أو الكهف أو يس، غير أنها داخلة في عموم فضل القرآن الكريم وفي فضل سور الحواميم:

ـ **فضل عموم القرآن الكريم:** لقد اعتنى القرآن الكريم ببيان فضله ومكانته العظمى في حياة الأمة، فهو كتاب هداية ورحمة وشفاء، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ (**الإسراء: 9**)

وقال سبحانه: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (**ص: 29**).

كما جاءت السنة النبوية مؤكدة لفضله، فقد روى مسلم في صحيحه عن النبي ρ أنه قال: "**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه**".[1]

ـفضل الحواميم أو آل حم:

إن السور المفتتحة ب(حم) سبع سور، وهي "مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول، وهي:

سورة غافر، سورة فصلت، سورة الشورى، سورة الزخرف، سورة الدخان، سورة الجاثية، وسورة

[1]- رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، (حديث رقم 804).

الأحقاف.

"ويدعى مجموعها "آل حم" لتآخيها في فواتحها، فكأنها أسرة واحدة، وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف، وربما جمعت السور المفتتحة بكلمة (حم) فقيل الحواميم.

وقد ثبت أنهم جمعوا (حم) على الحواميم في أخبار كثيرة عن ابن مسعود، وابن عباس، وسمرة بن جندب، ونسب في بعض الأخبار إلى النبي ρ". [1]

ملاحظة:

عند البحث عن الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بفضل سورة غافر لم تجد الباحثة حديثا صحيحا خاصا بهذه السورة الكريمة، وكل ما ورد في فضلها أحاديث ضعيفة أو موضوعة مثل:

ـعن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: "**ومن قرأ سورة حم المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا مؤمن إلا صلوا عليه واستغفروا له**".[2]

وأنه ﷺ قال: "**الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع: جهنم، والحطمة، ولظى، والسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم، فتجيء كل حاء ميم منهن يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فيقول: لا يدخل الباب من كان يؤمن بي ويقرأني** ".[3]

ـوقال ابن مسعود: "**الحواميم ديباج القرآن**"[4]، ومعنى هذه العبارة: أنها خلت من الأحكام وقصرت على المواعظ والزجر وطرق الآخرة محضا.

وعن ابن مسعود أنّ النّبي ﷺ قال: "**من أراد أن يرتع في رياض مونقة من الجنّة، فليقرأ الحواميم**" [5].

وخلاصة القول: قراءة سورة غافر عبادة عظيمة لأنها جزء من القرآن الكريم وليس لورود

---

(1)- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج24، ص76.

(2)-أبو الحسن علي النيسابوري: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ-1994م، ج 4، ص 3.

(3)-أبو اسحاق أحمد: الكشف والبيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م، ج 8، ص 261.

(4)- أبو بكر البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1423هـ -2003م، كتاب فصل في فضائل سور وآيات، باب ذكر سورة بني إسرائيل والزمر، ج4، ص 101، (الحديث رقم: 2244).

(5)- عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1997م ج5، ص 103.

حديث خاص بها.

المطلب الثاني: أسباب نزولها

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك في قوله: "ما يجادل في ءايات الله إلا الذين كفروا"" قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

وأخرج عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال فقالوا: يكون منّا في آخر الزمان فعظموه أمره وقالوا يصنع كذا فأنزل الله **(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)** (غافر: 56) فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال' 'لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق النّاس' 'قال من خلق الدجال.

وأخرج عن كعب الأحبار في قوله: **(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ)** قال: هم اليهود نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال.

وأخرج جويبر عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك فأنزل الله: "قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله".[1]

[1]- جلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 2002م، ص 225.

المبحث الثالث: مناسبات السورة وأغراضها

تمهيد:

إن معرفة وجوه ارتباط السورة لما قبلها وبعدها من السور الكريمة، وأيضا ما بين آيات السورة نفسها، يساعد المتدبر والقارئ لهذه السورة في الفهم الجيد لمضمونها، ولأغراضها التي أنزلت من أجل تحقيقها.

المطلب الأول: مناسبات السورة

– مناسبتها لما قبلها (سورة الزمر):

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من ناحيتين:

الأولى: التشابه في الموضوع، فقد ذكر في كل من السورتين أحوال يوم القيامة وأحوال الكفار في يوم المحشر.

الثانيّة: الترابط بين خاتمة السورة السابقة ومطلع هذه السورة، فقد ذكر في نهاية سورة الزمر أحوال الكفار والأشقياء، والمتقين السعداء، وافتتحت سورة غافر بأن الله غافر الذنب لحث الكافر على الإيمان وترك الكفر.[1]

– مناسبتها لما بعدها (سورة فصلت):

تظهر مناسبة سورة غافر لسورة فصلت من وجهين:

الأول: افتتاح كلتيهما بوصف الكتاب الكريم وهو القرآن العظيم.

الثاني: اشتراكهما في تهديد ووعيد وتقريع المشركين المجادلين في آيات الله في مكة وغيرها، ففي سورة غافر توعدهم بقوله: "أفلم يسيروا في الأرض" وفي القسم الأول من سورة فصلت هددهم مرة أخرى بقوله: ‘فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" وهذا كله مناسب لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبي الرّسل حين رؤية العذاب، كما أنّ قريشا لم ينتفعوا حينما حلّ بصناديدهم القتل والأسر والنّهب والسّبي، واستؤصلوا مثلما حلّ بعاد وثمود من استئصال.[2]

---

[1]- وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، مج 12، ج 24، ص 383.

[2]-المرجع نفسه، ص 503-504.

المطلب الثاني: أغراضها

تضمنت هذه السورة أغراضا من أصول الدعوة الى الايمان وهي:

1. **إبراز عظمة القرآن الكريم:** حيث ابتدأت السورة بتحدي المعاندين في صدق القرآن الكريم بالحرفين المقطعين، فالقرآن وحي منزل بالحق والهداية للبشر، والتكذيب به جريمة عظيمة.

2. **ترسيخ عقيدة التوحيد:** تبدأ السورة بالتأكيد على صفات الله تعالى: غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذل الطول، وتكرس المعنى العقدي الذي يقوم على الإيمان بالله وحده ونبذ الشرك.

3. **الجدال مع المشركين وبيان بطلان حججهم:** حيث عرضت السورة شبهاتهم ومواقفهم من دعوة الرسول ﷺ ثم دحضها بالحجة والبرهان.

4. **ذكر مصارع الأمم السابقة:** مثل قوم نوح وعاد وثمود وفرعون، لتأكيد سنة الله في نصر المصلحين وهلاك المفسدين.

5. **إبراز نموذج المؤمن المصلح:** قصة مؤمن آل فرعون الذي جادل قومه بالتي هي أحسن، وأقام الحجة عليهم، وهو نموذج للمصلحين في مواجهة الطغيان.

6. **الترغيب والترهيب:** الترغيب بجنات الخلد وما فيها من النعيم، والترهيب من النار وما أعد فيها للكافرين.

7. **التذكير باليوم الآخر:** السورة مليئة بالمشاهد الأخروية مثل حوار أهل النار وندمهم بعد فوات الأوان، وبيان عدل الله في الجزاء.

8. **بيان سنة التدافع بين الحق والباطل:** حيث إن الحق منصور في النهاية، مهما طال أمد الباطل.

وباختصار: يمكن القول إن أغراض سورة غافر تدور حول تثبيت العقيدة، وإظهار حجج الإيمان، التحذير من عواقب التكذيب، عرض سنن الله في الإصلاح والإفساد وتثبيت الرسول ﷺ والمؤمنين في مواجهة التحديات.

المبحث الرابع: الأبعاد الإصلاحية في سورة غافر

تمهيد:

يبرز الإصلاح في القرآن الكريم كمحور هام من محاوره، وقد خصّ الله سبحانه وتعالى كل سورة قرآنية بمجال معين، فسورة النساء مثلا تضمنت الإصلاح بين الزوجين كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ (النساء: 128)

أما سورة الحجرات فقد تكلم الله سبحانه وتعالى فيها عن الإصلاح بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (الحجرات: 9).

وهكذا فإن كل سور القرآن الكريم سور تتضمن الإصلاح في طياتها، وسورة غافر واحد من تلك السور التي لها موضوعها الخاص بها في الإصلاح كما سيأتي بيانه في هذا المبحث.

المطلب الأول: الأثر الإصلاحي المباشر للسورة الكريمة

القرآن الكريم كتاب هداية، وكل سوره لها تأثيرها وبركتها على سامعها أو قارئها، وسورة غافر هي واحدة من تلك السور التي تؤثر على النفس البشرية وتهديها سبل الخير، فالخالق أدرى بملكات هذه النفس وخباياها، ولهذا تنفعل وتتأثر، وتبقى الهداية رزق من الله، فهو سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وممن كتب الله لهم الهداية من خلال هذه السورة المباركة هو ذلك الرجل الذي تناقلت قصته مختلف كتب التفسير ومن بينها تفسير ابن كثير حيث قال: " كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلى عمر بن الخطاب τ ففقده عمر فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، يتابع في هذا الشراب. قال: فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب: "من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان، سلام عليك، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير " ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه، وأن يتوب الله عليه. فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه ويردده، ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر رضي الله عنه

خبره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم زل فسددوه ووفقوه وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه".[1]

من خلال هذه القصة يتبين أن الأثر الإصلاحي المباشر للسورة يتمثل في النقاط التالية:

ـ أنها تحمل في بنائها الداخلي أثرا إصلاحيا مباشرا يظهر جليا عند تلاوتها وتدبر معانيها.

ـ أنها تجمع بين صفات الله تعالى الجامعة بين الرحمة والمغفرة من جهة، وشدة العقاب والانتقام من المفسدين من جهة أخرى.

ـ هذا الجمع بين الترغيب والترهيب يورث في قلب القارئ خشية ورجاء في آن واحد.

ـ وتصوير مشاهد القيامة والحوار بين أهل الحق وأهل الباطل يقود النفس البشرية إلى المراجعة والإصلاح والاستقامة.

المطلب الثاني: وجوه الاصلاح العقدي والأخلاقي والفكري في سورة غافر

تعد سورة غافر من السور التي تجلت فيها ملامح الإصلاح الشامل، عقديا وأخلاقيا وفكريا.

ويمكن تلخيص وجوه الإصلاح التي وردت فيها على النحو التالي:

1. وجوه الإصلاح العقيدي:

ـ ترسيخ التوحيد الخالص وإبطال الشرك:

كان الناس في عهد الرسول ﷺ يعبدون كل شيء إلا الله سبحانه وتعالى، فكان العرب يعبدون الأصنام والأوثان، وكان الفرس يعبدون النيران، وكان الروم يخضعون للرهبان،

فجاء الرسول ﷺ لإصلاح هذا الحال، بدءا بأهله وعشيرته، قال تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (**الشعراء: 214**).

أولا: الإيمان بالله

---

[1]- إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ - 1999م، ج7، ص128.

تضمنت السورة المباركة تقريبا في كل الآيات الكلام عن الله وأسمائه وصفاته، نذكر منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿حم﴾ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرِ﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾

﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

﴿هوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

﴿هوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

هذه بعض الآيات التي ورد فيها ذكر الله سبحانه وتعالى، فسورة غافر جاءت لتعريف الناس بالواحد الأحد، والدعوة إلى عبادته هو فقط لا شريك له، ونبذ ما يعبد من دونه.

ثانيا: الإيمان بملائكته

لقد تضمنت السورة الكلام عن حملة العرش، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

في هذه الآيات الكريمات جاء تبشير المؤمنين بأن الله ذي الطول قد سخر لهم أكرم خلقه وهم ملائكة العرش ليستغفروا لهم ويدعون لهم بالخير.

كما تضمنت السورة ذكر خزنة جهنم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ. قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾.

وفي هذه الآيات عرض لاستجداء أهل النار الملائكة بأن يدعو لهم الله بأن يخفف عنهم العذاب

فتخبرهم ملائكة الرحمان بأن الله لم يظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما كفروا.

ثالثا: وكتبه

قال تعالى: ﴿تنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾. وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

رابعا: ورسله

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

﴿ولَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾

﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾

خامسا: واليوم الآخر (البعث والحساب)

إن الآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر كثيرة، وكل آية جاء فيها وصف معين بتسمية مختلفة، وهذا لأن الناس كانوا لا يؤمنون باليوم الآخر وينكرون البعث والنشور، فجاءت سورة غافر لتنكر إنكارهم وكفرهم وتعرفهم بما ينتظرهم في الآخرة وأن أعمالهم تصحبهم فإن كانت خيرا فخير وإن كانت شرا فشر.

ومن الآيات قوله تعالى:

﴿.. لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ. يوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾

2. وجوه الإصلاح الأخلاقي:

عن أبي هريرة τ أن رسول الله ﷺ قال: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.**"[1]

_ الحث على الأدب:

[1]- أبو بكر أحمد بن الحسين بم علي البيهقي: السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ -2003م، ج10، ص 323 (الرقم: 20782).

_ الأدب مع الله عز وجل والإخلاص في عبادته وعند الدعاء.

_ الأدب مع الأنبياء بأن نؤمن بهم وبما جاؤوا به من عند ربهم.

_ الأدب مع القرآن الكريم.

_ الأدب مع الملائكة بأن نؤمن بوجودها وبرقابتها.

_ الأدب مع النفس ومع الآخرين من خلال الالتزام بالأخلاق الحميدة كغض البصر.

_ الأدب في الدعوة والإصلاح من خلال إظهار الحب والاحترام واستعمال الحكمة والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن.

_ الحث على الصبر والثبات: وذلك في توجيه النبي ﷺ إلى الصبر على أذى المشركين، وهو منهج أخلاقي للمصلحين في مواجهة الابتلاء

_ التحذير من الكبر والجدال بالباطل: كما في قوله تعالى: "إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم.."

_ النموذج العملي للمؤمن المصلح (القدوة): قصة مؤمن آل فرعون الذي واجه قومه بالحكمة واللين، فأقام الحجة عليهم دون تعصب أو عنف.

_ الحث على التوبة والاستغفار والاعتراف بالذنب.

3. وجوه الإصلاح الفكري

يتجلى الإصلاح الفكري في سورة غافر في عدد من الآيات التي توجه العقل نحو التفكر والنظر، وتحذر من الانغلاق والجدال والباطل، ومن أبرز هذه الأوجه:

_ مقارعة الشبهات بالحجج العقلية والنهي عن الجدال بغير علم: السورة ترد على جدال المشركين ببرهان واضح، مؤكدة أن الجدال لا يكون إلا بعلم وسلطان ومحذرة من الجدال العقيم المبني على الهوى لا على البرهان وذلك من خلال قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ....)**

_ التفكر في الكون: الدعوة للنظر في آيات الله الكونية مثل خلق السماوات والأرض، كدليل عقلي على وحدانية الله، قال تعالى: **(لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا**

يَعْلَمُونَ) (غافر: 57)

ـ **إبراز قيمة البصيرة والعلم**: وهو إصلاح يربط بين البصيرة (الهداية والمعرفة) وبين النجاة، في مقابل عمى الفكر والهوى، قال تعالى: وما يستوي الأعمى والبصير والذين ءامنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون"

ـ **ترسيخ قيمة الحوار**: إبراز منهج الحوار العقلي الهادئ في خطاب مؤمن آل فرعون، الذي استدل بتاريخ الأمم وعاقبة المكذبين.

ـ **التحذير من التقليد الأعمى**: رفض السير وراء الآباء بغير برهان، وهو إصلاح للفكر المقلد الذي يعطل العقل.

ـ **توجيه النظر في التاريخ وسنن الأمم**: وهو إصلاح فكري قائم على الاستفادة من التجارب التاريخية وعدم تكرار أخطاء السابقين، قال تعالى: " أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم .."

ـ **التحذير من الغرور بالعلم الناقص**: وهو إصلاح فكري يحذر من الاكتفاء بعلوم سطحية أو موروثة تعمي عن الحق، قال تعالى: "فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون".

المبحث الخامس: صفات المصلحين ومنهجيات المفسدين في سورة غافر

تمهيد:

يعد الحديث عن صفات المصلحين ومنهجيات المفسدين من أبرز القضايا التي تطرقت إليها سورة غافر، إذ أبرزت السورة معالم الشخصية الإصلاحية المتمثلة في الثبات على الحق، والنصح للأمة، والدعوة بالحكمة والصبر على الأذى، في مقابل تصويرها لسمات المفسدين الذين يقودهم الكبر والجدال بالباطل والتكذيب بآيات الله، واستعلاؤهم بالسلطة والجاه، ومن ثم فإن استقراء صفات المصلحين ومنهجيات المفسدين في هذه السورة يتيح الوقوف على جدلية الإصلاح والفساد في المجتمع الإنساني ويكشف عن القوانين القرآنية التي ترسم معالم طريق الهداية، وتحذر من عواقب الانحراف عن الحق، ومن هذا المنطلق يأتي هذا المبحث ليتناول بالتحليل أبرز صفات المصلحين كما عرضتها السورة، في مقابل منهجيات المفسدين التي شكلت عقبة أمام حركة الإصلاح والتمكين لدين الله.

المطلب الأول: صفات المصلحين من خلال السورة

يتضح من خلال سورة غافر أن صفات المصلحين قد تجلت في نماذج متعددة من الأنبياء والرسل، إلى المؤمنين الصادقين، بل وحتى الملائكة الداعين للمؤمنين بالرحمة والمغفرة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1. **الإيمان بالله والتصديق برسله:** وهو الأصل الذي يقوم عليه الإصلاح، حيث قال تعالى على لسان الرجل المؤمن: ﴿**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ**﴾ وقد بين الطبري أن هذا القول يعكس إيمانا جازما بالبعث والجزاء، وهو من أهم مرتكزات الإصلاح العقدي.[1]
2. **اليقين بأن الهداية والضلال بيد الله تعالى:** فقد قال تعالى في السورة الكريمة: ﴿**يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ أي أن المصلح يدرك أن وظيفة الدعوة هي البلاغ، أما الهداية فمن عند الله وحده.

[1]- انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج21، ص 246.

3. **الإخلاص في القول والعمل:** إذ يظهر من موقف المؤمن من آل فرعون أنه لم يبتغ بدعوته مصلحة شخصية، وإنما نصح قومه خالصا لله، فقال: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ وهذا التفويض دليل على صدق النية والتجرد من الهوى.[1]

4. **العمل المستمر في سبيل الإصلاح:** فالمصلح لا يكتفي بالقول، بل يعضده بالعمل، كما فعل موسى عليه السلام إذ جاء بالبينات والحجج القاطعة، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾ وهذا يدل على أن الإصلاح يقوم على الجمع بين العلم والعمل.

5. **الشجاعة في قول الحق:** حيث تجرأ المؤمن على مواجهة فرعون وملئه مع علمه ببطشهم، فقال: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾، وهذا "الموقف يجسد أعظم صور الشجاعة الأدبية في سبيل الدفاع عن الحق".[2]

6. **الصبر والثبات أمام التهديد وتفويض الأمر لله.**: ظهر ذلك في موقف المؤمن حين واجه تهديد فرعون قائلا: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ مما يدل على الثقة بنصر الله مهما اشتد البلاء.

7. **العلم والبصيرة:** يتجلى ذلك في حجج المؤمن من آل فرعون، فقد استخدم أسلوبا منطقيا، وذكرهم بمصائر الأمم السابقة، فقال: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ**﴾ وهذا يبرز أن من صفات المصلحين امتلاك العلم والبصيرة التي تمكنهم من بيان الحق بالحجة والبرهان، وبالدلائل العقلية والتاريخية.

8. الصدق في محبة الخير للناس والحرص على هدايتهم: فقد خاطب قومه بصدق وإشفاق: ﴿**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ**﴾ وهو تعبير عن محبة الخير لهم وخشيته عليهم من عذاب الله.

9. **تَامّ الرجولة:** فقد عبر القرآن عن المؤمن الذي دافع عن موسى عليه السلام بلفظ: ﴿**وقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ..**﴾ واختيار لفظ "رجل" هنا ليس مجرد وصف جنسي، بل دلالة على الرجولة بمعناها

---

[1]- المصدر نفسه، ج15، ص 295.
[2]- فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ج12، ص77.

القيمي كما وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾(التوبة: **108**) وقال أيضا: ﴿**رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ**﴾ (النور: **37**)

ومن خلال هذه الآيات وغيرها التي وردت فيها لفظة الرجل يتبين أن الرجل يكون تام الرجولة إذا كان:

- **مؤمنا**: بكل أركان الإيمان، مخلصا موحدا لا منافقا.
- **مسلما**: (الشهادتان، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، حج البيت إن استطاع إليه سبيلا)
- **مجاهدا**: عن نفسه وعرضه ووطنه وماله، فيلبي نداء "وامعتصماه" متى ما سمعه، ويدافع عن وطنه وعن المقدسات كالمسجد الأقصى الذي يتعرض للتهويد، ولولا رجال الله لكان قد هدم منذ زمن بعيد.
- **قويا**: في الحق لا يخاف لومة لائم.
- **طاهرا**: في كل شيء.
- **القوامة**: يؤدي المسؤولية الملقاة على عاتقه.
- **يفضل الآخرة على الدنيا**.

10. **الذكاء**: إن مؤمن آل فرعون كتم إيمانه لأنه وازن الأمور بعقله وعلم بأن الكتمان أصلح من الجهر في حالته، فهو أبقى له على حياته وأنفع له في خدمة دعوته، لكنه لما علم بأن فرعون أراد قتل موسى وجد بأن التدخل أصلح من الصمت والكتمان. إن الميدان صعب جدا، وعلى قدر ذكاء المصلحين في التعامل وموازنة الأمور تكون النتائج مرضية .

11. **الشجاعة**: إن فرعون والنمرود أعتى وأشرس الطغاة الذين عرفهم التاريخ، لأنهم ومن دون الطغاة جميعا ادعوا الألوهية والربوبية، واستعملوا في سبيل حمل الناس على ذلك كل قوتهم وجبروتهم. والوقوف في وجه هؤلاء وفي وجه الطغيان يتطلب إيمانا قويا وشجاعة عظيمة يستمدها صاحبها من إيمانه بأن الله لن يخذله، فيلقي كلمته ويفوض أمره لله.

المطلب الثاني: مصادر الفساد ومنهجيات التصدي للحق من قبل المفسدين من خلال السورة

أولا: مصادر الفساد من خلال السورة الكريمة:

يمكن تقسيم مصادر الفساد في سورة غافر إلى ثلاثة محاور كبرى، وهي:

1.النفس الأمارة بالسوء: ومن أبرز صورها التي بينتها السورة الكريمة هي:

ـ الاستكبار عن الحق: وهي نزعة داخلية تمنع الإنسان من الخضوع لله.

ـ اتباع الأهواء والكبر: وهي ميول داخلية وشهوات تدفع بالإنسان للانحراف.

ـ الجدال بالباطل: وهو انحراف فكري نابع من تعصب داخلي.

2. الصحبة والتبعية الفاسدة: وتتمثل في:

ـ تزيين الباطل وتضليل الناس: وهذا دور المضلين في إغواء غيرهم.

ـ المكر والكيد للمصلحين: وذلك من خلال التخطيط الجماعي لإبطال دعوات الإصلاح والتزيين لهم بالصد عن السبيل.

3.السلطة الفاسدة (الطغيان السياسي)، وظهرت جليا في السورة الكريمة:

ـ الطغيان والفرعونية: الاستبداد وإرهاب الناس لمنع الإصلاح.

ـ إنكار البعث واليوم والآخر: كفر الأنظمة المتسلطة لتبرير فسادها كما ورد على لسان فرعون: **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: 26)**

وبهذا التقسيم يتضح أن مصادر الفساد تدور حول ثلاث دوائر: داخلية (النفس الأمارة بالسوء)، اجتماعية (الصحبة الفاسدة وأهل التضليل)، سياسية سلطوية (الطغيان والفرعونية).

ولمزيد من التبين هذا جدول تحليلي يوجز مصادر الفساد في سورة غافر مع الآيات الدالة عليه ونوع الفساد والشرح والتحليل:

المصدر الرئيسي للفساد	الآية الدالة	نوع الفساد	الشرح والتحليل
الاستكبار عن الحق	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	عقدي _ أخلاقي	الاستكبار مصدر الانحراف والسبب في الحرمان من الهداية والنجاة.
الجدال بالباطل	﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾	فكري _عقدي	الجدال بالباطل من أساليب المفسدين في التصدي للحق.
الطغيان السياسي (الفرعونية)	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾	سياسي	العربدة الفرعونية صارت مضرب المثل في سياسة البطش بالحق وأهله.
تزيين الباطل وتضليل الناس	﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾	عقدي _ فكري	تزيين الباطل أول أساليب الشيطان في صرف الناس عن الصواب ويعتمده كل من اتبعه.
اتباع الأهواء والكبر	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	أخلاقي _ فكري	التحذير من الكبر والهوى
المكر والكيد للإصلاح والمصلحين	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾	سياسي _ اجتماعي	التربص بالمصلحين ديدن المفسدين لإبطال مشاريع الإصلاح وتثبيت دعائم الفساد.
إنكار البعث	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ	عقدي	إنكار البعث كوسيلة للتهرب

واليوم الآخر	اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾		والانغماس في الفساد والمفسدات.

ثانيا: منهجيات التصدي للحق من قبل المفسدين في سورة غافر

تبرز سورة غافر عدة أساليب منهجية اتبعها المفسدون –وعلى رأسهم فرعون وملؤه– في مواجهة دعوة موسى عليه السلام، كما اتبعها المكذبون مع النبي ﷺ ويمكن إجمال هذه المنهجيات فيما يلي:

*** الكفر والجدال:**

عندما أبلغ الرسول ρ القوم بأنه رسول الله إليهم، فسألوه وما حجتك؟ قال: كتاب ربي "

﴿حم﴾ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

وقريش هم الأمة الوحيدة التي كانت تقيم للكلمة أسواقا إذ كانوا أهل الفصاحة والبيان، وقد أرسل كفار قريش الوليد بن المغيرة ظنا منهم أن قوة لغته ستغلب قرآن محمد.

جاء في كتاب البيهقي: "وفي حديث حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: "جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ ، فقال له اقرأ علي، فقرأ عليه **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى، وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** (**النحل**: **90**) قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ ، فقال: "وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ".[1]

قال القرطبي: " إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال: لِمَ؟ قال: يعطونكه فإنك أتيت محمدا تتعرّض لما قِبَله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنَّك مُنكر لما قال، وأنك كاره له؛ قال: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما

[1]- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، ج2، ص 199.

تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فلما فكَّر قال: هذا سحر يأثره عن غيره، فنزلت (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)"[1].

يقول تعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمهِيد. ثُمَّ يطمع أَن أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيٰتِنَا عَنِيد. سَأُرهِقُهُۥ صَعُودًا. إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدبَرَ وَٱستَكبَرَ. فَقَالَ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحر يُؤثَرُ. إِن هذا إِلَّا قَولُ ٱلبَشَرِ. سَأُصلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدرَىٰكَ مَا سَقَرُ**﴾ (سورة المدثر **11_26**)

ما الذي جعل الوليد بن المغيرة يكفر؟ وهو الذي قال في القرآن ما لم وفق لقوله مسلم، إنه الكبر.

يقول سبحانه: ﴿**مَا يُجَٰدِلُ فِي ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغرُركَ تَقَلُّبُهُم فِي ٱلبِلَٰدِ**﴾

﴿**ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِي ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيرِ سُلطَٰنٍ أَتَىٰهُم كَبُرَ مَقتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ يَطبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾.

وهذه هي حقيقة كفر الكثير من الناس ــفي الماضي والحاضر والمستقبلــ، ويعتبر الجدال هو أكثر الأساليب استعمالا لدى هؤلاء لأنهم يخفون وراءه حقيقة أنه يعلمون بأنهم إنما يحاولون إخفاء الحقيقة أكثر من أنهم أصحاب حق ففي الغالب هم متأكدون بأنهم على باطل لكنهم أصحاب قلوب مريضة ونفوس خبيثة تتبع الهوى والشيطان بدل الهدى والايمان.

*** الطغيان والبطش: (السجن، التعذيب، القتل والاغتيال)**

﴿**فَلَمَّا جَاءَهُم بِٱلحَقِّ مِن عِندِنَا قَالُواْ ٱقتُلُواْ أَبنَاءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱستَحيُواْ نِسَاءَهُم وَمَا كَيدُ ٱلكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ**﴾

لقد نزلت هذه الآيات في الزمن الذين كان يتعرض فيه الرسول ﷺ إلى أنواع شتى من الأذى النفسي والجسدي، كما تعرض أصحابه كذلك للتعذيب من قبل أبي جهل وكفار قريش فقط لأنهم آمنوا بالله الواحد الأحد وأن محمدا خاتم الأنبياء والرسل.

لقد وصل الرسول ﷺ إلى حال يلخصه لنا دعاءه المشهور: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، اللهم إلى من تكلني؟ إلى

---

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، مصدر سابق، (تفسير سورة المدثر) ج12، ص 309.

بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي سخطك، أو يحل علي غضبك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله(، وفي بعض الروايات:)ولا حول ولا قوة إلا بك"

لقد واسى الله نبيه بأن أخبره أنه ليس وحده من تعرض للأذى من قومه ﴿**كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِن بَعۡدِهِم وَهَمَّت كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِم لِيَأۡخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ لقد أخبره سبحانه بأن الأمم السابقة قد همت برسلها لولا لطف الله عز وجل.

ومن بينهم سيدنا موسى الذي اتهم بالسحر والكذب وحاول فرعون قتله لكن الله عز وجل وقاه والمؤمنين الذين معه: ﴿**وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ**﴾

***التشويه الإعلامي (تشويه صورة المصلح، وتشويه صورة الرسالة)**

﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۖ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٢ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ**﴾

فقالوا "ساحر كذاب" وقالوا عن رسول الله ﷺ بأنه ساحر كذاب، يبدوا أن الكافرين قد اتفقوا على منهجية واحدة في محاربة الحق وأهله ألا وهي اتهام دعاة الحق والإصلاح بأشنع الصفات.

قديما كانوا يتهمونهم بالسحر والكذب.. واليوم تغير المصطلح ولم تتغير المنهجية، فاليوم أصبح من يقف ضد الفساد والطغيان والانحلال يسمى بـ: الإرهابي، الرجعي، المتخلف، المتطرف

والله أعلم بالمصطلحات التي ستخترع بالمستقبل لكن الأكيد أنهم سيحافظون على هذه المنهجية لأنها خطيرة على مستوى "نفسية الشخص" وعلى "مضمون الرسالة" كما جاء في قوله تعالى:

﴿**وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦**﴾

المطلب الثالث: منهجية مواجهة التحديات من خلال السورة

***حسن الظن بالله:**

- عدم الاغترار بقوة الكفار والأعداء، واليقين بأن الله يمهل لا يهمل.
- أن الله سبحانه قد سخر لهم مخلوقاته، فحتى حملة العرش يستغفرون لهم ويدعون لهم.
- أن الله سينصرهم سواء أكان ذلك في حياتهم أم بعد مماتهم.
- أن الله لن يضيع أجرهم وأن ثواب الآخرة عظيم
- أن الله سيدخل معهم من صلح من آباءهم وأزواجهم وذرياتهم وإن لم يكونوا بنفس ميزانهم إكراما لهم على إيمانهم وعملهم الصالح.

***التفويض:**

إن التفويض يشترط فيها تقديم الأسباب أولا، وذلك بألا يتقاعس المرء أو يتكاسل ويتثاقل عن العمل، بلا بد من استحضار جميع أسباب النجاح ثم يأتي التفويض الذي يعني أن الأمر ليس بيد العبد وإنما بيد الله. ﴿**فَسَتَذكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُم وَأُفَوِّضُ أَمرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُ بِٱلعِبَادِ**﴾

***التأسي بالسابقين:**

إن الناس جميعا جعلهم الله من نسل آدم وحواء لكن الصلة الحقيقية والرابط الحقيقي بين عباد الله هو الإيمان بالله تعالى، والأنبياء هو صفوة الخلق سخرهم الله لعباده كي يخرجوهم من الظلمات إلى النور، ويحاربوا الفساد والمفسدين، ثم سخر لهؤلاء وللأجيال اللاحقة التابعين الذين يقتدون بالرسل في مسيرتهم.

إن الله قد قص على النبي قصص السابقين من الأنبياء ليعلم أنه واحد منهم يعترضه ما اعترضهم، وسينصره كما نصرهم.

وهكذا هو الحال مع من اتبعوا النبي ﷺ ، فإنهم يستعينون على الشدائد بالتفكير فيما تعرضه له النبي ρ وهو سيد الخلق، فيجعلهم ذلك يصبرون ويثبتون.

***الصبر:**

إن للصبر مكانة عظيمة عند الله عز وجل، وقد أقسم سبحانه أنه لا يفلح إلا الذين ءامنوا وعملوا

الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

إن الآيات الكريمات التي حثت المسلمين عموما وحزب الله خصوصا على الصبر كثيرة في القرآن الكريم، وما آيات الصبر في سورة غافر إلا جزء من هذه الآيات المباركات، ومنها قوله تعالى:

﴿فَٱصبِر إِنَّ وَعدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱستَغفِر لِذَنبِكَ وَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ بِٱلعَشِيِّ وَٱلإِبكَٰرِ﴾

ومما يستعين به على الصبر:

- الدعاء بإخلاص لله تعالى.
- الاستغفار والتسبيح والحمد بالعشي والابكار.
- كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ.
- كثرة ذكر الموت والتفكر في الآخرة وأن الدنيا إلى زوال.

***ضحد الأكاذيب:**

﴿قُل إِنِّي نُهِيتُ أَن أَعبُدَ ٱلَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ ٱلبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرتُ أَن أُسلِمَ لِرَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ ٦٦﴾.

"قل" أمر للمؤمنين بعدم الصمت والرد على أكاذيب الأعداء، والدفاع عن الحقيقة التي مفادها أنهم أصحاب حق وصلاح، لا دعاة فتنة وفساد، وأن الغاية هي الإسلام رب العالمين. "إن الدين عند الله الإسلام" فالدين واحد وإن اختلفت الشرائع.

نتائج الفصل الثاني:

بعد الانتهاء من معالجة مباحث هذا الفصل، والتي تناولت التعريف بسورة غافر من حيث اسمها وترتيبها ونوعها وموضوعها، وبيان فضلها وأسباب نزولها، ثم الكشف عن مناسباتها وأغراضها العامة وأبعادها الإصلاحية، مع إبراز صفات المصلحين ومنهجيات المفسدين فيها، يمكن الخلوص إلى جملة من النتائج المهمة، أبرزها:

1. **تحديد هوية السورة ومضامينها ومقاصدها:** تبين أن سورة غافر مكية، وقد نزلت في مرحلة حساسة من الدعوة، وهي تتمحور حول بيان حقيقة الصراع بين قوى الإيمان والحق من جهة، وقوى الكفر والباطل من جهة أخرى، حيث تتفتح السورة بإرساء معالم التوحيد وإثبات مرجعية الوحي في الهداية

والإصلاح، ثم تعرض مواقف المكذبين ومجادلتهم بالباطل، في مقابل ثبات المؤمنين ودعوتهم بالحجة والبرهان، كما أفردت السورة الكريمة مساحة واسعة لقصة مؤمن آل فرعون، باعتباره نموذجا للمصلح الذي يجهر بالحق وينذر قومه بعواقب الفساد والتكذيب، وتبرز السورة في ثناياها سنن الله في تداول الأيام بين الأمم، كما تصور السورة مشاهد الآخرة وما فيها من جزاء عادل، ومشاهد الكون وما فيها من دلائل.

2. **إبراز فضل السورة:** أظهرت النصوص الواردة في فضل السورة ومكانتها بين سور القرآن الكريم في كونها من سور آل حم، وأن قراءتها والعمل بها يعزز التمسك بالإيمان الحق، ويقوي يقين المؤمن وهو ما يعكس دورها في المشروع الإصلاحي القرآني.

3. **ارتباط آيات السورة وتناسبها:** تكشف مناسبات السورة عن وحدة موضوعية متينة ومترابطة البناء، إذ اتصلت بسورة الزمر من خلال التأكيد على عدل الله في جزاء المكذبين وجزاء المؤمنين، وتناسقت مع سورة فصلت عبر عرض مواقف المكذبين للقرآن الكريم، كما برزت مناسباتها الداخلية في افتتاحها بالوحي وختامها بالتوحيد، وفي تكرار قضية الجدال في آيات الله وفي توسط قصة مؤمن آل فرعون التي جسدت منهج الإصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو ما يعكس وحدة موضوعية محكمة تخدم مقصد السورة في ترسيخ التوحيد وبيان سنن الله في الإصلاح والصراع بين الحق والباطل.

4. **الأبعاد الإصلاحية في السورة:** أظهرت الدراسة أن السورة عالجت الإصلاح في ثلاثة مستويات:

_ **الإصلاح العقدي:** من خلال إثبات التوحيد والبعث والجزاء ورفض الشرك.

_ **الإصلاح الفكري:** عبر دحض الشبهات وكشف زيف المفسدين، والدعوة للتفكر واعتماد البرهان ومحاربة التقليد الأعمى.

_ **الإصلاح الأخلاقي:** بالتحذير من الاستكبار والمكر والجدال بالباطل، والدعوة إلى الصبر والاستغفار ومواجهة الطغيان بالحكمة واجتناب الكبر.

5. **صفات المصلحين:** إن أبرز الصفات التي أبرزتها سورة غافر للمصلحين تجمع بين البعد العقدي (الإيمان، اليقين)، والسلوكي (الإخلاص، الصبر الرجولة)، والفكري (العلم، الحكمة)، والإنساني (محبة الخير للناس والحرص على هدايتهم)

وهذا التوازن يجعل شخصية المصلح في القرآن شخصية متكاملة تجمع بين البعد العقدي والفكري والأخلاقي والعملي، وهذه الصفات تمثل الركائز الأساسية لأي مشروع إصلاحي ناجح.

6. منهجيات المفسدين: أوضحت السورة أن المفسدين لا يواجهون دعوات الإصلاح بالحجة الصادقة أو البرهان، وإنما يعتمدون على الاستكبار والتضليل، والعنف، والجدال بالباطل، واتهام المصلحين، وهي منهجيات متكررة عبر التاريخ، مما يؤكد أن الصراع بين الحق والباطل ذو سنن ثابتة تتكرر في صور مختلفة.

7. مصادر الفساد: يمكن إرجاع تلك المنهجيات إلى ثلاثة مصادر أساسية: النفس الأمارة بالسوء وما تبعثه من شهوات الصحبة الفاسدة وما تورثه من انحراف، والسلطة الجائرة بما تمارسه من ظلم واستبداد.

8. منهجية المواجهة القرآنية: أظهرت السورة أن مواجهة المفسدين تقوم على جملة من القواعد المتكاملة وهي:

- **القواعد الروحانية:** الاعتصام بالله والتوكل عليه، الاستغفار..
- **القواعد الفكرية:** الجدال بالحق، كشف الباطل.
- **القواعد الاجتماعية:** النصح، التحذير، الدعوة للرجوع.
- **القواعد الأخلاقية:** الصبر، الثبات الصدق في محبة الخير.

وهذا التكامل بين القواعد يجعل المواجهة شاملة، لا تقف عند رد الفعل، بل تبني مشروعا إصلاحيا قائما على الوحي.

الفصل الثالث:

منهجيات الإصلاح الذاتي التربوي

وفيه مباحث خمسة رئيسية وهي:

المبحث الأول: منهجية حاكمية الكتاب

المبحث الثاني: منهجية التخلية قبل التحلية

المبحث الثالث: منهجية الجمع بين الرجاء والخوف مع الإيمان

المبحث الرابع: منهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج

المبحث الخامس: منهجية الجمع بين القراءات

تمهيد:

قبل أن نذكر المنهجيات التي يصلح بها الإنسان نفسه—حاله وباله-، يجب أن نتعرف أولا على هذا الإنسان، وهي معرفة ضرورية تنوعت واختلفت عبر التاريخ، "فقد استمع الناس إلى المادية التاريخية، فقالت لهم أن الإنسان عملة اقتصادية في سوق الصناعة والتجارة، تعلو وتهبط في طبقاتها بمعيار العرض والطلب، وصفقات الرواج والكساد، أما الإنسانية فقد أنصتت إلى المادة التاريخية، فقالت لها أنها شيء لا وجود له مع طوائفها التي تخلقها الأسعار والأجور..

واستمع الناس إلى الفاشية فقالت لهم إن الإنسان واحد من عنصر سيد أو عنصر مسود، وأن أبناء الإنسانية جميعا عبيد للعنصر السيد، والعنصر السيد قبل ذلك عبد للسيد المختار بغير اختيار..

واستمع الناس إلى "العقلية " فقال لهم قائل منها إن "إنسانيتهم" كذلك شيء لا وجود له ووهم من أوهام الأذهان، وأن الشيء الموجود حقا هو الفرد الواحد، وبرهان وجوده حقا أن يفعل ما استطاع من نفع أو أذى كلما أمن المغبة من سائر الأرفاد والأحداث..

وغير جديد ما استمعوه من أهل العقائد الإلهية عن مكان هذا الإنسان من الأرض والسماء ومكانه من إخوته في آدم وحواء..

سمعوا أنه روح وجسد، ودنيا وآخرة، ينجو شطره بمقدار ما يهلك شطره ويصح له الوجود بمقدار ما صح له من عقبى الفناء...

وأنه إنسانان. إنسان صحيح مقبول، وإنسان زائف مدخول. صحيح مقبول كل من اجتباه مولاه على هواه، وزائف مدخول كل من خلقه ونفاه، ولعله لم يخلقه ودعاه إليه من دعاه.

وسمعوا أن الإنسان يولد بذنب غيره، ويموت بذنب غيره، ويبرأ من الذنب بكفارة غيره، ويمضي بين النعمة واللعنة بقدر من الأقدار لا نصيب له فيه من عصيان أو طاعة، ومن إباء أو اختيار..

وسمعوا من القرآن غير ذلك، فهم متدبرون يستمعون إلى العقل كما يستمعون إلى الإيمان إذا اطمأنوا وثبتوا على اطمئنانهم إليه...

فالإنسان في عقيدة القرآن هو الخليفة المسؤول بين جميع ما خلق الله. يدين بعقله فيما رأى وسمع، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب، فلا تدركه الأبصار والأسماع".[1]

إصلاح النفس في المنظور القرآني وأهمية المنهجية في تحقيقه:

يعد إصلاح النفس من القضايا الجوهرية في المنظور القرآني، إذ إن صلاح الفرد هو الأساس في صلاح المجتمع واستقامة العمران البشري.

غير أن هذا الإصلاح لا يمكن أن يتحقق بوسائل عشوائية أو اجتهادات بشرية محدودة، بل يقتضي اعتماد منهجيات راسخة تنطلق من هدي القرآن الذي يعد الأعلم بخفايا النفس البشرية وما يعتريها من نوازع، باعتبار أن خالقها هو الأدرى بما يصلحها ويهذبها: يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (**الملك: 14**)

ومن هنا تأتي أهمية القرآن الكريم في رسم معالم الإصلاح النفسي وضبطه بمنهج متكامل يراعي أبعاد الإنسان العقدية والفكرية والسلوكية.

كما يؤكد القرآن على المسؤولية الفردية وارتباط الجزاء بأعمال النفس، في قوله تعالى في سورة غافر: " اليوم تجزى كل نفس بما كسبت" وهو تقرير صريح بأن مصير الإنسان مرهون بمدى إصلاحه لنفسه وضبطها بمنهج الحق.

فالإصلاح النفسي ليس ترفا فكريا، بل هو ضرورة وجودية مرتبطة بمآلات الإنسان في الدنيا والآخرة، ولا سبيل إلى تحقيقه إلا عبر منهجية ربانية تراعي فطرة الإنسان وتستجيب لاحتياجاته العميقة.

ومن صفات ومقومات الإنسان الإيجابية:

_ أنه مخلوق مكرم عن باقي المخلوقات: قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ (**الإسراء: 70**) لقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان عن باقي الكائنات، حتى عن الملائكة، الأطهار البررة (**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**) (**البقرة: 30**) قد سجد الملائكة للإنسان لأنهم يعلمون بأن الله

[1]- عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن الكريم، دار الإسلام، القاهرة، ط1، د.ت، ص 9-10.

يعلم ما لا يعلمون، يقول تعالى في سورة البقرة الآية 30: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**.

_**ولما خلق الله سبحانه وتعالى آدم جعله في أحسن صورة:** قال تعالى: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ( )التين: 4)

_ **العلم والقدرة على التعلّم:** قال تعالى في سورة الرحمان: **(الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)** (الرحمن: **1–4**) وقال سبحانه: **(عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)** (العلق: **5**)

أما صفاته السلبية فنذكر منها:

_ **الكفر والجحود:** قال تعالى: ﴿**وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ (إبراهيم **34**)، وقال تعالى: ﴿**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾ (عبس: **17**) وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾ (العاديات: 6).

_ **حب الجدل والخصومة:** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾ (الكهف: **54**)

_ **الاستعجال وعدم الصبر:** ﴿**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾ (الأنبياء: **37**) وقال تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**﴾ (القيامة: **20–21**)

وقال سبحانه: ﴿**لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ**﴾ (فصلت: **49**).

_ **الهلع والجزع والمنع:** قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ**﴾ (المعارج: 22/19)

_ **الطغيان وحب السلطة:** قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾ (العلق: 6-7)

_ **العودة إلى الله وقت الشدة والغفلة والركون إلى الدنيا وقت الرخاء:** ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا**﴾ (الإسراء: **67**)

_ **الإفراط في حب المال والبنين:** ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ (الأنفال: **28**)

إن الآيات الكريمة التي تتحدث عن هذه الصفة كثيرة، ونذكر منها أيضا قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: **14**).

وهذه الصفة ليست مذمومة لذاتها وإنما تصبح كذلك إن تجاوز هذا الحب القدر المسموح به مما يوقعه فالمحظور كالبخل: ﴿**قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾** (الإسراء: **100**)

ـ **الحسد:** إن الغيرة فطرة في الإنسان والنساء على وجه الخصوص، ولا يذم صاحبها إلا إذا أفرط فيها لدرجة الحسد أي تمني زوال النعمة عن الغير ولذلك قال تعالى مستنكرا على من يحسدون الناس على ما أعطاهم الله فقال سبحانه: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** (**النساء: 54**) فالحسد يحمل في طياته عدم شكر لله على ما أعطاه هو من النعم، وفيه احتجاج على تدبير الله، كما أنه يحمل الكره والبغض للغير لذلك أمر سبحانه وتعالى عباده أن يستعيذوا به من الحاسدين فقال: ﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾** (**الفلق: 5**).

إذن هذه هي بعض صفات الإنسان السلبية التي ذكرها القرآن، ولن يجد هذا الإنسان أفضل من القرآن الكريم ليقوم اعوجاجه ويصلح أموره، خاصة وأنه مخلوق خطاء، كما قال الرسول ﷺ: " كلُّ بني آدم خَطَّاءٌ، وخيرُ الخَطَّائِينَ التوابون"[1]

مما سبق يمكننا القول بأن الإنسان يتأرجح بين الكمال والنقص، فهو أهل للخير كما أنه أهل للشر، والكفة ترجح بما يتبع.

وفي هذه السطور الموالية ستتطرق الباحثة إلى المنهجيات الواردة في سورة غافر والتي من خلالها يستطيع هذا الإنسان أن يصلح حاله وشخصيته بما حوت من عاطفة وعقل وضمير، وما ينجم عنها من أفعال وتصرفات تعود عليه وعلى غيره بالنفع والخير.

المنهجيات:

المبحث الأول: منهجية حاكمية الكتاب

[1]- محمد بن يزيد بن ماجة: سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 1430هـ -2009م، باب ذكر التوبة، ج5، ص 321، (رقم: 4251)

يحتكم الإنسان العاقل الرشيد في لحظات الضياع والشتات إلى من تتوفر فيه شروط النصيحة وهي: سلامة الرأي، وإرادة الخير له. ولا يوجد من هو أعلم وأكرم وأهدى من الله عز وجل، ولذلك كان لزاما على الإنسان العاقل الرشيد ألا يترك طلب الهداية من كتابه سبحانه وتعالى، لينال بذلك العلم الصحيح والأجر الكبير في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: ضبط مفهوم الحاكمية

أ/. من الناحية اللغوية:

الحاكمية مشتقة من الجذر اللغوي (ح ك م)

حكَمَ/ حكَمَ بـ/ حكَمَ على/ حكَمَ لـ يَحكُم، حُكْمًا، فهو حاكم، والمفعول مَحْكوم (للمتعدِّي)

- حكَم اللهُ: شرَّع " ﴿**إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾ "(المائدة: 1)
- حكَم ابنَه: منعه وردّه عن السّوء، أخذ على يديه "حكم أخاه عن مجاراة رفاق السُّوء".
- حكَم البلادَ: تولّى إدارة شئونها "شهد التَّاريخُ الإسلاميّ حُكّامًا عادلين حكموا البلادَ بالشُّورى- تسلّم مقاليد الحكم- يحكم بيدٍ من حديد".
- حكَم الفرسَ: جعل للجامه حَكَمةً، وهي حديدةٌ تُجعل في فمه تمنَعُ جماحَه.
- حكَم بالأمر: قضى به وفصل "حكم بينهم بالعدل- ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾ (النساء: 58) حكَمَ ببراءته: برّأه.
- حكَم على فلان: قضى ضدّه، أو في غير صالحه "حكَم على المتهم بالإعدام/ بالسجن" حَكَمَ اعتباطًا: بلا تبصُّر.
- حكَم لفلان: قضى في صالحه.[1]

فالحاكمية من الناحية اللغوية تفيد معان عدة منها: التشريع، الحكم العادل، القضاء.

[1]- أحمد مختار عبد الحميد وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ج1، ص 537.

ب/. من الناحية الاصطلاحية:

إن كلمة الحاكمية من المفاهيم التي أثير حولها الجدل بين المفكرين، وبين مختلف المدارس الفكرية المتعددة والمتنوعة، وبين مختلف المذاهب والاتجاهات.

ومن بين التعريفات التي عرفت بها الحاكمية هي أنها: "الاحتكام إلى تشريعات الحق تبارك وتعالى في كتبه المنزلة على رسله، وجعلها معيارا ضابطا وحاكما لمصالح الناس في الحال والمآل، فلا تصلح أمرهم إلا بها، ولا تستقيم حياتهم إلا من خلال الاحتكام إليها، والامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه فيها في مختلف تمثلاتها."[1]

ويلاحظ على هذا التعريف أن الباحثة تطرقت فيه إلى حاكمية الكتب السماوية في جانب من الجوانب وهو جانب التشريع المتعلق بمنهج (افعل ولا تفعل)، وهو تعريف جزئي لأن الحاكمية أعم من التشريع، وإنما هو جانب من جوانبها المتعددة.

وقد عرف طه جابر العلواني في كتابه – حاكمية القرآن – الحاكمية بأنها: " حاكمية كتاب أنزله الله –جل شأنه– ينقد الإنسان المستخلف أيا كان نسقه الحضاري أو نمطه الثقافي أو مجاله المعرفي بما يأتي به من توجيهات لتحقيق الهدى وإظهار الحق والفصل بين الناس ".[2]

ويلاحظ على هذا التعريف أنه تعريف شامل ودقيق، لأنه يتضمن عناصر الحاكمية المتمثلة في: **صيغة التنزيل** الدالة على الحاكمية، **والمنزل له** وهو الإنسان المستخلف **وأسباب أهداف التنزيل أو الحاكمية** وهي الهداية وإظهار الحق والفصل بين الناس.

إذن ومن خلال رد المصطلح إلى ما ورد من التعريفات اللغوية ومن خلال ما جاد به الأساتذة والمفكرون من تعريفات، يمكن تعريف الحاكمية المقصود بها في هذه الدراسة بأنها: **"أن يهتدي الإنسان في استخلافه بنور القرآن تحت شعار: "حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم" فيجعله**

---

[1]- فاطمة الزهراء سعيداني وقاسم الشيخ بلحاج: مفهوم حاكمية الكتاب في الخطاب الإلهي لأمتي الكلمة والشهادة: مسارات التشكل وسياقات الخطاب – قراءة تدبرية في القرآن الكريم، مجلة الإحياء، الجلد 21، العدد 28، جانفي 2021م، ص 201.

[2]- طه جابر العلواني: حاكمية القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 1996م، ص 20-21.

المرجعية العليا والسلطة المطلقة في تنظيم حياته الفكرية والعقدية والسلوكية ويكون هو المصدر الأول للحكم على الأقوال والأفعال والمناهج فلا يتجاوز أمره ولا يعارض حكمه، لتحقيق العزة والعلم والفصل بين الحق والباطل في أمور الدنيا والدين ومن أجل صلاح الحال والمآل".

فلا عزة للإنسان بغير الاهتداء والعمل بما يوافق ما ورد في كتاب الله عز وجل، سواء أكان ذلك على المستوى الفردي أم الجماعي، كما أن أي علم لا يوافق ما ورد في الكتاب الكريم فإنه ليس بصحيح في أي مجال من المجالات، سواء أكان ذلك في علوم الدنيا أم في علوم الدين من الشرائع وأحوال السابقين مع الأنبياء والمدعوين، وجزاء العباد يوم الدين.

المطلب الثاني: أهمية العمل بهذه المنهجية

يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿**الم. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (البقرة: **1-5**)

إن القرآن الكريم كتاب الله العزيز العليم الذي أنزله على سيد وخاتم المرسلين، فلا نبي بعده ولا هدى بعد الهدى الذي جاء به، **ولذلك فقد تولاه الله بالحفظ إلى يوم القيامة دون غيره من الكتب السماوية الأخرى.**

كما جعل الله هذا القرآن تبيانا لكل شيء، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ (النحل: **89**)

ولكن هذا التبيان منوط بقراءة الإنسان واجتهاده في الوصول إلى هذه الكنوز، وذلك من خلال التدبر العميق والاجتهاد الصادق المبني على أسس علمية متينة.

إن حاكمية القرآن التي تحقق الاستخلاف البشري ترتبط بشروط، وليست آلية أو عشوائية، والأمة الإسلامية قد ضعفت وتراجعت عن الركب الحضاري ليس بسبب القرآن بل بالعكس بسبب ابتعادها عن الهدي القرآني، وعدم الاحتكام إلى نصوصه ومن ذلك غياب كلمة اقرأ التي بدأ بها تنزيل الوحي.

يقول العلواني في هذا الشأن: " إن أمة القرآن لم تعد أمة للقرآن، وبذلك فإن القرآن لن يحميها وقد تخلت عنه، قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (**الجمعة: 5**)

وحين ندرك أن الذين حملوا القرآن ثم لم يحملوه إلا "بالطريقة الحمارية" أي: حملوه على ظهورهم لا في قلوبهم وعقولهم ونفوسهم لن يكون مصيرهم أحسن من مصائر أولئك الذين حملوا التوراة، بل سوف يكون أسوء بكثير."[1]

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أثبتت التجارب فشل التشريعات البشرية بعكس التشريع الرباني الذي حقق مصالح الجميع بالعدل.

ومن ذلك تشريع الطلاق الذي يعتبر حلا للمشاكل الأسرية في حين كان الفاتيكان يحرمه ولكن الواقع فرض عليهم إباحة الطلاق.

وقد قال الشيخ الشعراوي في هذا الشأن: " لقد شرع الطلاق في الإسلام لحكمة، لأن المشرع سبحانه أعلم بطبائع الخلق، ومرت الأيام وألجأتهم أقضية الحياة ومشاكل المجتمع لأن يشرعوا هم أيضا الطلاق، ما أباحوه لأن الإسلام أباحه ولا محبة في دين الله ولا إيمانا بشرع الله، إنما أباحوه لأن الحياة فرضت عليهم قضايا لا تحل إلا بالطلاق قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (**الصف: 8**) وقال: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾(**التوبة 33.**) **و**يقولون مر على الإسلام أربعة عشر قرنا من الزمان وما يزال أغلب الناس غير المسلمين، والإسلام ليس هو الدين الغالب بل مهدد ومحارب، قلنا: لو تأملتم معنى الآية لعرفتم أن إظهار الدين لا يعني أن يؤمن كل الناس **إنما يظهر على غيره من الشرائع والقوانين، ويضطر غير المسلمين لأن يأخذوا بالإسلام في حل قضاياهم،** وقوله تعالى: "**ولو كره المشركون**" التوبة 33، **"ولو كره الكافرون"** التوبة 32."[2]

---

[1]- طه جابر العلواني: أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، دار الشروق، مصر، ط1، 2005م، ص30.

[2]- الشعراوي. تفسير الشعراوي، مرجع سابق، 13275-13276.

قال المودودي –رحمه الله–: ""مجالس الشورى، أو البرلمانات لا يباح لها أن تسنّ نظامًا أو تصدر حكمًا فيما ورد فيه نص صريح واضح في شريعة الله، أمّا ما لم يرد فيه نص شرعي، وهو المجال الأوسع، فلأهل الحلّ والعقد أنّ يجتهدوا في سنّ الأنظمة التي تحقق مصلحة الأمّة بالمشورة المتبادلة"[1]

إن الفرق بين الحاكمية البشرية وحاكمية الكتاب أن الحاكمية البشرية تعني الخضوع للأهواء والقصور والخطأ والجزئية، أما حاكمية الكتاب فإنها تحكم العالمين أجمعين بالعدل في شمولية دقيقة وعلم واسع.

كما أنها تعمل على «تنظيم الحياة بشكل مرن واسع في إطار تلك القيم القرآنية المطلقة القادرة على استيعاب أي واقع إنساني مهما كان، وبفهم إنساني متجدد من حقه أن يكون مختلفا من بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، مستفيدا في كل الأحوال من الخبرات والتجارب، ومن منهجية رسول الله ﷺ في فهم القرآن الكريم والربط بين القيمة والواقع".[2]

وقد أدرجت الباحثة هذه المنهجية ضمن منهجيات الإصلاح الذاتي التربوي الذي يصلح به الإنسان نفسه وكل ما يتعلق به، **وتتمثل أهمية العمل بهذه المنهجية من خلال ما يلي:**

- ❖ الحاكمية لكتاب الله تعالى متعلقة بأي إنسان يلجأ إلى هذا الكتاب الكريم، سواء أكان عربيا أم أعجميا، مسلما أو كافرا، بغرض الهداية والإصلاح.
- ❖ الحاكمية لكتاب الله من قبل الإنسان الغير المسلم تعني عدم إيجاده للمراد في الكتب السماوية الأخرى لأنها كتب طالها التحريف بعكس القرآن الكريم الذي تعهده الله بالحفظ.
- ❖ أهمية العمل بهذه المنهجية لها دلائل من النص والواقع، فقد تغيرت حياة وأحوال الكثيرين عند العمل بها.
- ❖ الحاكمية لكتاب الله لها مجالات عديدة أهمها التعرف على الله تعالى وعلى أمور العقيدة.
- ❖ الحاكمية لكتاب الله تتضمن الامتثال لأوامر الله ونواهيه.

---

[1]- أبو الأعلى المودودي: الإسلام والمدينة الحديثة، مطبعة القاهرة، ط1، 1978م، ص 40.

[2]- طه جابر العلواني، حاكمية القرآن، مرجع سابق، ص 25

❖ الحاكمية لكتاب الله طاعة لله وإعمال للعقل فيما يرضي الله، فينال العبد المراد والثواب في آن واحد.

❖ الحاكمية لكتاب الله تعالى استعانة بالله بدل الناس فيما استشكل عليه من مسائل غير واضحة أو مشاكل ومفاسد أرهقته، وهي تعني الصلة المباشرة بين العبد وربه.

❖ الحاكمية لكتاب الله ترتبط بمدى التزام الإنسان بمسئوليته أمام هذا الكتاب من خلال قراءته قراءة منهجية واضحة تمكن له من استخراج كنوزه المكنونة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنها ترتبط بمدى التزام الانسان بالعمل فيما توصل إليه من علم.

المطلب الثالث: عناصر حاكمية القرآن الكريم الواردة في السورة

❖ الصيغة:

يقول تعالى: ﴿**حم. تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾. وقال سبحانه: ﴿**ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ**﴾.

قال الشعراوي –رحمه الله –: "مادة نزل وردت في القرآن بصيغ عدة: أنزلنا، نزلنا، تنزيل، نزل، وكلها تعطي معنى العلو للذي نزل، وصفة العلو تدل على أن المنزل ليس من صنع البشر، وتدل على عظمة المنزل ومنزلته حتى إن كان من جهة الأرض لا من جهة السماء.

_ وتفيد _ لا تتركوا قوانين الأعلى وتأخذوا بقوانين الأدنى، لأن المقنن الأعلى سبحانه غير المقنن من البشر، فمهما بلغ من العلم والحكمة فلن يخلو من هوى ولن يتنزه عن غرض، فإن كان من الأغنياء يقنن للرأسمالية وإن كان فقيرا قنن للشيوعية.

لذلك يشترط فيمن يقنن ألا يكون له هوى، وألا يكون منتفعا بما يقنن وأن يكون محيطا بالأمور كلها بحيث لا يستدرك عليه ولا ينسى جزئية من جزئيات الموضوع وهذه الشروط كلها لا تتوفر إلا في الحق سبحانه لذلك لا يجوز لنا أن نترك قانون الله وشرعه ونتحاكم إلى قانون البشر".[1]

"**من الله** " المصدر على معناه وقوله "من الله أي لا كما يقوله الكفار من أنه اختلقه محمد.

---

[1]- الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 13274-13275.

"**العزيز العليم**" لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز وأنواع العلم الدالين على القدرة الكاملة والعلم البالغ وفي فتح الرحمان العزيز الذي لا مثل له العليم بكل المعلومات ".[1]

❖ **المجالات:**

❖ **حاكمية القرآن الكريم الإخبارية:**

لقد ورد في سورة غافر الكثير من الأخبار الغيبية وكذا أخبار الذين تقدموا من الأمـــــم وأحوالهم مع أنبيائهم، كما ورد في السورة الكريمة أخبار عن الله وعن ملائكته وعن أحوال الخلق وأمور الدنيا والآخرة، فصور لنا حال أصحاب النعيم وأحوال أصحاب الجحيم.

ومن أمثلة ذلك:

ـ الإخبار عن الله تعالى:

﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾

وقوله تعالى: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**﴾ (غافر: 15) وقال سبحانه: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾

كما تضمنت السورة الكريمة معظم أسماء الله وصفاته مثل: العزيز الغفار، بصير بالعباد، السميع البصير، خالق كل شيء لا إله إلا، الحي. ورد في السورة المباركة الكثير من الآيات التي أخبرتنا عن الله وعن أسمائه وصفاته الدالة على الألوهية والربوبية، كما يلاحظ استعمال صيغة "**هو الذي** " للدلالة أن سورة غافر تتضمن التعريف بالله عز وجل للعباد.

ـ الإخبار عن الملائكة:

لقد تضمنت السورة الكريمة الحديث عن صنفين من الملائكة وهما:

ـ حملة العرش: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾

---

[1]- إسماعيل حقي البرسوي، تفسير روح البيان، مصدر سابق، ص150.

ـ وخزنة جهنم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾

ـ الإخبار عن الرسل وأحوال الأمم:

لقد تضمنت السورة الكريمة أخبار الرسل السابقين وأحوالهم مع أقوامهم من التكذيب والمعاداة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

وقال أيضا: " ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

❖ حاكمية القرآن الكريم العلمية:

لقد ورد في السورة الكريمة العديد من الموضوعات العلمية التي تتعلق بالحقائق الكونية وبمسألة الخلق، وهذه الموضوعات والحقائق تعتبر إحدى أوجه الإعجاز القرآني **التي تثير العقل والروح معا.**

إن هذا النوع من الإخبار العلمي الدقيق بمسائل الخلق والكون والإنسان والحيوان وكل الموجودات له مقاصد وحكم كثيرة ومتعددة أهمها أن هذا القرآن الكريم ليس بكلام بشر وإنما هو "تنزيل من الله العزيز العليم"

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

❖ حاكمية القرآن العظيم السيكولوجية والأخلاقية:

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ

﴿اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾

الجبروت والتكبر وغيرها من الصفات والطبائع هي مورد المهالك في الدارين، والإنسان عليه أن يتحمل مسؤوليته كما ورد في صريح الآية الكريمة.

ومما أخبرنا الله تعالى أيضا في هذا الباب قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

ذلك أن الاستعمال الخاطئ للحواس يؤدي إلى الشعور واللاشعور السلبي وعليه ينجم الخطأ والضلال.

المطلب الرابع: منهجية أعداء الدين في صد الإنسان عن هذا الكتاب المبين

عندما سمع كفار قريش القرآن الكريم علموا بأنه ليس بكلام بشر، فهم كانوا أهل فصاحة وبيان، لا يخفى عليهم النثر والشعر، ومن أجل منع الناس من اتباع محمد ρ والدخول في دينه فقد عمدوا إلى منهجية صد الناس عن سماع هذا القرآن العظيم، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: 26)

أما أعداء اليوم فيعلمون بأنه ومع التطور التكنولوجي فإنه يستحيل أن يصدوا الناس عن السماع لهذا القرآن العظيم فعمدوا إلى منهجيتين خبيثتين:

الأولى: وتتعلق بغير المسلمين، محاولة إعطائهم فكرة مسبقة عن هذا الكتاب بأنه كتاب عنف وتطرف وإرهاب، وما إلى ذلك من الشبهات.

الثانية: مع المسلمين: محاولة منعهم من فهم هذا الكتاب والتأثر به من خلال نشر الموانع التي تقف أمام جعل هذا الكتاب نبراس الهداية لهم، ومن ذلك إبعادهم عن فهم اللغة العربية، ونشر أكبر عدد من المحرمات التي تثير فيهم الشهوات فينصرفوا إليها وينشغلوا بها عن هذا الكتاب وعن التدبر فيه.

لقد علم أعداء اليوم كما علم أعداء الماضي بأن هذا القرآن ليس مجرد كلمات تقال، وإنما هو منهج حياة، وسبيل للآخرة.﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: 8)

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

ـ **الصلة المباشرة بين الإنسان وبين ربه سبحانه وتعالى،** إذ يقوم الإنسان بالرجوع إلى مصدر الهداية الأول دون وسائط أو حجب، ليتلقى التوجيه مباشرة من الوحي الإلهي دون وسائط أو حجب، ليتلقى التوجيه مباشرة من الوحي الإلهي الذي يعلم خفايا النفس واحتياجاتها كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: 19)

ـ **استشعار الإنسان أن الخطاب القرآني موجه إليه مباشرة،** وهذا يحدث تفاعلا وجدانيا ومعرفيا يجعل القارئ في موقف التلقي عن الله تعالى دون وسائط، فيشعر أنه المخاطب بالوعد والوعيد، وبالأمر والنهي، والهداية والتحذير، ومن خلال هذا التوجه المباشر تتجدد علاقة الإنسان بالوحي على أساس الخضوع والانقياد، لا على سبيل التلاوة المجردة أو الفهم النظري.

ـ **الانطلاق من القرآن في فهم الظواهر واستلهام الحقائق،** وهذا يعد مظهرا من مظاهر حاكميته، لأنه يعيد بناء المعرفة الإنسانية ضمن إطار الوحي، فيتسق العلم مع الإيمان، والعقل مع النص، والمنهج مع الهداية.

ـ **الاهتداء للتي هي أقوم في جميع مجالات الحياة العقدية والعبادية والمعاملاتية،** فالوحي الإلهي هو الميزان الذي توزن به العقائد لتصحيح الإيمان، والعبادات لضبط السلوك التعبدي، والمعاملات لتنظيم العلاقات الإنسانية وفق العدل والرحمة.

ـ **مبدأ الجزاء الدنيوي والأخروي،** فالقرآن الكريم يجعل من مبدأ الجزاء قاعدة تربوية وإصلاحية تقوم السلوك وترد النفس إلى منهج الحق، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة غافر: 17).

ـ **ضبط الشهوات وإعمال العقل أمام كل الدعوات فيأخذ الحسن ويرفض السيء،** فنهج الحاكمية يقتضي أن يعمل الإنسان عقله في ضوء القرآن، وبذلك يحرر الفكر من الانقياد العاطفي، ويحرر الشهوة من الانفلات الغريزي، لتتحقق للنفس الإنسانية حالة الاعتدال والتوازن التي تمكنها من الإصلاح الرشيد.

ـ **إقامة سلسة بشرية بين الأفراد تجتمع على حاكمية الكلمة القرآنية،** فحين تتوحد العقول

والقلوب على مرجعية الوحي، تنشأ رابطة إصلاحية متينة تعيد للأمة تماسكها وتكفل لها القدرة على مواجهة التحديات الفكرية والحضارية، وبذلك تصبح حاكمية القرآن قوة جامعة ترد المسلمين إلى قضاياهم الكبرى، ومقدساتهم المشتركة وتحفظ للإنسانية آدميتها وكرامتها، لأنها تؤسس لعلاقات قائمة على العدل والرحمة والاحترام المتبادل، في ضوء الوحي الإلهي الذي يعلو على العصبيات والمصالح الضيقة.

المبحث الثاني: منهجية التخلية قبل التحلية

تعتمد هذه المنهجية على الترتيب بين العناصر، فلا يقدم ما حقه التأخير ولا يؤخر ما حقه التقديم، من أجل الوصول إلى النتيجة المطلوبة. والتخلية والتحلية منهجيتان منفصلتان من جهة، ومتصلتان من جهة أخرى، فلا يكفي تطبيق واحدة دون الأخرى، كما لا يكفي تطبيقهما دون مراعاة سلم الترتيب بينهما.

المطلب الأول: ضبط مصطلحي "التخلية " و"التحلية"

_ لغة:

إن كلمة التخلية مشتقة من الجذر اللغوي "خلا"، خلا المكان والشيء يخلو خلوا وخلاء إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه وهو خال.[1]

أما كلمة التحلية فهي مشتقة من الجذر اللغوي: "حلا" حلا الشيء يحلو حلاوة وتحلية أي جعلته حلوا.[2]

_ اصطلاحا:

وقد عرفتا بأنهما:

"**التخلية:** التخليص من الرذائل.

والتحلية: الاتصاف بالكمالات والفضائل وحاصله أن الشخص إذا أكثر من ذكر" لا إله إلا الله

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج18، ص 260.

[2]- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، د ت، ج6، ص 257.

محمد رسول الله" فإنها تخلص قلبه من الدسائس الشيطانية وتقوم به الكمالات والمعارف الربانية بحيث يتصف بها ويتحلى بها".[1]

أما اسماعيل راجي الفاروقي[*] فقد أطلق عليهما مصطلح "**الغربلة**"، فقال في مقدمة كتاب (التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة): "**التخلية:** ببيان ما ليس من التوحيد في شيء، وعلى صعيد **التحلية:** ببيان جوهر التوحيد ومضموناته الحقيقية"[2]

أي غربلة التوحيد من مظاهر الشرك، وبيان مضامينه الحقيقية.

المطلب الثاني: أهمية العمل بمنهجية التخلية قبل التحلية

إن التخلية قبل التحلية منهجية قرآنية، حيث أنها وردت صريحة في عديد من النصوص القرآنية، نذكر منها قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (الأحزاب: **33**).

وفي الآية الكريمة " الحثُّ على مكارمِ الأخلاقِ والردعُ عن رذائِلِها، فالواجبُ أن تُعَلَّلَ العِلّةُ بما يدل على التخلية والتحلية"[3]. فالطهر لا يكون إلا بالتخلي عن الرجس.

وقد جاء في سورة عبس قوله تعالى: **{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى}**؛ أي: "فإن لم يقع منه تزكٍّ، حصلَ الاتِّعاظ بالموعظة، فتنفعَه ولو بعد حين، فالتزكي: تطهير، وهذا جانب التخلية، وحصول التذكر في القلب تحلية". [4]

وفي آيات التسبيح والحمد توجد أيضا تخلية وتحلية، ذلك أن: " الإنسان لا يؤمن حقا ما لم يتخلى

---

[1]- محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي: حاشية الدسوقي على أم البراهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د ت، 255.

[*]–إسماعيل راجي الفاروقي: واحد من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، ولد في يافا فلسطين عام 1921م، واستشهد عام 1948م حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة أنديانا وعمل بجامعات عديدة.. (انظر: اسماعيل راجي الفاروقي: جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2021م، ص5).

[2]- إسماعيل راجي الفاروقي: التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط1، 2014م، ص 37.

[3]- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1413هـ - 2013م، ج12، ص 422.

[4]- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: تفسير جزء عم، دار ابن الجوزي، ط8، 1430هـ، ص 51.

عما كان يعبد من قبل من أوثان وما شابه، فمعنى التسبيح" سبحان الله " أي أنزه الله العظيم في كل أمر. (وبحمده) أي أسبّحه حامدًا له وهو جمع بين التخلية والتحلية، خلاه الله تعالى عن كل قبيح، ثم حلاه تعالى بكل ثناء صحيح".[1]

إن منهجية التخلية قبل التحلية ليست مجرد ترتيب شكلي، بل هي قاعدة إصلاحية عميقة تحمل فوائد تربوية ومنهجية عديدة، يمكن استخلاص أهم فوائدها كما يلي:

❖ **ضمان ثبات البناء الإيماني**: فالتوحيد والفضائل لا تثمر في قلب ملوث بالشرك أو الكبر، إذ أن إزالة الموانع شرط لقبول الحق والانتفاع به.[2]

❖ **التدرج التربوي في الإصلاح**: يراعي القرآن طبيعة النفس البشرية فلا يطالبها بالكمال دفعة واحدة، بل يبدأ بتطهيرها من الانحرافات ثم ينمي فيها الفضائل، وهو منهج إصلاحي واقعي.

❖ **تحقيق فاعلية التغيير**: الإصلاح الذي يتجاهل إزالة المعوقات الداخلية يبقى هشا، بينما التخلية تفتح المجال أمام التحلية لتؤتي ثمارها بعمق واستمرارية.

❖ **الوقاية من النفاق والازدواجية**: فالمظاهر التعبدية أو القيمية إذا لم تبن على قلب خال من الأهواء والشكوك قد تتحول إلى قشور شكلية، بينما التخلية تعصم النفس من التناقض بين الباطن والظاهر.

❖ **ترسيخ منهج النقد الذاتي**: إذ تدعو هذه المنهجية إلى محاسبة النفس وإزالة نقائصها قبل السعي لتكميلها مما يرسخ وعيا عميقا بالمراجعة والإصلاح الذاتي.[3]

❖ **تحقيق التكامل بين العقيدة والسلوك**: فالتخلية تعنى بتنقية العقيدة من الشرك والجدال بالباطل، والتحلية تعنى بغرس اليقين والعبودية لله، وبذلك يتحقق التكامل بين البعد العقدي والأخلاقي.

❖ **تقديم نموذج عملي للإصلاح المجتمعي**: فكما يصلح الفرد بالتخلية والتحلية، يصلح المجتمع أيضا بإزالة عوامل الفساد والظلم قبل غرس قيم العدل والإيمان.

---

[1]- محمد بن إسماعيل المعروف بالأمير: التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ - 2011م، ج 10، ص 333.

[2]- انظر ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج2، ص 307.

[3]- انظر أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج3، ص 60.

المطلب الثالث: لماذا التخلية قبل التحلية؟

وجب تقديم التخلية على التحلية لأسباب عديدة منها:

❖ أن النفس البشرية لا تستطيع أن تستقبل النور ما لم تطرد الظلام أولا وكما قال الشافعي: "وعلم الله نور ونور الله لايؤتاه عاص".

❖ هذه المنهجية هي القانون الأساسي للتوبة: إذ لا توبة لمن لم يرد المظالم ويطلب العفو ويصلح ما أفسد.

❖ أن هناك صلة بين أعمال القلب وأعمال الجوارح، فكل منهما يؤثر في الآخر.قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في مجموع الفتاوى: "وإذا قامَ بالقلب التصديقُ به والمحبةُ له، لَزِمَ ضرورة أن يتحرك البدَنُ بموجب ذلك مِن الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدَن مِن الأقوال والأعمال هو مُوجَب ما في القلب ولازِمُه ودليلُه ومَعْلُولُه، كما أنَّ ما يقوم بالبدن مِن الأقوال والأعمال له أيضًا تأثيرٌ فيما في القلب، فكلٌّ منهما يؤثِّر في الآخر، لكنَّ القلبَ هو الأصل، والبدَنَ فرعٌ له، والفرعُ يستمدُّ مِنْ أصله، والأصلُ يَثْبُتُ ويقوى بفَرْعه؛ كما في الشجرة التي يُضْرَب بها المثَلُ لكلمة الإيمان."[1]

❖ حتى في قانون الجسد لا يصلح أن يعالج الجرح إلا بعد تنظيفه.

❖ وفي الأرض أيضا لا غرس قبل الحرث وإزالة العوائق.

❖ أن التحلية إذا وردت على محل غير نظيف صارت ناقصة.

❖ أن التخلية والتحلية تمثلان شرطان أساسيان في عملية التزكية: ذلك أن: " التخلية لا تعني ترك الإنسان خاليا فارغا وإنما تعني إعداده ليمتلئ بما يحلو من الصفات الممدوحة التي زينها الله له وأمره بها وهي كذلك صفات كثيرة أهمها القيام بالفرائض والنوافل وتعهد القرآن الكريم بالقراءة والتدبر والتفكر والتحلي بالتقوى وكثرة ذكر الله سبحانه أي حضوره سبحانه في قلب الإنسان فلا يغفل عنه ومحاسبة النفس وذكر الموت وغير ذلك".[2]

---

[1]- أحمد بن تيمية: مجموع الفتاوى، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط3، 1426هـ -2005م، ج7، ص 332.

[2]- فتحي حسن ملكاوي: منظومة القيم العليا، التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط 1، 1434هـ - 2013م، ص 112.

المطلب الرابع: منهجية التخلية قبل التحلية من خلال السورة:

_ التخلية من الكفر والشرك قبل التوحيد:

إن سورة غافر سورة مكية، نزلت في فترة الإصلاح العقدي الذي كان يحث فيه الرسول ρ الناس على نبذ الشرك وعبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد، الفرد الصمد.

ومن الآيات الواردة في السورة والتي تتضمن التخلية من الشرك إلى التحلية بالتوحيد قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾

﴿**نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ**﴾ هذه تخلية، ﴿**وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ**﴾ هذه تحلية.

ووجه كون التخلية قبل التحلية أن التحلية إذا وردت على محل غير نظيف صارت ناقصة متلوثة، فأنت طهِّر المحل أولًا، ثم حلِّه ثانيًا، **وهكذا كلمة الإخلاص؛ (لا إله) نفي، (إلا الله) إثبات، الأول تخلية، والثاني تحلية.**

_ التخلية من الذنوب قبل التحلية بالطاعات والعبادات

لقد تضمنت السورة الكريمة هذه المنهجية بشكل كبير، وعلى سبيل المثال في قوله تعالى:

﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ فلا صلاح للإنسان إذا لم يتخل أولا عن الصفات القبيحة والأفعال الخاطئة والأخلاق الفاسدة ثم يتحلى بضدها من استقامة الظاهر والباطن وكل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى.

قال ابن القيم _رحمه الله_: "فمتى خلصت الأبدان من الحرام وأدناس البشرية التي ينهى عنها العقل والدين والمروءة، وطهرت الأنفس من علائق الدنيا، زكت أرض الخلق فقبلت بذر العلوم والمعارف".[1]

وقد قال السيد قطب –رحمه الله– في تفسير السورة: ": لابد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها، وحقيقة الإيمان كثيرا ما يتجوز الناس فيها وهي لا توجد إلا حين يخلو القلب من الشرك في كل صوره وأشكاله، وإن هنالك لأشكالا من الشرك خفية، ولا يخلص منها القلب إلا حين

[1]- ابن القيم الجوزية: تهذيب مدارج السالكين، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2010م، ص 434.

يتجه لله وحده ويتوكل عليه وحده، ويطمئن إلى قضاء الله فيه وقدره عليه ويحس أن الله وحده هو الذي يصرفه فلا خيرة له إلا ما اختار الله، ويتلقى هذا بالطمأنينة والثقة والرضى والقبول، وحين يصل إلى هذه الدرجة فلن يقدم بين يدي الله ولن يقترح عليه صورة معينة من صور النصر أو صور الخير، فسيكل هذا كله لله، ويلتزم ويتلقى كل ما يصيبه على أنه الخير. وذلك معنى من معاني النصر. النصر على الذات والشهوات، وهو النصر الداخلي الذي لا يتم نصر خارجي بدونه بحال من الأحوال.[1]

_ التخلية من الكبر والأخلاق المذمومة قبل التحلية بالاتباع والطاعة والدعاء:

قد ركزت السورة الكريمة على صفة خطيرة لابد أن يخلو منها القلب وإلا هلك وأهلك، وهي صفة الكبر: "وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب"

وقال سبحانه: الذين يجادلون في ءايات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين ءامنوا كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار"

وقال رسول الله ﷺ: **"**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**"**.[2]

فبقدر ما يتخلّى القلب عن الرذائل والشواغل والموانع، وبقدر ما يتحلّى بأنواع الفضائل، يقع القرب من الله.

فبقدر ما يتخلى القلب عن المعازف والأغاني والتفاهات، ويتحلى بالآيات البينات وأحاديث الرسول ﷺ والعلم النافع اقترب من الله ومن العلو والرفعة واليقين والثبات.

_ التخلية من العذاب والألم قبل التحلية بالنعمة:

ومن صور هذه المنهجية في السورة ما ورد في دعاء الملائكة: ﴿**فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ هذه هي التخلية أولا من المؤلم ثم تأتي التحلية بالنعمة التي تسر وذلك في ﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ**

---

(1)- سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 3086.

(2)- محمد بن حبان: صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، تحقيق محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433هـ -2012م، باب ذكر الإخبار عن وصف القائم في حدود الله والمداهن فيها، ج4، ص 500. (رقم الحديث: 3845).

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

لأن التخلية والنجاة من العذاب أولى من التنعم والقاعدة أن دفع الضرر مقدم على جلب النفع، لذلك قال تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** (آل عمران)**185**.

ثم إن دعاءهم لم يخص المؤمنين فحسب، إنما يشمل العائلة كلها "ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.." فذكروا الشجرة كلها لأن الآباء يسرون بوجودهم مع الأبناء فلم يقطع عليهم هذه النعمة.[1]

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

_التخلية عما يضر لا ينفع إذا لم تعقبه التحلية بما ينفع، والقرآن الكريم يبرز أن إزالة الانحرافات والذنوب مقدمة لازمة لغرس الفضائل والإيمان.

_ استبدال ما يضر بما ينفع، والنقائص بالكمالات، فالمعالجة القرآنية لا تقتصر على النهي عن الرذائل، بل تهدف إلى إحلال الفضائل محلها، بما يضمن استمرارية الإصلاح وعدم انتكاس النفس إلى ما كانت عليه.

_ تغير الحال وترسيخ فاعلية التغيير، فلا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والإصلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بإزالة الموانع الداخلية أولا، ثم تزيين النفس بالفضائل وهو ما يمنح عملية التغيير أصالة وعمقا.

_ اكتساب مهارات نفسية وعقلية، وذلك من خلال تزويد العقل بالمهارات التي يحتاجها في التخلية والتحلية.

_ تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي، وتحقيق الانسجام بين الباطن والظاهر من خلال الجمع بين تطهير القلب من الانحرافات الباطنة وغرس السلوكيات الظاهرة الصالحة، فيتحقق بذلك التكامل في بناء شخصية الإنسان.

[1]- محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 13311

المبحث الثالث: منهجية الجمع بين الرجاء والخوف مع الإيمان

تمهيد:

فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان على حب الخير والفزع من الشر، وهذه الفطرة تدفع الإنسان إلى الطلب والسعي لما يراه نافعا، ويحذر ويتقي مما يعتقده ضارا ومؤلما.

وقد تضمنت السور الكريمة من الثواب والعطاء والخير ما يدفع الإنسان إلى الطمع فيه والسعي إلى الحصول عليه، كما تضمنت السور كذلك موارد الهلاك المبين والعذاب الشديد الذي يخشاه أي إنسان ولا يرى نفسه قادرا على تحمله.

ولكي يكون هذا الإنسان في أفضل أحواله، وحتى لا تميل كفة الميزان إلى جهة تؤدي به إلى الهلاك كان لزاما العمل بكلا الاتجاهين: الرجاء والخوف مع جعل الإيمان رأس الأمر.

المطلب الأول: ضبط مصطلحي الخوف والرجاء

الخوف هنا لا يقصد به تلك الحالة النفسية التي تعتري النفس البشرية عند الاصطدام بأمر يسلب أمنها وسلامها.

والأمن من أعظم نعم الله تعالى ولذلك قال في سورة قريش: ﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾ (**سورة قريش: 4**)

لكن الخوف الذي يحتاجه الإنسان في الإصلاح هو الخوف من الله سبحانه وتعالى، وهو " الخوف القائم على أسس نفسية تمتلك إرادة عالية في ضبط الجوارح عن ارتكاب المناهي، وهذا ما نلحظه في الآية التي تصور ذلك لدى أحد ولدي آدم عليه السلام حين هم أخوه بقتله، ثم قتله، فقال له حين هدده بالقتل: ﴿**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ (**سورة المائدة: 28**).[1]

[1]- عبد الله أسود خلف الجوالي: الخوف والرجاء في القرآن –دراسة تحليلية، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط1، 1424هـ - 2003م، ص 22

قال بشر الحافي: "الخوف من الله ملك لا يسكن إلا في قلب متق"[1]

وعرفه الجرجاني بأنه: " توقع حلول مكروه أو فوات محبوب".[2]

وقال ابن القيم: "الخوف علامة صحة الإيمان، وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه".[3]

إن الخوف من عقاب الله هو من صحة الإيمان، وهو خوف واجب على كل مسلم.

وقال أيضا «لولا روح الرجاء لما تحركت لما تحركت الجوارح بالطاعة ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات".[4]

وقال الشيخ أحمد زروق: " الرجاء هو السكون لفضله تعالى بشواهد العمل في الجميع، وإلا كان اغترارا".[5]

المطلب الثاني: أهمية العمل بهذه المنهجية

عند تتبع القرآن الكريم نجد أن الكثير من آياته تتضمن الجمع بين الخوف والرجاء في الموضع الواحد، فترغب من جهة وتنهى وتحذر وتتوعد من جهة أخرى، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (الإسراء: 57).

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ 49 وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر: 49_50)

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الرعد: 6)

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (سورة السجدة: 16)

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

---

[1]- أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة الشعب، القاهرة، 1989، ص 236.

[2]- علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، الدار الوطنية للنشر، مصر، ط1، 1948م، ص 60.

[3]- ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج1، ص 515.

[4]- المرجع نفسه، ج2، ص 43.

[5]- أحمد زروق: قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، ص 74.

يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 9).

ومن خلال تتبع هذه الآيات القرآنية وغيرها نجد أن الجمع بين الخوف والرجاء منهجية قرآنية، حيث وردت في عديد من الآيات، آيات الرحمة والمغفرة متصلة بآيات العذاب والعقاب، ولم يذكر النار وأهلها إلا ذكر بجنب ذلك الجنة وأهلها **لما في ذلك من تأثير وتوازن على النفوس.**

إن هذه المنهجية تنجي الإنسان في الدنيا والآخرة، تنجيه من أن يكون من الخوارج، أو من أهل المرجئة أو من غلاة الصوفية، قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى: " ينبغي للعبد أن يجمع بين ثلاثة أمور: وهي المحبة والخوف والرجاء، فإن القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد أصبح عرضة لكل صائد وكاسر، والاقتصار على واحد من هذه الثلاثة دون الباقي انحراف عن الجادة، وخلل في السلوك، فعبادة الله بالخوف وحده يورث اليأس والقنوط وإساءة الظن بالله جل وعلا، وهو مسلك الخوارج، وعبادته بالرجاء وحده يوقع في الغرور والأمن من مكر الله، وهو مسلك المرجئة، وعبادته بالمحبة طريق الزندقة والخروج من التكاليف، وهو مسلك غلاة الصوفية الذين يقولون لا نعبد الله طمعا في جنته ولا خوفا من ناره ولكن حبا في ذاته ولهذا قال السلف قولتهم المشهورة من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري –أي خارجي– ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف والحب فهو مؤمن موحد".[1]

ومن أجمل ما قيل في الخوف والرجا أبيات أبي نواس عندما قال:

يا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً ... فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ ... فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المجرِمُ

أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعا ... فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَمُ

ما لي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إِلا الرَجا ... وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِمُ[2]

ومما تقدم يمكن تلخيص أهمية العمل بمنهجية الجمع بين الخوف والرجاء مع الإيمان بالله تعالى في

---

[1]- شهاب الدين أحمد بن محمد: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط 7، 1323هـ، ج9، ص 268.

[2]- ديوان أبي نواس، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م، ص15.

النقاط التالية:

❖ **حسن الظن بالله تعالى:** إذ يربي الرجاء في القلب يقينا برحمة الله ويمنع الخوف من الاغترار وبذلك تبقى النفس في حالة اتزان روحي وسلوكي.

❖ **حسن العمل:** فالخوف يدفع إلى تجويد العمل خشية الرد، والرجاء يبعث على الإخلاص والرغبة في قبول العمل.

❖ **تحقيق التوازن النفسي:** إذ يوفر هذا المنهج علاجا للقلق والتذبذب الداخلي، من خلال التوازن بين الخوف المانع من الانفلات، والرجاء المانع من الانكسار.

❖ **السلامة من الانتماء للفرق الضالة:** فالمبالغة في جانب الرجاء دون خوف قد تقود إلى الإرجاء، بينما المبالغة في الخوف قد تقود إلى الخوارج، والجمع بينهما يعصم من الانحراف العقدي والفكري.

❖ **تحقيق الاعتدال التربوي:** إذ يحمي هذا المنهج من طرفي الانحراف، الإفراط في الخوف المؤدي القنوط واليأس، والإفراط في الرجاء المؤدي إلى الغرور والتهاون.

❖ **تقوية الدافعية للإصلاح:** فالخوف يردع النفس عن المعاصي، بينما الرجاء يدفعها نحو الطاعات، فيتكامل البعدان ليشكلا قوة دافعة باتجاه الاستقامة.

❖ **ترسيخ المراقبة القلبية:** فاستحضار عدل الله ورحمته وفضله يحقق في القلب مقام الإحسان في عبادة الله كأنه يرى.

❖ **الانسجام مع المنهج القرآني:** حيث تكرر هذا الجمع في مواضع عديدة، مثل قوله تعالى: " نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم". (الحجر: 49-50).

❖ **حماية الفرد من الانكسار الروحي:** فاليأس المفرط قد يؤدي إلى الانحراف أو الانتحار المعنوي، بينما الرجاء المتوازن يفتح أبواب الأمل والتوبة.

المطلب الثالث: الآيات التي تبث الرجاء في قلب القارئ في السورة

إن سورة غافر سورة تجمع الرجاء والخوف في قلب كل من يقرؤها، فعندما يقرأ آيات التوبة والمغفرة يطمع، فإذا به ينتقل إلى مقاطع العذاب والوعيد فيخاف ويحذر.

ويمكن تقسيم آيات الرجاء في السورة إلى ثلاثة أقسام:

1. آيات التوبة والمغفرة:

لقد خلق الله تعالى الإنسان وفطره على الخطأ، فلا عصمة لغير الأنبياء، ومن رحمة الله أنه يقبل الذنوب جميعا إلا الشرك.

وقد تضمنت سورة غافر وعد الله لعبده بالتوبة عنه والمغفرة له عندما يستوفي شروط التوبة، قال تعالى: ﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾

2. دعاء الملائكة:

إن رحمة الله الواسعة جعلت من الملائكة الذين يحملون عرشه يستغفرون للمؤمنين، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾

3. آيات النعيم:

إن قراءة آيات النعيم الذي أعده الله رب العالمين للمؤمنين من جنات عدن وعطايا يغرس في قلب المؤمن رجاء ما عند الله العظيم، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾

إن كرم الله لا حدود له، والإنسان كما وصفه القرآن بأنه لحب الخير لشديد، ولذلك كان من العقل والحكمة طاعة الله لنيل هذا العطاء الكبير.

المطلب الرابع: الآيات التي تبث الرعب والخوف والزجر في قلب الإنسان القارئ لهذه الآيات

كما تضمنت سورة غافر آيات تبث في قلب المؤمن الرجاء فإنها تتضمن كذلك آيات الردع والتخويف من عقاب الله الذي وصفه الله بأنه شديد.

ويمكن تقسيم آيات الخوف الواردة في السورة إلى النقاط التالية:

1.آيات الأخذ والعقاب

لقد اتصلت آيات الرجاء بآيات العقاب في الآيات في مواضع عدة، ومن آيات العقاب قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

وقوله سبحانه في عقاب أهل النار: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾

2.مصارع الغابرين

لقد تضمنت السورة الكريمة آيات عديدة تتحدث عن مصارع الغابرين وبينها قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

وقال أيضا: ﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾

3.مشاهد القيامة

قال سبحانه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ. وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ. فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾

إن مثل هذه الآيات يفترض أن تجعل الإنسان في حالة خوف شديد، خوف يدفعه إلى السعي ألا يكون من أهل الغضب الإلهي.

أما الإنسان الذي لم تصلحه هذه الآيات فهو قلب ميت وسيورث صاحبه الهلاك المبين.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

ـ حسن الظن بالله تعالى من أعمدة البناء الإيماني التي تحفظ مسار النفس من الانهيار في طريق الإصلاح، إذ يجعل الإنسان يعيش بين جناحين متوازيين، جناح الأمل الذي يمنعه من القنوط واليأس،

وجناح الخوف الذي يحجزه عن الغرور والأمن من مكره سبحانه.

_ الكف عن المعاصي، والسعي الى مختلف الطاعات والعبادات تجسيد عملي للتوازن الوجداني الذي ترسخه منهجية الخوف والرجاء، فمن خلالها تنشأ في قلب الإنسان حالة من الرقابة الدائمة التي تضبط سلوكه وتوجه إرادته نحو الصلاح.

_ الهمة في السعي، فلا رجاء بلا عمل، فالرجاء الحق لا ينفك عن حركة فاعلة تترجم صدقه على أرض الواقع.

_الوسطية والاعتدال، والسلامة من الغلو والتطرف(الموازنة) هي الخلاصة التربوية العظمى التي تعبر عن المخرج القيمي والسلوكي للتوازن القرآني، فالقرآن الكريم يربي الإنسان على الاعتدال في الانفعال والسلوك وعلى الاتزان بين الرغبة والرهبة، كما يؤسس في شخصيته منهجا وسطيا في التفكير والتعامل يجعله بعيدا عن الانغلاق الفكري والعنف الديني ويحصنه من اللامبالاة أو الانفلات القيمي.

_ عدم الوقوع في الغفلة وفي آفة العجب بالعمل تمثل جانب الحماية النفسية للإنسان ضمن المنهج القرآني، فالخوف من الله يولد في القلب يقظة دائمة ترده عن الغفلة، وتجعله يستحضر رقابة الله في كل قول وعمل، بينما الرجاء يمده بطاقة الأمل تمنعه من الاستسلام للفتور أو الانقطاع.

_ الطفل الذي ينشأ على الخوف من الله يكن من أهل الصلاح والاستقامة، فهذا الخوف ليس شعورا سلبيا، بل هو قوة ضابطة للنفس منذ مراحلها الأولى، والطفل الذي ينشأ وهو يربط بين أفعاله ونظر الله إليه فسيستحي أن يخالف أمره ولو في الخفاء تكن نشأته سليمة وصحيحة وقوية.

_ الخوف من الله يقوي المؤمن ويحميه من الخوف من غيره، فلا يخاف في الله لومة لائم ويصدح بكلمة الحق ولا يبالي، إذ يعد الخوف من الله تعالى من أهم العوامل المكونة لشخصية المؤمن القوية، إذ يمنحه توازنا نفسيا يحميه من الخضوع لمظاهر الخوف الدنيوي.

المبحث الرابع: منهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج

تمهيد:

إن المتتبع للنصوص القرآنية يجد بأنها توحي أن لله قانونا عاما يقوم على الأسباب والمسببات، والنتائج بالمقدمات، ومن أراد الفلاح في شؤونه الدنيوية أو الأخروية فعليه الالتزام بهذا القانون وذلك من خلال ربط الأسباب بالمسببات وكذا المقدمات بالنتائج.

وسورة غافر من بدايتها لنهايتها تشير إلى ارتباط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج في عالم الجماد وفي عالم الإنسان وعلى الصعيد الفردي أو الجماعي، على صعيد الخير والفلاح والنجاة أو على صعيد الكفر والجحود والخسران المبين.

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

السبب **لغة:** هو الحبل، هو كل شيء يتوصل به إلى غيره.[1]

اصطلاحا: السبب هو ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك. **"فأتبع سببا"** أي طريقا يوصله.[2]

ويمكن **تعريف الأسباب بأنها:** الوسائل لحصول المطلوب. **ومسبباتها هي:** النتائج الحاصلة عند الأخذ بتلك الأسباب.

فالأكل سبب، والشبع الحاصل عن الأكل هو المسبب، أي النتيجة الحاصلة عن الأكل. والمذاكرة سبب للنجاح، والنجاح هو المسبب والنتيجة، وهكذا.

أما **المقدمة:** "فهي مشتقة من الجذر اللغوي قدم، وقيل المقدمة من كل شيء: أوله، ومقدم كل شيء: نقيض مؤخره".[3]

أما المقصود بالمقدمة في هذه الدراسة فهي: البداية وهي أول الأمور التي تدل على النتيجة.

والنتيجة هي ما وصلت إليه الأمور الناتجة عن المقدمة.

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص 43.

(2)- محمد بن أحمد بن جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، دت، ج1، ص 518.

(3)- مؤسسة رواد الترجمة، موسوعة المصطلحات الإسلامية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1441هـ، ص 258

المطلب الثاني: أهمية العمل بمنهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج

أولا: علاقة منهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج بالقدرة الإلهية

إن إقرار المنهج القرآني بارتباط النتائج بأسبابها لا يعني استقلال الأسباب عن مشيئة الله، بل هي تظل خاضعة لقدرة الله المطلقة التي تجري السنن أو توقفها متى شاء، يقول الشيخ الشعراوي ـرحمه الله ـ: "فلو ظل عطاء الأسباب هو المتحكم في نواميس الكون لكان معنى هذا أن الحق سبحانه قد زاول سلطانه في ملكه مرة واحدة وكأنه خلق الأسباب والنواميس وتركها تتحكم والجواب: لا فبطلاقة القدرة خلقت الأسباب وهي تأتي لتثبيت ذاتية القدرة وقيوميتها فيقول الحق حينما شاء توقفي يا أسباب.

إذن فهناك أسباب وهناك مسبب، والأمر العجيب لا تعطيه الأسباب، وحين لا يعطى السبب يتعجب الإنسان، ولذلك يرد الأمر إلى الأصل الذي لا يتعجب منه.[1]

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هو سبحانه الحي الفعال لما يشاء العليم القدير الحكيم، الخبير الرحيم الودود، لا إله إلا هو، وكل ما سواه فقير إليه، وهو غني عما سواه، لا يكمل بغيره، ولا يحتاج إلى سواه، ولا يستعين بغيره في فعل، ولا يبلغ العباد نفعه فينفعوه، ولا ضره فيضروه، بل هو خالق الأسباب والمسببات، وهو الذي يلهم عبده الدعاء، ثم يجيبه وييسر عليه العمل، ثم يثيبه ويلهمه التوبة، ويحبه ويفرح بتوبته، وهو الذي استعمل المؤمنين فيما يرضيه، ورضي عنهم، فلم يحتج في فعله لما يحبه ويرضاه إلى سواه، بل هو الذي خلق حركات العباد التي يحبها ويرضاها، وهو الذي خلق ما لا يحبه ولا يرضاه من أعمالهم، لما له في ذلك من الحكمة التي يحبها ويرضاها.[2]

وفي أقوال العلماء رد على من أنكر الأسباب، بل ووصل بالبعض إلى تكفير من قال بها، بالرغم من أن الإنكار يخالف السعي الذي أمرنا الله تعالى به، والقرآن الكريم قد بين لنا بأنه الإنسان

---

(1)- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج 5، 3081.

(2)- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمود بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ - 1991م، ج4، ص 14.

مطالب بالأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى.

والأخذ بالأسباب مع الإيمان بأن الله سبحانه هو المسبب ينافي قول مذهب القدرية التي تقول بأن الأسباب وحدها تكفي وأنها مؤثرة بنفسها.

فلو كانت الأسباب ذات قوة كما يقول الطبائعين والعلمانيين لأحرقت النار إبراهيم عليه السلام، لكن القدرة الإلهية التي أودعت في هذه الأسباب القوة وأن الأسباب تخضع لها سواء أكانت أمور كونية مثل النار كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: 69). فكانت بردا وسلاما وخرجت عن طبيعتها.

أو الريح، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الروم: 48)

أو ما كان متعلقا بالأحوال البشرية ومن ذلك قانون الأعمال الصالحة سبب للفوز، والأعمال السيئة سبب للخسران وهكذا، "فالأسباب ثابتة شرعا ولا شك في الأمور الحسية والأمور الشرعية".

وعليه، ومن خلال أقوال العلماء يمكن القول أن أول شرط في التعامل مع هذا القانون: إن للأسباب تأثيرا، ولكن لا بنفسها بل بما أودع الله فيها من القوة المؤثرة، والعمل بهذه المنهجية لا يعني إلغاء الإيمان بالقدرة الإلهية، بل يرسخ التوازن بين السننية والقدرية، أي بين احترام نظام الأسباب من جهة والتسليم لسيادة المشيئة الإلهية من جهة أخرى، وهذا التوازن هو جوهر الفكر الإصلاحي القرآني الذي يجمع بين العلم والعمل بشرعه، وبين الإيمان بالغيب والأخذ بالأسباب في الواقع.

ثانيا: أهمية العمل بهذه المنهجية في مجال الإصلاح الذاتي

تتجلى أهمية العمل بهذه المنهجية في كونها من الأسس القرآنية الكبرى التي تضبط حركة الإنسان ضمن سنن الله الثابتة، وتجعل الإصلاح قائما على الفهم الواعي لا على الارتجال والانفعال، فالقرآن الكريم لا يقدم التغيير كحالة فجائية أو أمنية، بل يربطه بمقدماته الواقعية والإيمانية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: 11) وهذه الآية الكريمة تؤكد أن النتائج لا تتحقق إلا إذا وجدت أسبابها.

ويبرز أثر هذه المنهجية في الإصلاح الذاتي في عدة جوانب منها:

ـ **ترسيخ الوعي السنني في العقل المسلم:** إذ تجعل الإنسان يدرك أن كل أثر له سبب، وكل نجاح له مقدمات، وكل إخفاق له جذور، فيتوجه إلى معالجة الأسباب بدل الاكتفاء بنتائجها الطاهرة.

ـ **تحقيق الواقعية في عملية الإصلاح والتغيير:** فهذه المنهجية تعلم الإنسان أن التغيير لا يتم بالقفز على المقدمات، بل بالسير وفق منطق السنن.

ـ **تعويد النفس على الصبر وعدم الاستعجال:** إذ تحمي هذه المنهجية الإنسان من التسرع في إصدار الأحكام أو استعجال الثمار قبل تحقق الشروط، فتترسخ فيه صفة الصبر امتثالا لقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (سورة غافر: 55).

ـ **تحقيق الاتزان بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب:** فهي تمنع الانحراف نحو الجبرية أو الاتكالية، وتغرس في النفس أن الإيمان الحق لا ينفصل عن العمل، وأن الأمور تسير بعدل مطرد لا يحابي أحدا.

المطلب الثالث: ربط الأسباب بالمسببات التي ينتج عنها النجاح والفلاح من خلال سورة غافر

إن سورة غافر تتضمن الطريق الذي ينبغي على الإنسان اتباعه، كما تتضمن الطريق الذي ينبغي اجتنابه، وعلى المكلف تحمل مسئوليته على ما قدمت يداه، سواء تعلق ذلك بالجزاء في الحياة الدنيا أم بالجزاء في الآخرة، والأكيد أن الذكر والأنثى في ذلك سواء.

قال تعالى في السورة الكريمة: **(الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**

(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)

وقد تضمنت السورة الكريمة أسباب الفوز وإصلاح الأمور في الدارين وهي:

- **الإيمان بالله وبالرسل والاقتداء بهم والإيمان باليوم الآخر**

لقد تضمنت السورة الكريمة العديد من الآيات التي دلت أنه لا يمكن أن يكون الإنسان بخير في دينه وفي دنياه ما لم يكن موحدا بالله متبعا لهدي الرسل متذكرا لأحوال الآخرة.

فالإيمان هو أهم أسباب النجاة وهو المقدمة نحو كل خير والفوز ورضى رب العالمين ودعاء الملائكة له وغيرها من العطايا هي المسبب وهي نتيجة حتمية.

ومن ذلك ما ورد في الآية الكريمة قوله تعالى: **"الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "**

- **التوبة والاستغفار والتزام الأذكار بالعشي والإبكار:**

لقد تضمنت السورة كغيرها من سور القرآن الكريم أن التوبة إلى الله والرجوع إليه والتزام ذكره وتسبيحه من أعظم أبواب الإصلاح والفلاح.

وهذا مما ألف حول الملايين والكتب وما أثبته العديد من التجارب سردها أصحابها.

ومما اختصت به ذكره هذه السورة الكريمة أن المؤمنين المستغفرين تستغفر لهم ملائكة العرش حيث قال تعالى: **(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)**.

وقال تعالى في مطلع السورة: **"غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ"**

إن التوبة رزق تجلب الرزق، والاستغفار بالأسحار يصلح للعبد حاله وباله عاجله وآجله.

- **الدعاء بإخلاص:**

إن الدعاء علامة إيمان العبد بوجود الله وبوحدانيته: بألوهيته وبربوبيته وبأسمائه وصفاته.

والدعاء هو تفويض من العبد أمره لله، وقد تضمنت السورة الكريمة شرطا خطيرا لا بد من

استحضاره وهو "الإخلاص" والإخلاص هو الصدق مع الله تعالى، فلا يدعوا الإنسان ربه ويضمر في قلبه غيره، فالله عليم بالسرائر.

قال تعالى: **(فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)** وقال سبحانه: **(هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**

- **الدعوة إلى دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر في سبيل ذلك**

إن الإصلاح من أعظم أسباب النجاة، سواء تعلق الأمر بالمصلح أم بالناس المراد إصلاح أحوالهم وأوضاعهم.

وقد تضمن السورة أن سبب نجاة مؤمن آل فرعون من بطش قومه هو قيامه بواجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: **(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ. فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)**.

- **السياحة في الارض:**

لقد أمر الله تعالى عباده بالسياحة في الأرض في موضعين في هذه السورة، قال تعالى: **(أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ)**

وقال أيضا: **(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**.

والسياحة سعي فيه العديد من المنافع المتنوعة، يقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله_ " إن الحق سبحانه وتعالى يريد من سيرنا في الأرض أمرين: سياحة في الأرض للاعتبار وأخذ العظة وسياحة للانتفاع والاستثمار، إذن: فالسياحة في الأرض والسير فيها مطلوب إيماني، لذلك قال تعالى في سياحة الاعتبار: **(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ)** وقال في سياحة الاستثمار: **(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ..)** (العنكبوت: 20). إذن لا مانع أن يجمع المرء في سيره في أرض الله بين **سياحة الاعتبار وسياحة الاستثمار والانتفاع** فلا تحرم نفسك من

نظرة الاعتبار في خلق الله الجديد عليك، ولا تلهك التجارة والاستثمار عن الاعتبار".[1].

- **التأمل والتدبر في الكون**

إن التأمل في الكون عبادة يغفل عنها كثير من الناس، وهي من أعظم أسباب استشعار القدرة الإلهية وكذا من أعظم مصادر الراحة النفسية.

وقد تضمنت السورة الكريمة هذه المنهجية من خلال آيات كثيرة منها قوله تعالى: **(لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)**.

وقال تعالى: **(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ" وقال سبحانه: "ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)**.

وقال سبحانه: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ).

من خلال هذه الآيات وأخرى وردت في السورة الكريمة يتضح أن الهداية واستشعار النعم من مسببات التأمل والتدبر في الكون وفي خلق الله تعالى.

كما تضمنت السورة الكريمة آيات عن خلق الإنسان، قال تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**.

إن الإنسان يشترك مع غيره في أنهم جميعا مخلوقات لله تعالى، ومن اتبع هذا السبب اهتدى إلى الوحدانية ونبذ عبادة غيره سبحانه كعبادة الشمس وما سواها.

- **العلم النافع:**

إن العلم نور يهدي صاحبه للحقيقة، وهذا ما تضمنته السورة بشكل واضح، فالآيات القرآنية كلها علم وحث على طلب العلم سواء أكان العلم المتعلق بالخلق أم بالعلوم التاريخية وما إلى ذلك

[1]-الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص13346- 13347.

فهي كلها ترشد لأمر واحد وهو إلى الخالق سبحانه كل ما يقتضيه الإيمان به.

ومن خلال تتبع الآيات المتعلقة بمؤمن آل فرعون نجد بأن علمه المتعلق بأحوال السابقين من الأمم وكذا علمه برسالة يوسف عليه السلام، علمه بأحوال وأهوال يوم القيامة، كل هذه العلوم ساعدته ووجهته في معرفة الحق من الباطل بل والمساهمة في الدعوة.

إن هذه الأسباب المذكورة هي مسببات الصلاح والفلاح، ومصير من يتبعها هو الفوز العظيم كما وعد بذلك الله سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع: ربط الأسباب بالمسببات التي ينتج عنها الخسران المبين

لقد تضمنت السورة الكريمة أسباب ومسببات الخير ودعت إليها، كما تضمنت أسباب ومسببات الشر وحذرت من عاقبتها الوخيمة.

ومن أعظم أسباب ومسببات الضلال والخسران ما يلي:

- **الكفر والشرك ومحاولة البطش بالمصلحين من الأنبياء وأتباعهم:**

لقد تضمنت السورة الكريمة أعظم مسببات الأخذ والإهلاك لكل إنسان، وهو الكفر بالله ومحاولة البطش بعباده، حيث أن الإنسان الطاغية لا يكفر بما جاء به الرسول أو من نهج نهجه في الدعوة والإصلاح وإنما يحاول الاعتداء عليه وعلى من حواليه.

قال تعالى: **(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)**

"فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ"

وقال أيضا: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ).

وهذه هي عادة الطغاة منذ أول الدنيا وإلى آخره، فلا يوجد نبي إلا وحورب، ولا داع أو مصلح إلا وكادوا له، وفي السورة الكريمة ورد ذكر تجارب أنبياء قوم نوح وعاد وثمود وموسى ومعه مؤمن آل فرعون، وقد نزلت على الرسول ρ في الوقت الذي كان يتعرض فيه الرسول ρ للأذى هو ومن آمن

برسالته، وفي هذه الآيات تحذير لهؤلاء الطغاة بأنهم ليسوا إلا كمن سبقهم وسيقع عليهم ما وقع عليهم غيرهم ما لم يتوبوا ويرتدعوا.

إن عاقبة الكفر المقت الإلهي والعذاب، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ...)** هؤلاء الذين لم يستجيبوا لداعي الحق أرادوا ألا يرتبطوا بمنهج الله في افعل ولا تفعل وألا يضيقوا على أنفسهم بالالتزام بالمنهج وأن يسيروا في الدنيا على هواهم هذا الذي دعاه إلى أن يكفر. فحين يعاين العذاب في الآخرة ساعة لا ينفع الندم ويكره نفسه أشد الكره لأنها لم تتبع منهج الإيمان"[1].

- **الفساد الأخلاقي**

المرتبة الثانية في أخطر مسببات الضلال والخسران هو الأخلاق الذميمة التي تحول بين العبد وبين أن يكون بخير.

وقد تضمنت السورة الكريمة خلقين هما: الكبر، وعدم غض البصر

_ التكبر والتجبر والحسد:

قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)**

التكبر هو التعظم على الغير والشعور بالفوقية، لكن وبنص الآية فإن هذا التكبر لن يبلغهم أي مبلغ لأن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء.

ولربما يصح تعريف التكبر بأنه خلق لإنسان أعطاه الله نصيبا كبيرا من المال أو السلطة أو الجمال أو العلم، لكن حرمه نصيبه من العقل، فذو العقل السليم يعلم أنه مهما أوتي من مال أو سلطة أو علم أو.. فإنه يبقى شيء محدود جدا وأن الذي أعطاه قادر أن يحرمه فعلى ماذا يرى نفسه

[1]-محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، 13317.

ويتكبر؟

وهذا الخلق ينبغي ألا يتصف به من ينتمي للإسلام، لأن الإسلام دين تواضع، على عكس ملة اليهود الفاسدة المبنية على التكبر والفوقية والعلية التي لا محل لها في العالم إلا صدور الفاسدة الحاقدة.

إن الله سبحانه وتعالى هو " الذي جعل التكبر سببا لعمى القلب تماما كما جعل الجهل سببا للحيرة والبعد عن الحق، وجعل الدرس والبحث سببا للعلم والوعي"[1].

وهذا القانون قد سرى على كفار قريش وفيهم من لهم رجاحة العقل التي ميزوا بيها أن محمدا ρ صادق ومع ذلك أبوا الدخول في الإسلام بسبب التكبر والغيرة والحسد، فمن كانت هذه أخلاقه فلا يتوقع مصيرا غير مصير هؤلاء.

_ عدم غض البصر:

قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾

جاء في تفسير القرطبي عن خائنة الأعين ابن عباس قال: "هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها، وعنه: هو الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله عز وجل منه أن بوده لو نظر إلى عورتها. وقال مجاهد: هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى عنه، وقال قتادة: هي الهمزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى. وقال سفيان: هي النظرة بعد النظرة. وقال الفراء: النظرة الثانية، وتخفي الصدور ما تكنه وتضمره. "[2].

وفي قوله تعالى: **(وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ)** أي يجازي من غض بصره عن المحارم ومن نظر إليها ومن عزم على مواقعة الفواحش إذا قدر عليها.[3]

---

[1]- محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، مرجع سابق، مج6، ص 451.

[2]- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، مصدر سابق، ج18، ص 344.

[3]- المصدر نفسه، ج18ص 344.

لقد تضمنت السورة الكريمة التحذير من عواقب النظر الحرام قبل أربع عشرة قرن، وكل قرن أخطر من الذي قبله، وقد وصل الحال إلى أن أصبح النظر الحرام مورد مهالك أناس عدة، فإتباع النفس هواها بالنظر إلى ما حرم الله يورث غضب الله ومحق البركة من العلم والرزق وكل شيء.

- **الاخلاد للدنيا والغفلة:**

إن الدنيا دار العمل ومن تعلق قلبه بمتاعها وغفل عن حقيقتها فسيضل السبيل، وذلك ما حذر منه مؤمن آل فرعون قومه كما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾.

ومن مظاهر الإخلاد للدنيا التقلب في متاعها والغفلة عن سنة التقلب والصيرورة، قال تعالى: ﴿ **مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾، قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أي تنقلهم بالتجارات والفوائد والجيوش والعساكر، وإقبال الدنيا عليهم **"في البلاد"** فإنه لا يكون التفعل بالقلب إلا عن قهر وغلبة، فتظن لإمهالنا إياهم أنهم على حق أو أن أحدا يحميهم علينا فلابد من صيرورتهم عن قريب إلينا صاغرين داخرين وتأخيرهم إنما هو ليبلغ الكتاب أجله".[1]

ومن مظاهر التعلق بالدنيا الفرح بغير الحق وقضاء الوقت بالمرح واللهو والزهو، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾

- **أتباع السوء:**

لقد تضمنت السورة الكريمة الحوار الذي يدور بين أهل النار يوم القيامة وكيف أنهم يتلاومون ويتحاججون، إذ يلقي الضعفاء مسؤولية الضلال على المسؤولين الذين يتبرؤون منهم ومن عذاباتهم لأنهم سواء في الجحيم.

قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ. وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ**﴾

[1]- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج17، ص 8.

إن التبعية وعنصر التأثير لها تأثير كبير على الإنسان ولذلك وجه الرسول ρ المسلمين على النظر فيمن يصاحبون "فلينظر أحدكم من يخالل".

إن عامل التأثير لا يتعلق بالضعفاء فقط، وإنما بالطبقة الحاكمة أيضا حيث أن بطانة السور تزين للحكام أفعالهم حتى وإن خالفت الصواب فالمهم عندهم ألا تخالف مصالحهم الشخصية، وفرعون زين له سوء عمله من قبل الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء من جهة، ومن قبل وزراء ووجهاء السوء من جهة أخرى، فهم كانوا عاملا في صد بفرعون عن دعوة موسى ونصيحة مؤمن آل فرعون، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾

- **الاغترار بالعلم:**

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾

وفي تفسير الآية قال القرطبي رحمه الله: " قوله تعالى: فلما جاءتهم رسلهم بالبينات أي بالآيات الواضحات.

فرحوا بما عندهم من العلم في معناه ثلاثة أقوال:

قال مجاهد: إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا: نحن أعلم منهم، لن نعذب ولن نبعث.

وقيل: فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا.

وقيل: الذين فرحوا الرسل لما كذبهم قومهم أعلمهم الله أنه مهلك الكافرين ومنهجيهم والمؤمنين ففرحوا بما عندهم من العلم.[1]

إن اغترار الضالين بما عندهم من العلم يمنعهم من رؤية الحقيقة، وهذا حال الملحدين والعلمانيين

[1]- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، مصدر سابق، ج18، ص476.

الذين يفرحون بما لديهم من العلوم الدنيوية ويستهزئون بما جاء به الرسل من علوم الهدى والدين.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

_ الايمان بالله تعالى سبب في استغفار الملائكة للمؤمن، حيث جعل الله تعالى للإيمان أثرا كونيا يتجاوز حدود الإنسان ليشمل تفاعل الملائكة معه بالدعاء والاستغفار، في علاقة تربط بين السماء والأرض، والعابد والمعبود، فينسجم الكون كله في منظومة واحدة من الطاعة والخضوع.

_ الأخذ بأسباب التقدم العلمي والتقني من قبل المسلمين يعيد للحياة سلامها الذي فقدته حين أصبح العلم وسيلة سيطرة من قبل الكفرة، فإذا استعاد المسلمون وعيهم بهذه المنهجية أدركوا أن التفوق العلمي ليس خيارا حضاريا فحسب بل واجب شرعي وأخلاقي.

_ التوسل إلى الله تعالى يمثل ذروة الوعي السنني في العبادة، إذ يربط الدعاء بالمعرفة، والعمل بالتوحيد، والإصلاح بالاعتقاد، وهو منهج تربوي يعلم المؤمن أن سنة الله قائمة على الجمع بين الأسباب الظاهرة والتعلق القلبي بالمسبب الحق، ليبقى التوحيد روح كل إصلاح.

_ إن غفلة الناس عن استعمال هذا القانون في حياتهم اليومية كأفراد وكأمم جعل من السقوط والانهيار مصيرا لهم، فالله لا يحابي أحد، من يجد وسعى يجد، ومن يزرع يحصد، وإن كنا أمة القرآن فإننا مطالبون أكثر من غيرنا بالعمل بتعاليم القرآن وبعدم إعطاء المبررات الذاتية واستحضار الأسباب والشروط اللازمة، بدءا بالنقد الذاتي نستطيع الخروج من مختلف الأزمات وفي **ذلك قال تعالى:** "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" ففي هذه الآية الكريمة وعد من الله لعباده الذي يريدون إصلاح أحوالهم بأنه سيوفقهم إلى ذلك متى ما أرادوا وأعدوا واستعدوا.

_ إن الجبرية بإنكارهم أثر الأسباب واختيار الإنسان قد عطلوا أحد أهم القوانين الإلهية التي يقوم عليها الإصلاح في القرآن الكريم، والرد عليهم ليس مجرد مسألة عقدية بل هو ضرورة منهجية لحفظ منطق السنن الإلهية ولضمان فاعلية الإنسان المصلح في عمارة الأرض.

المبحث الخامس: منهجية الجمع بين القراءات

تمهيد:

نزل الروح الأمين على الرسول الكريم محمد ﷺ وهو في غار حراء يتأمل ويتدبر الكون، فجاءه الروح الأمين بأمر رب العالمين له بأن يقرأ أمرا آخرا وهو كلام خالق هذا الكون الذي كان يتأمله.

وقد جعل الله منهجية الجمع بين القراءات من أعظم أبواب الخير والصلاح والعلم النافع لكل إنسان يطلب الهداية والرشاد.

المطلب الأول: ضبط مصطلح القراءة

لغة: القراءة كلمة مشتقة من الفعل قرأ.

"قرأ: القرآن: التنزيل العزيز، وإنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه.

قرأه يقرؤه، ويقرؤه الأخيرة عن الزجاج قرءا وقراءة وقرآنا، فهو مقروء، وهو كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ كتابا وقرآنا وفرقانا، ومعنى القرآن الجمع وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها.

وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض".[1]

والقراءة هي: " ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل".[2]

ومما سبق يمكن القول إن القراءة لغة تعني الضم والجمع.

اصطلاحا:

شغلت القراءة حيزا كبيرا من اهتمام الكتاب والمفكرين المسلمين، لأنها أول أمر في الوحي، وقد عرفها العقاد بأنها: " اتساع الواعية بما يضاف إليها من التجارب والأحاسيس والمعارف والمقولات، وهي امتداد الحياة إلى آفاق لم يكن يبلغها الفرد في عمره القصير، وهي بديل من السياحة ومن البحث عن المجهول ومن الإصغاء إلى النوادر والحكايات، ومن تحصيل التجارب التي يتحدث بها المجربون ومن كل تشوف مطبوع في أساس التكوين، لأنه امتداد لحواس النظر والسمع والإدراك على تعدد وسائله وأدواته".[3]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص 51.

[2]- المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج1، ص 722

[3]- عباس محمود العقاد: السيف والكتب، مجلة الرسالة، العدد 418، 7 يوليو 1941م، القاهرة، ص 1111.

ثم قال متحسرا على واقع القراءة في العالم العربي مقارنة بالعالم الغربي الذي عرف للقراءة قيمتها: " إن القراءة لم تزل عندنا سخرة يساق إليها الأكثرون طلبا لوظيفة أو منفعة، ولم تزل عند أمم الحضارة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود"[1]

فالقراءة إذن هي: عملية ذهنية مبنية، على التفكر والتدبر في مختلف الآيات والسطور، للوصول إلى معارف ومعلومات وحقائق، ما كان ليصل إليها الإنسان لولا هذه القراءة.

المطلب الثاني: أنواع القراءات الواردة في السورة

إن آيات الله عز وجل على ثلاثة أنواع:

_قراءة الآيات الكونية: إن الكون كتاب مفتوح لكل قارئ له، وهو ينطوي على الآيات الكونية التي تشهد بوجود الخالق الأعلى سبحانه، وتثبت قدرته المطلقة، وتدبيره المحكم.

من ذلك ما نشاهده في الأرض وفي السماء، في الشمس والقمر والنجوم والماء.. الخ.

وهذه الآيات أوجدها الخالق سبحانه على هيئة الصلاح، وعلى قانون ثابت لا يتخلف، ولا دخل للإنسان في حركته، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ **(البقرة: 29)**

_قراءة المعجزات: لقد أيد الله سبحانه وتعالى رسله بالآيات التي تثبت صدقهم في البلاغ عن ربهم.

ولم ينتفع بهذه الآيات إلا الذين قاموا بقراءة جيدة لهذه الآيات البينات والتي أدت بهم إلى التخلي عن الباطل وتبني الحق، ومثال ذلك السحرة الذين علموا بأن ما جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر وإنما هي معجزات، فخروا لله ساجدين، قال تعالى: ﴿**قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾ **(الشعراء: 46/43)**.

_ قراءة الآيات القرآنية: وهي الآيات التي جاءت في القرآن الكريم والتي قال الله عنها أنها تهدي للتي هي أقوم، وأن فيها تبيان لكل شيء: من عقائد وأحكام وتشريعات وأخبار.

فأي هذه الآيات الثلاث يجادل فيها الكافرون؟

---

[1]- المرجع نفسه. ص 1111

إن الكافرين لا يجادلون في الآيات الكونية ولا يتعرضون لها، لأنهم يرون فيها نظاما دقيقا محكما لا يشذ ولا يتخلف، فلا مجال للجدل فيها، وإنما يجادلون في أن لها خالقا.

كما يجادلون في الآيات الأخرى وهي المعجزات والآيات القرآنية، بالرغم من أنها أيضا في غاية الدقة والنظام المحكم الذي لا يستطيع أحد من البشر إنكاره، وما أنكره أحد إلا عرف بأنه مخطئ بدليل العلم.

المطلب الثالث: منهجية الجمع بين القراءات في القرآن الكريم

تضمن القرآن الكريم منهجية الجمع بين القراءات في سور عديدة منها، سورة العلق التي كانت أول سورة تتنزل على الرسول ﷺ.

قال العلواني: "لقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ في مفتتح نزول القرآن وعند بدء الوحي بقراءتين، قال تعالى: ﴿**ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ. اقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالۡقَلَمِ. عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ**﴾ (**العلق: 1– 5**).

وبما أن القرآن ليس فيه تكرار ولا ترادف، ولا تحتاج آياته الكريمة إلى استعمال المؤكدات فإن كل كلمة من كلماته – وإن بدت مرادفة أو مماثلة لأختها- فإنها تشتمل على معنى آخر إن لم تدل عليه بلفظها وبالاستعمال القرآني لها فإنها تدل عليه في سياقها وسباقها وموقعها، وذلك من دلائل إعجازه التي تعالى به على كلام المخلوقين، ولذلك فإن صيغة الأمر بالقراءة الذي جاء مرتين في هذه الآيات الخمس لا تعني التوكيد أو الترادف أو التكرار كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، بل تدل على أمرين بقراءتين، لكل منهما معناها المراد بها، ولكل منهما خصائصها، ومجالها ومتعلقها، ومناهجها وكيفياتها وميادينها، يعضد هذا ويعززه أن الأمر بالقراءة في الآية الأولى اقترن "باسم ربك " وكانت صلة الموصول "الذي" هي الخلق في: "..الذي خلق . خلق الإنسان من علق" فهي أمر بتحصيل فعل القراءة وممارسته مع الاستعانة بالله – تعالى –.

منهج القراءة في الخلق ينطلق من قراءة النفس باتجاه الكون والآفاق، فتلك هي القراءة السليمة المنهجية، والبدء بتوحيد الربوبية لا بتوحيد الألوهية فيه تنبيه إلى خطوة منهجية أخرى، هي الانطلاق من المحسوس باتجاه المجرد لأن الإنسان أقدر على ملاحظة المحسوس منه على ملاحظة المجرد وإدراكه، فالخلق وبدائع صنعه ونظمه وسننه وقوانينه هي المحسوس المشاهد أو المدرك بأي وسيلة من وسائل الإدراك والمجرد

هو "التوحيد" بأنواعه، فهو ما يتوصل بصحيح النظر في ذلك المحسوس إليه، **فإدراك المحسوس ليس نهاية المطاف، بل هو المقدمة لإدراك المجرد**".[1]

إن القرآن الكريم قد وجه الإنسان إلى قراءة الكتابين كي يستطيع أداء مهام الاستخلاف على أحسن حال وهما: "القرآن" الكتاب المنزل المتلو المعجز، "**والكون**" وهو الكتاب المخلوق بما فيه من الخلق والكون والتجارب البشرية فيه، ومنه التعامل مع الإنسان نفسه.

إن هذه إهمال قراءة من القراءات تنجم عنها أضرار ومفاسد لخصها العلواني في النقاط التالية:

ـ **إهمال القراءة الأولى**: فمن تجاوز القراءة الأولى في الوحي النازل إلى النبيين واستغرق استغراقا كليا في القراءة الثانية التي تمثل علم الكون أو معارف الطبيعة، منقطعة عن الله –تعالى– فقد العلاقة بالله وتجاهل الغيب، وانطلق بفلسفة إنسانية مستقلة وضعية منبتة عن الله، عوراء قاصرة في مصادرها، تحاول أن توحد بين الإنسان والطبيعة بإطلاق، وتعد الخالق والغيب كله مجرد ما ورائيات أو ميتافيزيقا يمكن تجاهلها أو تجاوزها، وإذا كانت ـهناكـ قوة غيبية قد مارست خلقا أو إيجادا، فقد تكون مارسته بقوة الدفعة الأولى، ثم تناسته أو نسيته ليستمر الكون بعد ذلك فاعلا ومنفعلا بشكل آلي كما ذهب إلى ذلك أرسطو في القديم ونيوتن وغيره في الحديث، وحين يحلو لبعض هؤلاء المتفلسفين أن يذكروا البارئ ـجل شأنهـ فإنهم قد يتذكرونه بشكل حلولي يزعم أصحابه أن الله –تعالى– قد حل في قوى الطبيعة ذاتها، وذاب فيها ليتحول إلى جزء حال فيها لينتهوا بعد ذلك إلى "المادية الجدلية" التي أنكرت الخالق تماما، وطرحت بدائل له من اتجاهات النمو عبر خصائص التطور المادي المعقد ليشعر الإنسان باندماجه الكامل بالطبيعة بحسبانها كائنا طبيعيا، وهنا يبدأ الإنسان بالشعور بالغنى أو الاستغناء عن خالقه ـجل شأنهـ لأنه لم يعد يرى غير الطبيعة أمامه فهي كل شيء، وهي وراء كل شيء، وهو في ظاهر الأمر قادر على قهرها بالعلم: فلا يراها وهي مسخر مقهورة بسنن الله تعالى، بل يراها كونا مستقلا أي امتدادا غيبيا وآنذاك لا يشعر بأن الله ـتعالى ـ قد سخرها له، وأنه الخالق له ولها، بل يرى الإنسان أنه الفاعل المبدع المتعدد القدرات المسيطر على الطبيعة، المفجر لكوامن ما فيها: وفي ذلك انحراف في الرؤية والتصور خطير، فالكون مهيأ

[1]- طه جابر العلواني: الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1427هـ - 2006م، ص 17.

مسخر للإنسان، والإنسان مزود بالقدرات التمكينية الذهنية والعقلية والعلمية التي تمكنه من تسخير الكون ليقوم بأمانة الاستخلاف، وحين يغفل الإنسان أو يعشو عن ذكر الرحمان، ولا يرى القدرة الإلهية في ذلك كله ظاهرة بهداية الوحي يشده الشعور بالاستغناء، والإحساس بالقدرة والإبداع إلى أن يجعل من علاقته بالكون علاقة تسلط وقهر وصراع واستعلاء، لا استخلاف ويفقد بوصلة الاهتداء وتفقد عناصر الطبيعة علاقتها الودية بالإنسان ويفقد الإنسان بدوره شعوره بأنه المخلوق المستخلف المؤتمن على الكون كله وأن كل هذه الأشياء المخلوقة مسخرة لهذا المؤتمن والمستخلف، وكلاهما في المخلوقية والعبودية لله تعالى سواء ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (**الصافات: 96**)

فإذا فقد هذا التصور فقد يتخذ الوجود –في نظره– شكل القوى المتصارعة المتنابذة ويتخذ الإنسان الغافل –من نفسه وهواه– شكل المتأله بالعلم على كل شيء فيمجد ذاته ويتخذ إلهه هواه ويتوهم أن له أن يستمد قيمه من ذاته ومن الطبيعة، والدين والإيمان –نفسه– قد يتحول في إطار هذه القراءة المنفردة العوراء إلى شيء يوظفه من شاء ساعة يشاء لتلبية رغبة أو لأداء خدمة، وهنا يحق عليه القول: " ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾ (**العلق: 7/6**) **فيقع** في الاستبداد والطغيان على أخيه الإنسان، وتحدث كوارث البيئة ويظهر التلوث والفساد في البر والبحر والجو بما كسبت أيدي الناس، ويختل التوازن وتظهر أمراض الانحراف والشذوذ في المعمورة، فقارات يعمها الجوع والخراب تعمها الأمراض بكل أشكالها، والجرائم بكل أنوعها، وتسود المعيشة الضنكة: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ**﴾ (**طه: 124**)

وقد يقنع الغافلون عن ذكر الرحمان أنفسهم بأن ما يحدث ضريبة طبيعية لازمة لا مناص للراغبين في التمتع بالمعطيات الحضارية من احتمالها ودفع قيمتها الفادحة لكن ذلك خداع للنفس، وزخرف من القول فالعمران الرباني تحكمه قيم الحق والخير والجمال معا، فإن وقعت بعض الأعراض الجانبية أمكن احتواؤها وتلافى آثارها بتوفيق الله وهدايته، لأن العمران المهتدي لا ينفك عن "المرجعية الإلهية للكون".[1]

إهمال القراءة الثانية: أما إهمال القراءة الثانية في الكون والطبيعة المسخرة، أي إهمال قراءة الوجود والكون والاقتصار على قراءة الوحي وحده منقطعا منبتا عن الوجود، فإنه يؤدي إلى نفور من الدنيا

[1]-طه جابر العلواني: الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، المرجع السابق، ص 25.

واستقذار لها ولما فيها، يشل طاقات الإنسان العمرانية والحضارية، ويعطله عن أداء مهام الخلافة والأمانة والعمران، ويحول بينه وبين التمتع بنعمة التسخير ويعطل فكره وينقص في قيمة فعله، بل قد يلغي إدراكه لفعله فلا يرى الإنسان نفسه فاعلا في شيء ولا يرى لوجوده في الحياة معنى عمرانيا وكل هذه الأفكار منافية تماما لمنهج القرآن العظيم.

كما أن تجاوز القراءة الثانية في الكون وإهمالها، أو عدم جمعها مع الأولى يؤدي إلى ظهور العجز الإنساني الحضاري، وتعطل طاقات الإنسان، وإلى خلط عجيب بين قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة كما تقدم.

وقد يتوهم المقتصرون على القراءة الأولى – قراءة الوحي منفردا- أن تنبيه البارئ –جل شأنه- لا يتم إلا ألغيت قيمة الفعل الإنساني، ونفيت إرادة الإنسان واختياره، واستلب استلابا لاهوتيا كهنوتيا من دوره، واقتنع بأنه مسير في كل شيء، وبذلك ينتهي دوره الاستخلافي العمراني، وتستحيل قدراته إلى عجز مطلق، وقد يستغرق في المحرمات معتذرا عن ذلك بأنه مسير، وتلك صفة من صفات أهل الشرك.[1]

قصارى طاقة الإنسان أن يهتدي بهداية الله لاكتشاف الناظم المنهجي الواحد الذي ينتظم بها الوجود كله، ويجعل الكثرة مظاهر لوحدة كون تربطه سنن حاكمة وضعها العليم الخبير الأحد الصمد، الذي تخضع له الأشياء وتعنو له الجباه، وتسجد له الظواهر الكونية التي استمدت منه معانيها وصفاتها وقوانينها[2]

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة: **164**)

ويقول تعالى: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: 190، 191]**

المطلب الرابع: منهجية الجمع بين القراءات من خلال السورة

---

[1]- المرجع نفسه، ص 26.

[2]- طه جابر العلواني: الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الهادي، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م، ص 16.

أنزلت سورة غافر المباركة على المصطفى ﷺ في العهد المكي، أي العهد الذي عني بالإصلاح العقدي على وجه الخصوص.

ومن أجل تحقيق الإصلاح المطلوب فقد تضمنت السورة توجيه الناس إلى التدبر في آيات الله الثلاث.

فبدأت السورة بآيات القرآن، قال تعالى: ﴿**حم. تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾

أي أن هذا الكتاب من تنزيل العزيز العليم وليس بكلام بشر، وقد أنزل على الرسول ρ لإخراج الناس من الظلمات للنور، وجعله الله تبيانا لكل شيء.

كما أيد الله سبحانه وتعالى رسله بالمعجزات، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾

والبينات هي المعجزات الظاهرات التي لا جدال في أنها فوق طاقة البشر وأنها دليل على وجود الله، ومن ذلك الآيات التي أنزلها الله على سيدنا موسى، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾.

وهذه الآيات البينات قابلها فرعون وهامان وقارون بالتكذيب بدافع الجبروت والطغيان، فالآيات المنزلة على موسى عليه السلام آيات واضحات وبرهان قاطع أنها من عند الله، وهذا ما توصل إليه واعترف به السحرة، فقراءتهم الجيدة للآيات وانطلاقا مما عندهم من العلم بالسحر علموا بأن هذه معجزات وليس كما يدعي فرعون بأنها سحر، قال تعالى: ﴿**قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (**الشعراء: 47/43**).

وقد أيد الله سبحانه وتعالى الرسول محمد ﷺ بمعجزات عديدة كانشقاق القمر، ومعجزة الإسراء والمعراج.

وقد تضمنت السورة الكريمة آيات كثيرة عن الكون والخلق، وأن هذا الخلق العظيم وهذا الكون البديع يستحيل أن يكون من لا شيء وإنما هو من صنع الخالق البديع.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ**﴾

إن الآية الكريمة أرشدتنا إلى أن إدراك المحسوس انتفاع دنيوي، وهو مقدمة لإدراك المجرد للانتفاع الاخروي.

وقد وردت الآيات الكونية بكثرة في هذه السورة نذكر منها كذلك قوله تعالى: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾

وقال سبحانه: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾

﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾

﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾

واقترن الخلق بالخالق لهداية الإنسان أن هذا الكون له خالق واحد، وليس كما يدعيه الفلاسفة والملاحدة من أفكار جاهلة لا صلة لها بالحقيقة، ولا يقبلها العقل.

بعكس الصياغة القرآنية التي جعلت من الخلق البديع المحكم التنظيم دليلا يستند عليه الإنسان بالنظر العقلي فيه وفي آثار الأمم السابقة وما حدث لها.

قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾

فمن خلال هذه الآية الكريمة يدرك الإنسان بأنه يستطيع من خلال القراءتين إدراك سنن ازدهار أو انهيار الأمم، وعاقبة من طغى وتجبر كقوم ثمود وعاد وغيرهم.

وهي عاقبة عاقلة لأن الله سبحانه قد أرسل لهم من يصلحهم ويهديهم سبل الرشاد بالبينات لكنهم ضلوا الصراط وأمسوا عبرة لمن يعتبر، وأن ندمهم يوم القيامة لا ينفعهم ولو مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

_التأكيد على أن الوحي بدأ النزول بالأمر بالقراءتين، وفوائد قراءة القرآن للإنسان لا تعد ولا

تحصى منها: الهداية، الرشد، التزكية، التطهر، حسن القيام بمهام الاستخلاف، واجب الائتمان والعمران ....

_ **القراءة تخرج الإنسان من الجمود الفكري من خلال تنشيط خلايا المخ**، فالقراءة عملية تتطلب الدقة والتركيز وحسن الفهم والعديد من المهارات. وتنقذ الكفاءة من الذبول، فالموهبة إذا لم تطور تموت.

_ **الوصول بالإنسان إلى تنظيم علاقته بالله تعالى وبالكون والحياة.** (قراءة الآيات القرآنية، المعجزات، الكون) (العقل والفكر والنقل)

_ **الاسلام ليس مجرد روحانيات ولا مجرد فلسفة خيالية أو نظرية بحته وإنما هي دعوة واقعية مزدوجة**، تضم بين جناحيها الدعوة إلى عمارة الكون وبناء الدنيا والآخرة وتعاضد الروح والمادة معا. _ تفاعل الإنسان مع كل مصادر الثروة في هذا الكون، الذي سخره الله تعالى للإنسان وحده استعمالا وانتفاعا واستنباطا واختراعا وإفادة واستكشافا مستمرا.

_ **لكل قراءة معنى وخصائص ومجال تتعلق به ومنهجيات وآليات في القراءة**، لكنها تتصل في الغاية وهي الإيمان بالله الخالق. فمن امتنع عن قراءة القرآن فقد الصلة بالله واندمج في الفلسفات الأر وسطية أو إلى المادية الجدلية التي انكرت الخالق.

_ **انحراف الإنسان في الرؤية وعدم رؤيته للقدرة الإلهية من خلال هداية الوحي يجعل علاقاته علاقة تسلط وصراع ويجعل إلهه هواه كما قال تعالى**، وهذا انحراف لا تنجم عنه إلا المشاكل ومظاهر الفساد المختلفة.

_ **أمر الله الإنسان بقراءة الكتابين وعدم الاقتصار على القرآن ليؤدي مهام الخلافة والأمانة**، والأمة التي تنفي إرادة الإنسان أو اختياراته هي أمة مسلوبة حضاريا، لأن الدنيا لمن يعمل ويتوكل لا لمن يستغبي ويتواكل.

_ **الإنسان جزء من هذا الكون فهو مخلوق من التراب** ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه: **55**) ولو تدخل الإنسان في الأشياء بقانون الخالق ما رأينا هذا الفساد الذي يعم الكون الآن سواء على المستوى البشري أو على مستوى الكون.

_ **إن هذه المنهجية من أهم أبواب الدعوة إلى الإسلام**، فطرح العلم الكوني في القرآن الذي أنزل منذ أزيد على 1400سنة في عصر العلم يعتبر تحد كبير خاصة للملاحدة.

نتائج الفصل الثالث:

بعد الانتهاء من معالجة مباحث هذا الفصل المتعلق ب "منهجيات الإصلاح الذاتي التربوي من خلال سورة غافر"، يمكن الخلوص إلى جملة من النتائج المهمة، أبرزها:

1. **إصلاح النفس البشرية في المنظور القرآني وأهمية المنهجية في تحقيقه:** من أهم النتائج المتوصل إليها في هذا العنصر:

❖ **مركزية إصلاح النفس:** تبين سورة غافر أن النفس البشرية هي محور الإصلاح، قال تعالى في السورة الكريمة: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ فقوله تعالى تقرير قرآني بأن مصير الإنسان معقود بعمله وسلوكه الفردي.

❖ **شمولية الإصلاح الذاتي:** إن النفس البشرية كيان مركب من جوانب متعددة: عقدية، وجدانية، وسلوكية، وإصلاحها لا يقتصر على جانب الإيمان أو الأخلاق، بل يتعدى ذلك إلى بناء الوعي وضبط الانفعالات، وتوجيه السلوك العملي.

❖ **ضرورة المنهجية القرآنية في إصلاح النفس وقيمتها التطبيقية:** يكشف المنظور القرآني أن إصلاح النفس لا يتم بصورة عشوائية أو ارتجالية، وإنما يحتاج إلى منهجيات واضحة تنظم العملية الإصلاحية وتمنعها من التذبذب أو الانحراف الفكري والأخلاقي، فالمنهجية القرآنية تضع الأصول (كالاحتكام للوحي)، والخطوات (كتقديم التخلية على التحلية)، والضوابط (كالجمع بين الرجاء والخوف)، فهي لا تقتصر على التنظير، بل تحمل أثرا عمليا مباشرا في توجيه الفرد نحو التزكية وضبط السلوك مما يضمن سلامة المسار الإصلاحي.

2. **منهجية حاكمية الكتاب:** ويقصد بها أنها لا تعني مجرد التلاوة أو التدبر، وإنما يجب أن تكون هي المرجعية العليا في العقيدة والعبادة والأخلاق والسياسة والاجتماع، بما يضمن توجيه النفس البشرية نحو الاستقامة والعدل، وتحقيق الإصلاح وفق ميزان الوحي، بعيدا عن سلطان الهوى أو العقل المنفرد، وتتضح

هذه المنهجية في السورة الكريمة باعتبارها منهج عملي يفعل الوازع الداخلي للإنسان ويضبط علاقاته بربه وبذاته وبالآخرين ضمن أفق أخروي يضفي على الإصلاح معنى الغاية والخلود.

3. **منهجية التخلية قبل التحلية:** وهي تعني إزالة ما في النفس من أمراض وأهواء وانحرافات (التخلية) قبل تزيينها بالفضائل الإيمانية والعمل الصالح (التحلية)، وهذه المنهجية تتجلى بوضوح في سورة غافر، حيث اعتمدت السورة التدرج في عرض معالم الإصلاح العقدي والأخلاقي والفكري، من خلال البدء بتحرير النفس من الشرك والغرور والجدال بالباطل، ثم دعوتها إلى التزين بالإيمان بالله وتوحيده، والاتصاف بخصال العبودية الصادقة، وهذا الترتيب القرآني يعكس قاعدة تربوية عميقة، إذ لا يمكن غرس الفضائل في نفس لا تزال أسيرة الرذائل، ولذلك قدم القرآن التخلية قبل التحلية في خطاب الإصلاح.

4. **منهجية الجمع بين الرجاء والخوف مع الإيمان:** وهذه المنهجية تعد إطارا متكاملا لإصلاح النفس، إذ تنقيها من الغرور واليأس في آن واحد، وتربطها بالله تعالى بعلاقة قائمة على الحب والخضوع، بما يضمن استقامة السلوك وثبات المشروع الإصلاحي في حياة الفرد والمجتمع.

5. **منهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج:** تمثل هذه المنهجية بعدا إصلاحيا أصيلا في السورة الكريمة، إذ تجعل الإنسان على وعي كامل بعواقب أفعاله، وتربيه على المسؤولية الفردية والجماعية، وتؤكد أن صلاح الواقع أو فساده إنما هو نتيجة طبيعية لمقدماته وأسبابه، وهذا ما أكدته سورة غافر التي تربط بين الأسباب ومسبباتها، والمقدمات بالنتائج، ومن ذلك أن الإيمان والعمل الصالح سبب للفلاح والنجاة، بينما الكفر والعناد مقدمة حتمية للهلاك والخسران، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**﴾. وهذه الآية تظهر نتيجة مترتبة على مقدمة واضحة وهي أن التكذيب بالحق يؤدي إلى مقت الله وعذابه.

6. **منهجية الجمع بين القراءات:** وهي منهجية تقوم على مبدأ التكامل بين مصادر المعرفة والهداية، حيث تتكامل القراءات الثلاث: قراءة القرآن، قراءة الكون، قراءة المعجزات، والجمع بين هذه القراءات يوفر منهجا متوازنا في إصلاح الذات، ويقوم على:

- **التزكية الإيمانية والعقدية** (من خلال القرآن الكريم)
- **التنمية الوجدانية والفكرية** (من خلال قراءة الكون)

❖ **الوعي السنني** (من خلال قراءة المعجزات).

الفصل الرابع:
منهجيات الإصلاح الدعوي الرسالي

وفيه مباحث خمسة رئيسية هي:

المبحث الأول: المنهجية المتعلقة بالخطاب الإصلاحي

المبحث الثاني: منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة

المبحث الثالث: منهجية التشخيص قبل المعالجة ثم التفويض

المبحث الرابع: منهجية ترتيب الأولويات

المبحث الخامس: منهجية ولكم في القصص عبرة

تمهيد:

يعد استنباط منهجيات الإصلاح الدعوي من القرآن الكريم عملية علمية تهدف إلى استخراج القواعد الكلية والأسس التوجيهية التي رسمها الوحي لضبط مسار الدعوة، وتوجيه خطابها، وتنظيم أدواتها ووسائلها، فالقرآن الكريم لم يترك جانب الإصلاح الدعوي رهين الاجتهادات الفردية المطلقة، وإنما قدم من خلال قصصه وأمثاله وأحكامه وأوامره نماذج إصلاحية متكاملة تقوم على أساليب متعددة ومتنوعة، كالتدرج في الخطاب والتنوع في أساليب الإقناع، والتحذير من العشوائية في العمل الدعوي.

وسورة غافر على وجه الخصوص قد جسدت هذه المنهجيات في صور عملية من خلال عرض مواقف الأنبياء مع أقوامهم، ومجادلة المؤمن من آل فرعون لقومه، ودعاء الملائكة للمؤمنين، وكلها نماذج تبرز البعد الرسالي للإصلاح الدعوي، وتدل على أن الإصلاح ليس عملا ارتجاليا، بل هو مشروع رسالي منضبط بسنن إلهية ومقاصد ربانية.

ومن هنا لا يستطيع المصلح الاستغناء عن هذه المنهجيات والانطلاق في عمله الإصلاحي التغييري بعشوائية، إذ إن الإصلاح غير المؤطر بالوحي معرض للانحراف أو القصور أو الإفراط والتفريط، وهذا ما نبه إليه الشاطبي بقوله: "الطريق المستقيم هو المنضبط بالوحي، الخارج عن الأهواء والظنون".[1]

وعليه، فإن المنهجيات القرآنية للإصلاح الدعوي تمثل المرجعية الشرعية والفكرية التي لا غنى عنها لأي مصلح، إذ تضمن له سلامة الطريق وصواب المقصد، وتجعله قادرا على تحقيق التوازن بين الثبات على الحق والرفق في الخطاب، وبين الالتزام بالمبدأ ومراعاة الواقع.

[1]- انظر: الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، مصدر سابق، ج2، ص 12.

أثر أوصاف أكثر الناس في سورة غافر في توجيه منهجيات الإصلاح الدعوي:

إن الوقوف عند أوصاف أكثر الناس كما عرضتها سورة غافر يكشف عن بعد تربوي وإصلاحي عميق، إذ لم يكن ذكر هذه الأوصاف لمجرد الوصف، بل لتوجيه الدعاة والمصلحين إلى طبيعة الواقع الذي يواجهونه، فقد أكدت السورة أن غالبية الناس يتسمون بضعف الإيمان، وقلة العلم، ونكران الشكر، وقلة التذكر، وهذه السمات تمثل عوائق حقيقية أمام الاستجابة للخطاب الدعوي، ومن ثم فهي تفرض على المصلح أن يستند إلى منهجيات إصلاحية منضبطة بالوحي، وتراعي هذه التحديات وتتعامل معها بوعي وبصيرة.

وهذا الجدول يبين أثر أوصاف أكثر الناس في سورة غافر في توجيه منهجيات الإصلاح الدعوي:

الآية الكريمة	الوصف القرآني	ما يستفاد منها
﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	قلة العلم	جهل الناس بالحقائق الكونية والشرعية يقتضي اعتماد أسلوب تعليمي قائم على خطاب معرفي يربط بين الآفاق والأنفس لإزالة الجهل وإقامة الدليل.
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾	قلة التذكر	غلبة الغفلة على الناس تستوجب منهجية دعوية قائمة على التذكير المستمر بالآخرة والمواعظ لإحياء القلوب.
﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	قلة الإيمان	ضعف اليقين بالبعث يجعل الإصلاح أكثر صعوبة، ويستلزم خطابا يرسخ الإيمان بالغيب والبعث من خلال الحجة والبرهان.
﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	قلة الشكر	الغفلة عن نعم الله تؤدي إلى الإعراض عن الحق، مما يستدعي خطابا يذكر بالآلاء ويحفز على الشكر بوصفه مدخلا إلى الاعتراف بالمنعم جل شأنه.

المنهجيات:

المبحث الأول: المنهجية المتعلقة بالخطاب الإصلاحي.

يعتبر موضوع الخطاب القرآني من الموضوعات الواسعة جدا، وفي هذه الرسالة تطرقت الباحثة إلى بعد من أبعاد هذا الخطاب وهو البعد الإصلاحي.

والقرآن الكريم باعتباره غداء للروح والعقل معا، فإن الخطاب الإصلاحي يجب أن يشمل كلا الجانبين من أجل تحقيق الإصلاح المطلوب.

وهذه المنهجية وغيرها تضمنتها السورة الكريمة، ولابد على المصلحين ألا يغفلوا عن ضرورة الالتزام بها وتضمينها لخطاباتهم حتى تكون جيدة وسليمة من حيث البناء المنهجي.

المطلب الأول: تعريف الخطاب الإصلاحي

أولا: تعريف الخطاب

الخطاب لغة:

مشتق من (خ ط ب): خطب الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، وقيل: هو سبب الأمر.

والخَطاب هو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال.

والخِطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان.[1]

والخطاب هو الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب أي حسن الخطبة.[2]

_ اصطلاحا:

المقصود بالخطاب عموما هو أنه: " مجموعة من المنتجات الفكرية التي يراد إيصالها إلى متلق، عبر نصوص مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، والتي تقدم موقفا شموليا أو جزئيا من قضية أو مشكلة قائمة أو مفترضة أي ما يقدم من الفكر من وجهة نظر حول موضوع ما".[3]

والخطاب يتضمن ثلاث عناصر: المخاطِب، المخاطَب، والخطبة أو الكلام أو الرسالة.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة خطب، ج 4، ص 134.

[2]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص 81.

[3]- فضل صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية، ط1، 1996م، ص 319.

والإصلاح هو: إزالة الفساد وإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه من اعتدال.

والخطاب الإصلاحي: هو الكلام الذي يهدف إلى إزالة الفساد وإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه من صلاح واعتدال.

والخطاب الإصلاحي الممنهج هو: الخطاب الذي يحترم القواعد المنهجية ويحتوي على مشروع إصلاحي لإزالة الفساد.

المطلب الثاني: أهمية الخطاب في الإصلاح

يعتبر الخطاب من أهم الأدوات العلمية والتربوية في مختلف المجالات، وتتمثل هذه الأهمية في نقاط مختلفة من بينها:

_ الاستقطاب:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده. قالوا: وكيف ذاك أصلحك الله؟ قال: يكون أحدكم إماما فيطول على القوم حتى يبغض إليهم ما هو فيه ويقعد أحدكم قاصا فيطول على القوم حتى يبغض إليهم ما هم فيه".[1]

فالخطاب هو الذي يستقطب الجمهور أو ينفرهم، وذلك منوط بالتفاصيل والشروط الواجب توفرها.

_ قوة الكلمة

إن الكلمة لها قوة على مدار التاريخ، فحتى في زمن قوة التكنولوجيا بقيت الكلمة محافظة على قوتها وسيطرتها.

قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾.

وقد صدق مؤمن آل فرعون **فإن أغلب شهداء كلمة الحق يكرمهم الله بخلود كلماتهم**، حيث يتناقلها الناس جيلا بعد جيل، ذلك أن للكلمة قوتها وسحرها الذي لا يستطيع إنكاره أحد.

_ تحقيق الوحدة:

"إن القرآن المجيد قد أخذ بأيدينا إلى أهم خصائص التكوين وتتلخص ب "وحدة المرجعية" إيجاد الأمة الواحدة المتآلفة القلوب" والالتزام الجماعي المؤكد الصارم" بهذين الأمرين وإيجاد آلية لاستمرار ذلك

---

[1]- البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م، ج6، ص276 (الرقم: 8140)

وهي: " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وبشروطهما ومواصفاتهما ومستوياتهما، قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (آل عمران: **103-105**). فالأمر بالاعتصام بحبل الله جميعا ونبذ التفرق والاختلاف جميعا خطاب شامل للأمة –كلها- لا يستثني فردا منها بحال، وفي ذلك تحديد للمرجعية الواحدة من ناحية، وبناء لضمير الالتزام الجمعي الشامل –من ناحية أخرى- بجميع قضايا الأمة وفي ضمائر أبنائها كافة، وتأكيد على ضرورة الإرادة الجماعية الشاملة في قلوب أبنائها جميعا لتكون أمة ولتبقى أو تستمر أمر قائمة وهذه الأمور الثلاثة (تحديد المرجعية بالقرآن والتأكيد الدائم على ضرورة الالتزام بها، وبناء ضمير الالتزام الجمعي في ضمائر أبنائها كافة وإيجاد وترسيخ الإرادة الجماعية الشاملة في قلوب أبناء الأمة كافة"[1].

المطلب الثالث: شروط الخطيب من خلال السورة

على المخاطب أن يستشعر المسؤولية الملقاة على عاتقه عند سريان روح الخطاب فيه. وليكون الخطاب جيدا لابد أن يكون الخطيب جيدا بالدرجة الأولى، وما إشكالات الخطاب الوعظي والمسجدي إلا انعكاس للخلل الموجود ببعض النخب التي تعتلي المنابر.

إن الخطيب لا بد أن يكون صاحب:

_**شخصية قوية لا تخشى في الله لومة لائم**: إن هذا الرجل المؤمن قد تدخل وألقى كلمة أمام أعظم طاغية على وجه الأرض "اذهب إلى فرعون إنه طغى" وعند تحدثه قاطعه فرعون محاولا التأثير عليه وإرهابه وإسكاته ومع ذلك فإن شجاعته وإيمانه أبى إلا أن يستمر في النصح والتوجيه وبسلك مسالك شتى منها المراوغة، وبعدها الافصاح وتفويض الأمر لله، وفعلا قد وقاه الله سيئات ما مكروا.

_ **العلم**. العلم بأحوال السابقين والاعتبار بها بما أنهم لاحقين، والعلم بأن أحوال الدنيا متقلبة وأن الدنيا دار متاع وأن الآخرة دار القرار والعلم بأحوال الكون و.. فالعلم يمنح للخطاب قوة تسكت الآخرين.

---

[1]- طه جابر العلواني، إسلامية المعرفة، مرجع سابق، ص 21.

ـ **العاطفة القوية:** حيث يلاحظ من خطاب مؤمن آل فرعون الحب الكبير لدينه ولقومه. وأنه كان يستميت في الدفاع عن القضية لا عن نفسه، وأنه حريص جدا على حياة موسى عليه السلام وعلى هداية قومه وحمايتهم من الهلاك.

ـ **اللغة:** لا بد أن يكون للخطيب رصيد لغوي كبير ليكون خطابه كبير الإفادة، ومتعدد ومتنوع الدلالة، كما ينبغي أن يحرص فيه على عنصر الجمال (جمال البيان) من خلال توظيف الصور البيانية والمحسنات البديعية.

ـ **الوضوح:** يقول طه جابر العلواني: " إن إدراك الخطاب وفهمه يقتضي تحقيق أمور أساسية أهمها:

ـ فهم المخاطب لطبيعة المخاطب، وإدراكه لبنيات المجتمع النفسية والاجتماعية والتاريخية، التي تكون المناخ الذي يعيش فيه المخاطب ودراسته لأبعاد شخصية المخاطب ومداخلها وتحديده لنوع الخطاب المؤثر فيها.

ـ خلو الخطاب من التعقيد والانزلاق في متاهات الاختزال أو التعميم، وتميزه بيسر الفهم، وسلامة التركيب، وبساطة العرض، وسهولة التناول.

ـ وعي المخاطب بدوره في العمل الذي يتضمنه ويدعو له الخطاب حياة وبناء وعيا كاملا، ومعرفته تفاصيل ذلك الدور وغاياته ووسائله ومعوقاته وتحدياته، وموقعه في برنامج العمل، ومرتبته في سلم الأولويات."[1]

ـ **القدوة العملية:** إن نجاح الخطاب الدعوي يقتضي أن يكون الخطيب مطبقا لما يدعو إليه، ملتزما بما يأمر به، منتهيا عما ينهى عنه، لأن التناقض بين القول والعمل يضعف أثر الخطاب، ويؤدي إلى فقدان الثقة في صاحبه، وقد ذم القرآن هذا المسلك بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ (**سورة الصف: 2.3**).

المطلب الرابع: منهجية الخطاب الإصلاحي من خلال سورة غافر

[1]- طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي، دار الهادي، بيروت، ط1431هـ - 2001م، ص 13-14.

أولا: الخصائص

1.الانتقاء الجيد للكلمات المناسبة:

عند تحليل خطاب مؤمن آل فرعون يلتمس براعة وذكاء ودقة كبيرة في انتقاء الكلمات المناسبة، كما جاء في قوله تعالى: "**أتقتلون رجلا**.."ولم يقل نبيا بالرغم من أنه آمن بنبوته.

كما أن كلمة رجل جاءت منكرة من باب التعظيم، أي أن مؤمن آل فرعون يستنكر على القوم قرارهم بقتل موسى وهو المعروف بين الناس بالأخلاق الكريمة والأعمال الحسنة.

وفي قوله "**بعض** الذي يعدكم" فيه من المراوغة والملاوصة والمداراة الكثير. قال الزمخشري –رحمه الله – : " لما قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لابد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه؟ لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه، فقال: وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط في ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد، ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له، أو يرمي بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل. وكذلك قوله "إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب".[1]

2.الانتقاء الجيد للمواضيع:

إن مؤمن آل فرعون في خطابه لفرعون ولقومه لم يخض في مواضيع متشعبة، وإنما ركز على الموضوعات التي تعطي لخطابه الصيغة المناسبة، ومما تضمنه هذا الخطاب هو أنه:

❖ **خطاب عقدي**: يلاحظ من خطاب مؤمن آل فرعون لقومه أنه يركز على الجانب العقدي وذلك من خلال حديثه عن الله، وعن يوم الحساب، وعن رسالة يوسف عليه السلام.

كما يلاحظ من الخطاب أنه ينادي بالتوحيد الخالص وهذا منهج القرآن" فقد ارتفع القرآن بالدين

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مصدر سابق، ص 955

من عقائد الكهانة والوساطة وألغاز المحاريب إلى عقائد الرشد والهداية."[1]

❖ **خطاب واقعي**: في خطاب مؤمن آل فرعون نقول بأنه خطاب ألقي بلغة الواقع لأنه استخدم مفردات ومعلومات تحمل في سياقها حمولات تاريخية ومنطقية.

❖ **خطاب سنني**: إن السنن الإلهية في القرآن الكريم جزء من الخطاب القرآني وهي قطعية الثبوت وقطعية الدلالة على المراد منها.

وقد وردت في هذه السورة الكريمة الأمر الرباني بالسير في الارض مرتين لما فيه من أخذ للعبر واحتكام للسنن.

ويلاحظ في خطاب الرجل المؤمن من آل فرعون أن له العلم بالسنن بمختلف أقسامها (الخارقة والجارية، الكونية والإنسانية، ومن الانسانية الاجتماعية وسنن السقوط والنهوض وإلى آخره) وقد أحسن في توظيف وإدراج هذا العلم ضمن سياق خطابه.

قال ابن تيمية –رحمه الله – في الاستدلال بالسنن: " وحقيقة الاستدلال بسنته وعادته هو اعتبار الشيء بنظيره، وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين وهو الاعتبار المأمور به في القرآن"[2]

❖ **خطاب متخصص**: إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى مشروع إسلامي حقيقي يهتم بمتطلبات الخطاب الفعال، ومن ذلك أن يكون الخطاب متخصص، فكما أن العلماء قسموا العلم الشرعي إلى أقسام مثل الفقه وعلوم الحديث و.. فإن الإصلاح بحد ذاته يتطلب تقسيمات من باب إعطاء كل مشكلة ما تستحقه من البحث والتفصيل والتحليل.

مثلا: الخطاب المتعلق بمواجهة وإزالة الفساد العقدي، حيث الكفر، ومشكلة الإلحاد التي تعتبر مشكلة حقيقية لابد وأن ينظر لها بمنظار الفحص الطبي المعالج....

نفس الأمر بالنسبة للظاهرة الاجتماعية فقد انتشرت الآفات بشكل يستدعي دق ناقوس الخطر

---

[1]- العقاد: الإنسان في القرآن، مرجع سابق، ص 13.

[2]- محمد بن تيمية: النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1420هـ- 2000م، ج2، ص 963.

لمعالجة ما يمكن معالجته وانقاذ ما يمكن انقاذه.

ومن ذلك انتشار السحر والشعوذة والمخدرات وجرائم القتل والانتهاكات الأخلاقية الخطيرة والفادحة وغيرها من مظاهر الفساد بحاجة إلى خطاب إصلاحي ممنهج وفعال.

وهذا ما نجده عند مؤمن آل فرعون فإنه وبالرغم من البطش الذي كان يمارسه فرعون على المستضعفين إلا أنه أبقى خطابه ضمن نطاق محدد وهو الجانب العقدي، فلم يدخل في تفاصيل سياسية.

3. تنوع الأساليب:

أولا: إثارة العقل

وذلك من خلال طرح الإشكالات والتساؤلات، وهذه المنهجية في الخطاب لها الأهمية البالغة في شد الانتباه وفي التأثير من خلال محاولة الوصول إلى إجابة، فتجعل السامع في تواصل وتركيز مع الخطاب الموجه إليه.

ثانيا: إثارة العاطفة

وذلك أن الرجل المؤمن حرص على إظهار الحب والرحمة، وأن ما استدعاه إلى التدخل هو حرصه على نجاتهم وليس هناك أمر آخر.

وهكذا يجب أن يكون خطاب المصلح مع أسرته ومجتمعه وكل من خاطبه، عليه أن يكون مصدر محبة ورحمة واحتواء لا مصدر خشونة وغلظة وترفع.

والعاطفة تتضح من طريقة الكلام، فالرجل المؤمن أظهر التودد والتحنن والاستعطاف لقومه من خلال مخاطبتهم ب: **"يا قومي"** ومن خلال إشراك نفسه معهم من خلال استعمال نون الجمع للمتكلم في قوله: "من ينصرنا"

_ **الجدال بالتي هي أحسن:** وذلك من خلال طرح مختلف الأدلة والبراهين في قالب لغوي بديع.

4. ترتيب عناصر الخطاب:

إن أي كلام يتوجه به الإنسان لجماعة من الناس لابد أن يكون مرتبا ترتيبا منهجيا ليكون مقبولا عند سامعيه.

المقدمة:

إن بداية الخطاب هي ما يعرف بالمقدمة وهي التي تعطي للسامع فكرة عامة عما سيتحدث به الشخص.

ومقدمة خطاب مؤمن آل فرعون عبارة عن رد عما كان يقول القوم، وقد صاغ هذا الرد في صيغة استفهام استنكاري: "أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله"؟ ثم بين سبب هذا الاستنكار ليبعد عن نفسه الشبهات: "وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب"

أي أن الرجل يطلب من القوم التعقل في التعامل مع موسى لأنه أولا جاء بالبينات وهي نقطة مهمة، وثانيا أن موسى _عليه السلام_ لم يأت ليتأمر عليهم وإنما جاء كرسول فقط، والقوم مخيرين بين التصديق والتكذيب وما عليهم إلا السماع له، وموسى مسؤول عن نفسه فإن كان كاذبا فالإثم إثمه لكن إن كان صادقا فهنا لابد من الصبر والأناة في الحكم لأنه في حالة ما إذا كان صادقا فإنه سيصيبهم بعض الذي يعدهم.

العرض:

بعد المدخل في الكلام والتقديم الجيد للموضوع تأتي مرحلة التفصيل في الموضوع، وذكر مختلف الجزئيات المتعقلة به سواء من حيث الشرح والاستدلال وتقديم الأمثلة وما إلى ذلك من معطيات علمية.

ومؤمن آل فرعون في كلامه يشرح ما أراد موسى أن يقوله لقومه.

إن الرجل المؤمن كان قد درس رسالة موسى في رأسه وقلبها جيدا فعلم بأنه يقول الحق فآمن ولكن كتم حفاظا على حياته وخدمة لدعوته.

فلما رأى من القوم إعراضهم عن السماع لموسى والإقبال على قتله لإسكاته، جاء ليقوم بدور شرح ما فهمه من كلام موسى، وبأنه يفعل ذلك لأنه منهم وأن مصيرهم واحد.

ولما رأى فرعون قوة كلام وتحليل الرجل المؤمن، واستشعر خطره على مصالحه بأنه ممكن أن يتأثر به القوم أراد إفحامه من خلال تقديم ما زعمه بأنه الحل المناسب للمشكلة، وهي الصعود للأعلى للتحقق من كلام موسى بأن هناك ربا في السماء، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾

الخاتمة:

لما علم الرجل المؤمن بأن فرعون والملأ مصرون على جهلهم وأن قلوبهم قاسية كالحجارة، انتقل من مرحلة الشرح التحذير وتقديم الأدلة، إلى مرحلة تقديم آخر نصيحة وآخر وصية لقومه بأنه يريد لهم أن يسلكوا سبيل الرشاد وذكرهم بالموت والحساب واعترف لهم بأنه مؤمن بموسى بما رآه من بينات ومن منطق وأنه لا يخاف إلا ممن آمن به وأنه يلجأ إليه من همجيتهم، وفعلا وقاه الله من سيئات ما مكروا له، بل وأكرمه بأن أنزل فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

اذن: ومن خلال تحليل خطاب مؤمن آل فرعون_ الذي يعتبر النموذج المقدم في السورة _ يمكن تلخيص عناصر الخطاب الاصلاحي في النقاط التالية:

_ **المقدمة:** وهي المدخل الذي يبدأ به المصلح كلامه للسامعين، وتتضمن المقدمة العامة عن الموضوع المختار للكلام، وهو ما يعرف بالتخصيص، فإن كان المصلح سيتكلم في الأخلاق او في العقيدة أو أي مجال فإنه لابد أن يوضح ذلك في المقدمة.

_ **العرض:** وهو أطول جزء باعتباره يتضمن العرض التفصيلي الدقيق للموضوع، والذي على أساسه تتحقق الرسالة.

_ **الخاتمة:** وتكون بعد استنفاذ المصلح لما عنده من مادة علمية في الموضوع المراد معالجته، فيختمه كلامه بأنه لا يريد من كل خطابه إلا الإصلاح وأن كل إنسان يحاسب عن نفسه وأنه ينصحهم بألا يهلكوا أن أنفسهم وأن يحقوا الحق ويزهقوا الباطل.

ثانيا: الفرق بين خطاب مؤمن آل فرعون (الخطاب الإصلاحي الرشيد) وخطاب فرعون (الخطاب الاستبدادي المفسد).

البعد المقارن	خطاب الرجل المؤمن	خطاب فرعون
المرجعية والمصدر	مستند بالإيمان، مستدل بالوحي وسنن التاريخ	مستند إلى الهوى والجبروت وحماية الملك.
الأسلوب والمنهج	رفيق، عقلاني متدرج، يجمع بين البرهان والموعظة	متكبر، تهديدي، قائم على الإرهاب النفسي.
المقصد والغاية	إنقاذ القوم وهدايتهم إلى النجاة	تكرسي السلطة وحماية المصالح
الوسائل الخطابية	إقامة الحجة، التذكير بالعواقب، الموعظة الوجدانية	التهديد والوعيد بالقتل والبطش، التضليل بالشعارات والأكاذيب
الأثر والمآل	خلد ذكره في القرآن نموذجا للإصلاح والدعوة	صار رمزا للاستبداد والضلال وعبرة للطغاة.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

_ **الخطاب الإصلاحي يجمع ولا يفرق**، ويوحد الصف ويبتعد عن مظاهر التحريض والانقسام، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ (آل عمران: **103**)، فالدعوة القرآنية في جوهرها إصلاحية جامعة، لا تثير التباغض ولا تؤسس للفرقة، وإنما تدعو إلى كلمة سواء.

_ **يموت الناس وتبقى الكلمات**، وتمضي حياة الأفراد وتزول أجسادهم غير أن الكلمة الصادقة المخلصة تبقى أثرا خالدا، تشع هداية وإصلاحا عبر العصور، قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ (سورة إبراهيم: **24**)

_ **الله جميل يحب الجمال وجمال الأسلوب وجمال المبنى من شروط تقبل الخطاب عند المتلقي**، فالأسلوب الجميل يفتح آذان السامعين ويهيئ النفوس لتلقي الموعظة، بينما قد يصدها الأسلوب الجاف أو الخشن مهما كانت الفكرة صائبة، والكلمة المؤثرة لا تؤدي وظيفتها الإصلاحية إلا إذا جاءت في قالب بديع يجمع بين الوضوح والرفق والعذوبة.

_ **خطاب مؤمن آل فرعون أنموذج صالح وفعال في كل زمان ومكان،** ومرجع دعوي متجدد يمكن للمصلحين استلهامه في مواجهة صور الاستبداد والانحراف، فمع أنه وجه إلى قوم فرعون في سياق تاريخي معين، إلا أن عناصره المنهجية تجعله صالحا للاستفادة في كل عصر، صالحة للتطبيق، وتقدم للمصلحين عبر العصور درسا بليغا في كيفية مخاطبة المجتمعات بعقل وحكمة، بعيدا عن العشوائية والانفعال.

_ **الخطاب بلا دليل كالجسد بلا روح،** وإقامة البرهان شرط أساس في نجاح الخطاب الإصلاحي، فالكلمة بلا دليل قد تسمع ولكنها لا تثمر، بينما الكلمة المدعومة بالحجة تحيا بالقلوب وتبقى مؤثرة عبر الأزمان.

_ **الخطاب الناجح هو ما كان موجها للقلب والعقل معا،** إذ لا يكفي أن يقدم الأدلة والبراهين للعقل دون أن يلامس مشاعر المتلقي ووجدانه، كما لا يجدي الاعتماد على الوعظ العاطفي دون إقامة الحجة العقلية، وقد جاء الخطاب القرآني جامعا بين البعدين، فخاطب العقل بالبرهان، والقلب بالموعظة والتذكير، ليحقق التوازن المطلوب في العملية الإصلاحية.

_ **الخطاب الناجح هو ما يبدأ بالتوصيف والتحليل وينتهي بالحلول المقترحة لمواجهة الأزمة،** فالتوصيف والتحليل المنهجي للواقع مدخل أساس لطرح حلول إصلاحية ناجعة، وهي قاعدة صالحة كل زمان ومكان.

المبحث الثاني: منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة

تعد منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة من أبرز المنهجيات الدعوية التي يبرزها القرآن الكريم، إذ تكشف عن دور الفرد المؤمن في تحريك مسار الإصلاح حتى في أشد البيئات قسوة، وفي غياب النصير أو المعين.

وسورة غافر تبرز هذه المنهجية في قصة مؤمن آل فرعون الذي جسد معنى المسؤولية بأبهى صورها، ليكون قدوة لأبناء الأمة الإسلامية، ولتظل هذه المنهجية ذات راهنية بالغة، فهي تدعو إلى إحياء روح المبادرة الفردية، وتحمل المسؤولية الإصلاحية بوعي وشجاعة بعيدا عن الاتكالية أو الانتظار من الخارج.

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

أولا: تعريف المبادرة الشخصية

المبادرة لغة: مشتقة من الفعل بادر

(بادر مبادرة وبدارا) أي عجل إلى فعل ما يرغب فيه، وبادر إلى الشيء أسرع وبادره بالغاية وإلى الغاية وبادره وابتدره وبدر غيره إليه يبدره عاجله وأسرع إليه.[1]

"بادر وبدر ويقال ابتدر القوم امرا وتبادروه أي بادر بعضهم بعضا إليه أيهم يسبق إليه فيغلب عليه".[2]

من خلال المعاجم والقواميس اللغوية المختلفة يمكن القول إن المبادرة من الناحية اللغوية تدل على: السبق، الإسراع وعدم المماطلة، الاستعجال.

اصطلاحا:

لقد عرفت المبادرة بتعريفات عديدة، ومن بين هذه التعريفات هي:

أنها "حالة من الاستعداد الذهني والنفسي والصحي، للقيام بتنفيذ المطلوب، وعدم الركود إلى رد الأفعال، وتبنى على الجاهزية العالية والتحضيرات الكافية، من تدريب وتجهيز وإدامة وعمل تجارب تؤدي إلى النجاح بتنفيذ الواجب، ويمكن تطوير المبادر في حال إحراز النجاح إلى تحقيق أهداف تكون ذات أهمية كبيرة، وتحتاج المبادرة إلى روح معنوية عالية، وحماس وشجاعة كافية واعتماد على النفس لتنفيذها".[3]

وعرفت الباحثة المبادرة بأنها: الإسراع وعدم المماطلة في الفعل، وهي ناتجة عن الرغبة الذاتية التي تعتبر الروح الدافعة للعمل والتدخل بشكل فوري وسريع.

الشخصية:

"إن الجذر الثلاثي (ش. خ. ص) كان موجودا قبل الإسلام، وتعددت معاني اشتقاقاته ورغم ذلك فإن العرب لم تعرف لفظ (شخصية) ولا مفهومها بدلالته المعاصرة، وقد استخدم (إخوان الصفا) و(ابن

---

(1)- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، ج3، ص 34

(2)- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 5، ص 112.

(3)- سالم حمود الحراحشة: الشباب والأنشطة اللامنهجية، دار الخليج، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2017م، ص33-34.

سينا) كلمة (شخص) لأول مرة، وشحنوها بمفاهيم جديدة تمخضت عنه الثقافة الإسلامية العربية، وترعرعت في الطقس الفقهي والفلسفي، **فالشخص قوة مبادرة واختيار: يلتزم ويندمج وينسجم ويشعر، فيقبل أو يرفض، تلك هي الخصائص اللازمة للاعتراف بأن (الشخص) استقلال ذاتي.**

ويمكن أن يلاحظ أن هذا التعريف توفيقي بين النظرة (النفسية) للشخص والنظرة (الفلسفية) له آنا واحدا.

أما في علم النفس فإن الشخص يعني الإنسان بمفرده وبكليته في ذات الوقت، فهو شخص واحد لا غير، له استقلاله وسلوكه الذاتي أولا، وبمجمل ذلك الشخص ثانيا أي بجسمه وعقله وسلوكه وشعوره مدركا وغير مدرك".[1]

وقد عرفت الباحثة الشخصية المراد بها في هذه الدراسة: هي عينة فردية متعلقة بإنسان بعينه، مميز وعاقل، له موقفه الخاص ورد فعله المتعلق بالقبول أو الرفض لما يحدث من حوله من أحداث ووقائع.

أما المبادرة الشخصية فهي: الإسراع وعدم المماطلة في التدخل بشكل فوري وسريع في الأحداث وهي ناتجة عن الرغبة الذاتية التي تعتبر الروح الدافعة للعمل الطوعي، أي من دون تلقي أوامر بالفعل وبالقبول أو الرفض.

ثانيا: تعريف المواجهة

لغة: مشتقة من الجذر (و ج هـ) واجه يواجه، مواجهة، فهو مواجه.

يقال: «واجه الرجل: قابل وجهه بوجهه "واجه المتهمين" .

واجه صديقه: استقبله بكلام أو وجه "واجه الضيف–واجهه بالحقيقة: صارحه بها.

واجه العدو: صارعه بالقول أو الفعل، جابهه وقاومه "واجه الخطر –واجه الموقف بشجاعة.

دول المواجهة: هي الدول المقابلة للعدو."[2]

المواجهة من الناحية اللغوية تحمل معاني الصدام، المقاومة، المجابهة..

---

[1]- نزار العاني: الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب بيروت، ط2، 1426هـ – 2005م، ص 51.

[2]-أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ج 3، ص 2406.

اصطلاحا:

إن مصطلح المواجهة من المصطلحات المستعملة كثيرا في ميادين مختلفة، وكل ميدان أو مجال خصوصيته في الاستعمال، ومن ذلك المواجهة في المجال العسكري، الإعلامي، النفسي وما إلى ذلك.

أما المواجهة في الحقل الدعوي والإصلاحي فقد عرفها طارق السويدان بأنها طريقة الإسلام في معالجة الأمور، فقال: " الإسلام ليس دعوة إيجابية فقط بما يحمله من مبادئ سامية وقيم نبيلة وغايات شريفة، فكما أن إيجابيته تكمن في البناء، كذلك تكمن في الهدم، وأعني بذلك هدم الفساد ومواجهة الخلل والسعي لإصلاح ما أفسده المفسدون"[1]

فالمواجهة من خلال هذا الكلام تعتبر من منهجيات الإصلاح المتعلقة بالجانب التطهيري للساحة من الفساد.

أما سيد قطب رحمه الله فقال بأنها عنصر من فقه الحركة الذي لا غنى عنه فقال: "إن الذين يتحركون بهذا الدين في مواجهة الجاهلية، ويواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى هم وحدهم الذين يرون تلك الرؤية وهم وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن ويدركون الأبعاد الحقيقية لمدلولات نصوصه، وهم وحدهم الذين يملكون استنباط فقه الحركة الذي لا يغني عنه فقه الأوراق، في مواجهة الحياة المتحركة التي لا تكف عن الحركة". [2]

إن المواجهة من خلال المفكرين المسلمين تدخل ضمن الفقه الذي تحتاجه الحركة الدعوية والإصلاحية. وهو يستمد أصوله وقواعده من الهدي القرآني ومن السيرة النبوية الشريفة.

المطلب الثاني: أهمية منهجية المبادرة الشخصية في الإصلاح

المبادرة الشخصية منهجية يحتاجها المجتمع الإسلامي وبكثرة، لأن تضافر الجهود مطلوب، وقد حث الله سبحانه وتعالى الناس على الإقدام والمسارعة إلى فعل الخيرات. ومن خلال التدبر في السورة نستطيع أن نحدد جملة من النقاط التي تتعلق بهذه المنهجية:

---

[1]- طارق السويدان: الحضارة الاسلامية القادمة، شركة الإبداع الفكري، بيروت، ط1، 2019م، ص 43.

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ص 2122.

ـ أن المبادرة الشخصية من الأعمال الصالحة التي يجزى عليها المرء يوم القيامة، وقد قال رسول الله ﷺ: " **من دل على خير فله مثل أجر فاعله**"[1]

ـ أن المبادرة الشخصية تنطلق من حب الخير للآخرين.

ـ أن المبادرة الشخصية ضرورية في معالجة المشاكل: الأسرية، الاجتماعية، الوطنية، الإقليمية، والعالمية.

ـ أن المبادرة الشخصية تجلب لصاحبها محبة الله ومحبة الآخرين.

ـ أن المبادرة تكون قولية أو فعلية، فأما ما وردة في السورة فهي مبادرة قولية، تهدف إلى صد فرعون عن قتل موسى.

ـ أن المبادرة صغيرة كانت أم كبيرة فهي تتضمن عطاء كبير للآخرين، وفي السورة كانت المبادرة كبيرة لأنها تعلقت بقول الحق ضد فرعون ووزرائه، وخلف هؤلاء قوم تبع.

ـ إن روح المبادرة من الأمور التي تكتسب من خلال التربية ومن خلال القدوة وذلك ما تستنبطه من عرض السورة لها، فقد أخبرنا الله عز وجل بقصة مؤمن آل فرعون حتى يكون أنموذجا لكل من آمن بالله وباليوم الآخر.

ـ إن المبادرة تكون وفق قواعد وتخطيط منهجي، وإلا كانت عبارة عن مغامرة تؤذ صاحبها أو أنها تفقد وظيفتها.

ـ إن المبادرة تعتمد على مهارات وأساليب، أما ما يتعلق بالمهارات فلابد للشخص من امتلاك ملكة التحليل والتحكيم، أما فيما يتعلق بالأساليب فإن المواجهة تعتبر لصيق المبادرة، وقد رأينا في السورة أن مؤمن آل فرعون واجه فرعون وملأه بالحق، قال القرطبي ـرحمه اللهـ في قوله تعالى: «إلى فرعون وهامان وقارون" خصهم بالذكر لأن مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم ففرعون الملك وهامان والوزير وقارون صاحب الأموال والكنوز فجمعه الله معهما، لأن عمله في الكفر والتكذيب كأعمالهما.[2]

المطلب الثالث: أهمية منهجية المواجهة في عملية الإصلاح

أما المواجهة فهي كما قال الدكتور الجزائري طيب برغوث –حفظه الله–: "لا يخفى أن حركة التغيير

---

[1]- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1 1374هـ - 1955م، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، ج3، ص 1506 (رقم الحديث: 1893).

[2]- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، مصدر سابق، ج، 18ص 345.

في جانب من جوانبها السننية الأساسية تقوم على ثلاثة أبعاد أساسية متكاملة هي: **الدعوة والبناء والمواجهة** حيث بينت الخبرة التاريخية لحركة الاستخلاف البشري أنه لا يمكن لأية حركة استخلاف أو تغيير حضاري أن تؤتي ثمارها وأن تحقق أهدافها في النهضة أو التجديد أو التمكين ما لم تتكامل في دورتها الانجازية الأبعاد الثلاثة بشكل أصيل وفعال ومطرد، فتدعوا إلى الخيرية وتؤسس الوعي بها وتبني النموذج البشري والاجتماعي والحضاري البديل المعبر عن هذه الخيرية وتواجه الأخطار والتحديات التي تعترض عملية الدعوة والبناء وهكذا دواليك تطرد الدورة الانجازية للفعل التغييري المجدد.[1]

لقد اعتبر المفكر طيب برغوث المواجهة ضمن الشروط السننية التي تحقق الخيرية وتؤسس الوعي الحضاري.

كما اعتبرها سيد قطب ضمن فقه الحركة الذي تقوم على أساسه الحركات الإصلاحية، بشرط أن تستنبط قواعد هذه المواجهة من الهدي القرآني.

المطلب الرابع: منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة من خلال سورة غافر

لقد تضمنت هذه السورة الكريمة هذه المنهجية من خلال شخص واحد وهو مؤمن آل فرعون.

فهذا الرجل المؤمن بالرغم من أنه عاصر نبيين وهما موسى وهارون عليه السلام، إلا أنه بادر بالنصيحة لقومه وبالحث على المعروف وخوف قومه من عواقب المنكر.

كما أنه واجه فرعون الطاغية الكاذب، وكانت المواجهة قولية تتضمن إحراج فرعون وصده عن غيه من خلال تقديم مختلف الأدلة والبراهين.

لقد تمثلت المبادرة الشخصية لمؤمن آل فرعون في الإصلاح من خلال التدخل الفوري عند سماع قرار فرعون بقتل نبي الله موسى، فهذا المنكر دفع بهذا الرجل المؤمن إلى الدفاع عن النبي بشكل فوري وسريع.

والسبب في هذه المبادرة هي روح الإيمان التي في قلبه والتي دفعته إلى الإسراع في الإصلاح، من خلال صد الأذى عن النبي، وصد قومه عن الضلال المبين.

---

[1]- الطيب برغوث: مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2004م، ص 9.

وقد خلد الله ذكر هذه المبادرة من هذا الرجل ليجعله قدوة لكل مسلم يجد نفسه في موضع تحاك فيه المؤامرات والدسائس ضد المؤمنين، حتى وإن كان في المجلس من يتولى هذه المهمة فإنه يجب على كل واحد أن يبادر بما يستطيع قولا أو فعلا، مستعملا مختلف المهارات والأساليب.

إن مؤمن آل فرعون عند تقريره المبادرة إلى الإصلاح كان يعلم بأنه سيواجه فرعون ومعه حاشية السوء، ومع ذلك لم يخف ولم يتردد، بل تحلى بالشجاعة وواجه فرعون بأن قتل موسى ليس بعدل.

كما أن استعمال مصطلح استعمل فرعون يعتبر مواجهة صريحة، وهو مصطلح "سبيل الرشاد"

حيث قال فرعون بدءا: ﴿**يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾

فرد عليه مؤمن آل فرعون بأن سبيله ليس سبيل الرشاد، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ ثم أتبع كلامه بتعريف سبيل الرشاد: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

ـ **إن الإصلاح الفاعل يقتضي المبادرة في الوقت المناسب،** فكما يطرق الحديد وهو ساخن ليشكل ويصقل، كذلك تستثمر لحظات الحاجة الملحة لتوجيه مسار الإصلاح نحو الأهداف المرجوة.

ـ **المبادرة إلى الإصلاح صورة من صور العمل التطوعي يجني صاحبها الأجر والثواب،** لما فيه من إحياء لقيم الخير واستجابة لنداء الواجب الشرعي والإنساني.

ـ **المواجهة جرأة تتوشح باسم الحق،** فلا يهاب صاحبها في الله لومة لائم، تستمد مشروعيتها من التمسك بالحق والالتزام بمقتضياته.

ـ **المواجهة فن وإقدام، وليست تهورا ولا انتحارا،** فالمواجهة الحقيقية تقوم على وعي وفن في التدبير، وهي ضرب من الإقدام المسؤول، لا مجرد تهور يقود إلى الانتحار أو ضياع المقاصد..

ـ **مواجهة أهل الباطل بأنهم على باطل تتطلب قدرات ومهارات،** فلا يفل باطل أهل الباطل إلا قدرات راسخة ومهارات رفيعة.

ـ ما تزال الأمم بخير ما دام فيها من ينهض إلى الإصلاح ويجابه الفساد دون توان، وتظل المجتمعات محافظة على تماسكها وقابليتها للنهوض ما دام فيها من يبادر إلى معالجة الخلل، ويكون صمام أمان لاستمرار الحياة في مسارها القويم.

المبحث الثالث: منهجية التشخيص قبل المعالجة ثم التفويض.

تعد منهجية التشخيص قبل المعالجة والتفويض من الأسس الجوهرية للإصلاح، ويعتمد المصلح في هذه المنهجية على ما يشبه منهج الطبيب في ممارسته العلاجية، إذ يبدأ بمرحلة التشخيص الدقيق للمرض من خلال الوقوف على طبيعته، وأسبابه ومدى انتشاره، مستعينا بما يلزم من أدوات ووسائل تساعده على الإحاطة بحقيقته، ولا يقدم على وصف العلاج المناسب –سواء كان دواء أو تدخلا جراحيا – إلا بعد استكمال هذا التشخيص، إدراكا منه بأن نجاح العلاج مرهون بصحة التشخيص، كما أن درجة الإحاطة بمهارة التشخيص تتفاوت بين الأطباء باختلاف خبراتهم وتخصصاتهم، وهو ما يوازي تفاوت المصلحين في القدرة على إدراك علل المجتمعات وتشخيص مواطن الخلل فيها.

ثم تأتي المرحلة الثانية المتمثلة في المعالجة، حيث يوظف الدواء أو الحل الإصلاحي المناسب، غير أن اكتمال المنهج لا يتحقق إلا بخطوة ثالثة هي التفويض، إذ يسلم المصلح الأمر في مآله إلى الله تعالى، معتمدا عليه في التوفيق والقبول، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

ـتعريف التشخيص:

لغة: التشخيص اسم مشتق من الفعل (شخص)

جاء في لسان العرب: "شخص بصر فلان إذا فتح عينيه، وجعل لا يطرف، وشخوص البصر ارتفاع الأجفان إلى فوق"[1]

اصطلاحا:

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (ش خ ص)، ج12، ص 99.

لقد عرف التشخيص بتعريفات عديدة، من بينها: " التشخيص هو الخطوة الأولى في علاج أي اضطراب، وهو الطريقة التي يتوصل بها الطبيب أو الأخصائي إلى معرفة الاضطراب الكامن وراء الأعراض الظاهرة على الفرد".[1]

وهذا تعريف عام وشامل لكل المجالات.

والمقصود بالتشخيص في هذه الدراسة هو العملية التي يقوم بها المصلح لمعرفة الأسباب الحقيقية والتفاصيل المختلفة وراء الظاهرة السلبية المراد معالجتها أو الفساد المراد إزالته من خلال سورة غافر.

_ تعريف المعالجة:

لغة:

المعالجة (اسم)، الجمع: معالجات، ومصدر عالج

عالج الشيء معالجة وعلاجا: زاوله.

عالج: المرض معالجة وعلاجا: عاناه.

والمعالج: المداوي سواء عالج جريحا أو عليلا أو دابة.[2]

اصطلاحا:

المعالجة مصطلح يطلق على الخطوات الإجرائية أو النشاطات البيداغوجية التي يتم اتخاذها بعد عملية التشخيص الدقيق والتخطيط العميق لإحداث تغيير على مستوى المعالج، وهي مصطلح يستعمل في مختلف التخصصات: البرمجيات، الطب، وغيرها.

والمقصود بالمعالجة في هذا البحث هو الإجراءات التي قام بها المصلح بعد تعيينه للأمراض النفسية والاجتماعية ولمختلف مظاهر الأمراض والفساد

_ تعريف التفويض:

لغة: (ف وض) فوض إليه الأمر صيره إليه، وجعله الحاكم فيه، وفي حديث الدعاء: "فوضت أمري إليك" أي رددته إليك.

---

[1]- محمد عوده وناهد شعيب فقيري: الدليل التشخيصي للاضطرابات النمائية العصبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2016م، ص7.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مج 1، ص 812.

يقال: فوض أمره إليه إذا رده إليه وجعله الحاكم فيه.[1]

اصطلاحا: التفويض هو: "براءة وخروج من الحول والقوة وتسليم الأمر كله إلى مالكه، فالمفوض يتبرأ من الحول والقوة ويفوض الأمر إلى صاحبه من غير أن يقيمه مقام نفسه في مصالحه، وهو عين الانقياد بالكلية إلى الله سبحانه وتعالى".[2]

والتفويض عند المصلح هو إشهاد الله بأنه بذل ما في وسعه في سبيل الإصلاح، وأنه بعد أن بذل الأسباب يفوض أمره وأمر الناس لله رب العالمين.

المطلب الثاني: قواعد وأسس التشخيص السليم من أجل معالجة جيدة.

إن التشخيص له أهمية كبيرة، فالتشخيص الخاطئ يؤدي إلى العلاج الخاطئ، ولدى كان لزاما وضع قواعد وأسس تتعلق به، ومن أهم هذه القواعد:

ـ **التشخيص الجماعي**: الذي يتعاون فيه أهل العلم، ويكون ذلك عبر جلسات المؤتمرات والندوات..

-**التشخيص الإسلامي**: الذي ينطلق من رؤى إسلامية تختلف عن الرؤى الفكرية والمذهبية الأخرى كالعلمانية وغيرها...

ـ **التشخيص الموضوعي**: بعيدا عن التوجه العلمي أو الرأي الشخصي، فلا يقول العالم بأن المشكلة سياسية وتتطلب حلول سياسية فقط لأنه رجل سياسي، وكذا رجل الدين أو رجل الفكر، وهنا تتضح أهمية الشورى التي تحتوي كل التوجهات وتضع جدول دقيق لكل النقاط بلا استثناء.

ـ **التشخيص الدقيق** الذي يعنى بالمرض وليس بالأعراض. ويهتم بكل التفاصيل.

ـ **التشخيص العلمي** الذي ينطلق من أسس علمية دقيقة بعيدا عن الخرافات والأوهام والخزعبلات.

بهذه الشروط فقط يمكن الاعتماد على التشخيص في القضاء على الأمراض والمشكلات في مختلف المجالات، لكنه لا يكفي وحده، فلا بد وأن تتبعه مرحلة أخرى وهي مرحلة العلاج.

---

[1]- ابن منظور، المرجع السابق، ج 7، ص 2010.

[2]- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل السائرين، مرجع سابق، ج2، ص 222.

يقول مالك –رحمه الله-: "وفي علاج المجتمع، هناك أيضا مقياسان: يجب معرفة الداء ثم تحديد علاجه تحديدا دقيقا". [1]

إن العلاج يقتضي الإزالة النهائية للمشكلة، فإعطاء مسكنات وقتية ليس بعلاج حقيقي.

ويبقى تفويض الأمر لله آخر مرحلة بعد استيفاء الأسباب، فهو الشافي وهو الهادي وهو القادر..

المطلب الثالث: شروط التفويض

إن التفويض مرتبة بين أمرين: بين الفعل والوعد بالنصر، وعند التفويض يجب أن يستحضر المفوض ثلاث شروط:

_ **تقديم الأسباب:** إن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، والرسول ρ في سنته القولية والفعلية أمر وتوجيه بأن الإنسان مطالب باستيفاء كل الأسباب الممكنة واستحضار كل الوسائل المشروعة في سبيل الوصول إلى الهدف.

ومؤمن آل فرعون لم يدع أسلوبا إلا واستحضر فقد دعاهم بالمنطق وبالعاطفة وبالبراهين وبالترغيب وبالترهيب وبآيات الله وآيات الكون وبوقائع الدنيا والآخرة و...وفي الأخير قال: "وأفوض أمري لله"

_ **تفويض الأمر لله فيما يرضي الله:** فمن الجهل وقلة الأدب مع الله أن نفوض الأمر لله فيما لا يرضي الله.

_ **صدق التوكل:** ذلك أن الصدق محله القلب والقلب لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، والتفويض يكون صحيحا عندما لا يشرك الإنسان في توكله أحدا مع الله ويحسن الظن بربه بأنه عليم ويحسن التدبير.

المطلب الرابع: منهجية التشخيص قبل المعالجة ثم التفويض من خلال السورة

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**﴾

لقد أكد مؤمن آل فرعون للقوم أن مشكلتهم ليست في عدم معرفة الحق من الباطل، فموسى عليه

---

[1]- مالك بن نبي: من أجل التغيير، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط4، 2005م، ص 110.

السلام قد زوده الله بالآيات والمعجزات التي تدل على أنه نبي من عند الله، ولكن مشكلة القوم هي مشكلة عناد وغرور وتهرب، حالهم حال أسلافهم مع الأنبياء.

قال صاحب الكشاف: " إن يوسف أتاكم (قومه) بالمعجزات، فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى إذا) قبض "قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا" حكما من عند أنفسكم من غير برهان، وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف، وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من يعده مضموم إلى تكذيب رسالته، إن هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه".[1]

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾

اختلفت الأزمان والأقوام واتفقت الطبائع والنفوس المريضة في التكبر والجبروت، وقد حاول مؤمن آل فرعون مع قومه كما حاول الأنبياء من قبله وبعده أن ينهوا الناس عن هذا معرضين أنفسهم للخطر، واستعملوا مختلف الأدلة والبراهين العقلية والمنطقية واستعمل الأنبياء كل ما زودهم الله به من المعجزات، لكن عندما يطبع الله على القلب المتكبر المتحجر فلن يدخله النور أبدا.

لقد ختم الله على قلب فرعون وهامان وقارون كما ختم على قلب ابا جهل وابو عتبة وأبو لهب وغيرهم ...لأن الأنبياء ومن تطوع الى كلة الحق قد حاولوا معهم ما باستطاعتهم ثم فوضوا الأمر بعد ذلك لله فإليه الأمر من قبل ومن بعد.

قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: **﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**

فما كانت نتيجة هذا التفويض؟

قال تعالى: **﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾**

---

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1430هـ - 2009م،، ص 956.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

ـ **الإصلاح علم دقيق كسائر العلوم**، يقوم على أصول منهجية وقواعد معرفية، ولا يتحقق أثره إلا باحترام سننه وقوانينه، إذ هو ليس مجرد اجتهادات عفوية أو محاولات ارتجالية، بل منظومة علمية تستند إلى الوحي وتسترشد بالخبرة الإنسانية.

ـ **المصلح والطبيب لهما نفس مراحل العلاج من إنقاذ النفس البشرية التي كرمها الله**، إذ يتقاطع دور المصلح مع دور الطبيب في جوهر مهمتهما، فكلاهما يمر بمراحل متقاربة في عملية العلاج، إذ يسعى الطبيب إلى إنقاذ النفس البشرية من علل الجسد، ويسعى المصلح إلى إنقاذها من أمراض الانحراف والفساد، وكما أن الطبيب يبدأ بالتشخيص الدقيق ثم يصف العلاج المناسب قبل أن يكلل جهده بالتوكل على الله، كذلك المصلح يشخص مواطن الخلل في الفرد والمجتمع، ثم يقدم الحلول الإصلاحية الملائمة، مستحضرا أن النفس البشرية مكرمة عند الله تعالى، لقوله سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾(**سورة الإسراء: 70**).ومن ثم فإن حماية النفس وصيانتها، سواء من آفات الجسد أو من انحرافات الفكر والسلوك، تمثل مقصدا شرعيا من أصول الإصلاح.

ـ **إن التشابه الوظيفي بين الإصلاح والطب يمثل أنموذجا جليا للتكامل بين العلوم وتداخل وظائفها**، حيث يلتقي كلاهما في غايته المشتركة المتمثلة في صيانة النفس البشرية وحفظ كرامتها، ومن هذا المنطلق فإن الاستخفاف بعلم من العلوم أو التقليل من شأنه قياسا بغيره إنما هو ضرب من الجهل بطبيعة السنن الإلهية في الكون، إذ إن الله تعالى أودع في نظام الاستخلاف قانونا قائما على الشمول والتكامل بحيث لا يستغني علم عن آخر، ولا يتحقق العمران البشري إلا بتضافر الجهود المعرفية وتكامل الاختصاصات.

المبحث الرابع: منهجية ترتيب الأولويات

يعد مبدأ ترتيب الأولويات من المرتكزات المنهجية التي أرساها القرآن الكريم في مسار الإصلاح الشامل، إذ لا يمكن للمصلح أن يحقق مقاصده ما لم يضع الأمور في مواضعها، ويقدم الأهم على المهم، والضروري على الحاجي، وفق ضوابط الشرع ومقاصده الكلية، ومن هنا تبرز أهمية هذا المبدأ باعتباره أداة لتحقيق التوازن بين حاجات الفرد والمجتمع، وبين مقتضيات الواقع ومتطلبات الشريعة.

وعليه، فإن دراسة منهجية ترتيب الأولويات في ضوء سورة غافر تمثل مدخلا مهما لفهم السنن القرآنية في الإصلاح، وتبين كيف رسم القرآن الكريم خريطة دقيقة لمسار التغيير.

المطلب الأول: تعريف الأولويات

لغة: يقال فلان أولى بهذا الأمر من فلان أي أحق به، وهما الأوليان الأحقان[1]، قال تعالى:

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: **107**).

والأولى من أفعل التفضيل بمعنى "الأحق والأجدر والأقرب"[2]

اصطلاحا:

عرف الوكيلي الأولويات بأنها: " الأعمال الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها، عند الامتثال أو عند الإنجاز.

وهو لفظ مستعمل عند رجال الدعوة، استعملوه في ثلاث استعمالات:

أولا: على المستوى النظري، ويقصدون به احترام مراتب الأعمال الشرعية بتقديم الأهم منها على المهم، ووضع كل عمل في موضعه وإطاره الشرعي.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج15، ص 407.

[2]-أحمد الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1392هـ، ج2، ص 1057.

الثاني والثالث: على المستوى العملي:

1/. **في مجال الدعوة** ويقصدون به معرفة ما يستحقه التقديم وما ينبغي البدء به، أثناء الممارسة الدعوية بناء على المعرفة السابقة بمراتب الأحكام الشرعية وبناء على ما يتطلب الظرف البدء به.

2//. **في مجال التزاحم** ويقصدون به معرفة ما له حق التقديم والأسبقية عند تزاحم حكمين شرعيين في عالم الامتثال".[1]

المطلب الثاني: أهمية منهجية ترتيب الأولويات في القرآن الكريم

وترتيب الأولويات منهجية ربانية صاحبت نزول الوحي، فقد أخرج البخاري عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا".[2]

وسورة غافر من السور المكية.

والمكي من القرآن الكريم هو: "هو ما نزل في مدى ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة –هجرة النبي ρ– من مكة إلى المدينة –سواء نزل في مكة أو في الطائف أو في أي مكان آخر مثل سورة (ق) و(هود) و(يوسف).

أما المدني فهو ما نزل في مدى عشر سنوات بعد الهجرة سواء نزل في المدينة أو في الأسفار والمعارك الحربية أو في مكة عام الفتح مثل سورة البقرة وآل عمران.

ويغلب على التشريع المكي إصلاح العقيدة والأخلاق، والتنديد بالشرك والوثنية وإقرار عقيدة التوحيد، وتصفية آثار الجهل من قتل وزنى ووأد بنات والتأدب بآداب الإسلام وأخلاقه مثل العدل والوفاء بالعهد، والإحسان والتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان وفعل الخيرات وترك

---

[1]- محمد الوكيلي: فقه الأولويات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1، 1416هـ، ص 13، 15.

[2]- محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1414هـ -1993م، باب تأليف القرآن، ج4، ص 1910، (الرقم: 4707)

المنكرات، وإعمال العقل والفكر، ونقض أوهام التقليد الأعمى وتحرير الإنسان والاعتبار بقصص الأنبياء مع أقوامهم، وقد اقتضى ذلك جعل الآيات المكية قصيرة تزخر بالرهبة والزجر والوعيد، وتبعث على الخشية وتشعر بمعنى الجلال".[1]

المطلب الثالث: ضرورة العمل بمنهجية الأولويات في الإصلاح

المقصود بفقه الأولويات هو: "ما يأتي للترتيب بين المصالح ليبين ما الذي ينبغي أن يكون ثانيا وثالثا ورابعا، وكذلك يعمل على الترتيب بين المفاسد فيبين ما الذي ينبغي تركه أولا، وما الذي ينبغي تركه ثانيا وثالثا ورابعا"[2]

ويعد العمل بهذه المنهجية من أسس النجاح في أي مشروع إصلاحي، سواء كان إصلاحا فرديا أو اجتماعيا أو تربويا، وتبرز هذه الأهمية في عدة أمور، من بينها:

ـ **تحقيق أعظم النتائج بأقل الجهود وبحكمة بالغة:** إذ عندما يرتب المصلح أولوياته فإنه يوجه جهده نحو القضايا الأهم والأكثر أثرا، بدل أن يتشتت في أمور فرعية، أي أنه يتصرف بحكمة فيقدم ما لا يستغنى عنه، ويؤخر ما يمكن تأجيله.

مثلا: إصلاح العقيدة مقدم على إصلاح المظاهر، لأن الإيمان هو الأساس الذي تبنى عليه الأعمال.

ـ منع الفوضى والاضطراب في العمل الإصلاحي: ذلك أن الخلط بين المهم والأهم يؤدي إلى اضطراب المسار الإصلاحي وتضييع الجهود.

ـ **التدرج في التغيير يضمن القبول والاستمرار:** وذلك من خلال مراعاة قدرات الناس واستعداداتهم، فتبدأ عملية الإصلاح بما يمكنهم تحمله والارتقاء بهم تدريجيا.

ـ **تحقيق التوازن الشامل:** ترتيب الأولويات يمنع الإفراط والتفريط، فيعطي كل جانب من جوانب الإصلاح حقه المناسب من الاهتمام.

---

[1]- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق ج1، ص20.

[2]- عبد المجيد محمد السوسرة، فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، دار القلم، دبي، ط1، 1425هـ - 2004م، ص 15.

_ **الاقتداء بالأنبياء في منهجهم الإصلاحي**: فالإصلاح هو رسالة كل الأنبياء وقد اعتمدوا جميعا على هذه المنهجية في عملهم.

المطلب الرابع: منهجية ترتيب الأولويات من خلال السورة

تضمنت السورة الكريمة مجموعة من الأولويات المتنوعة، ومن بينها:

أولوية الموضوع:

إن البعثة المحمدية جاءت في ظل سيطرة القوي على الضعيف، وفي ظل مظاهر ومشاكل اجتماعية كثيرة، لكن ومن خلال السورة نجد بأن العقيدة لها أولوية الأولوية، فالعقيدة هي منطلق الأفعال والتصرفات.

وقد جاء في السورة الكريمة تعريف الناس بربهم فهو أهم ركن في العقيدة، وآيات السورة فيها الكثير من الصفات والأفعال التي تشهد على ألوهيته وربوبيته.

ثم يأتي موضوع الآخرة والبعث والحساب كموضوع ثاني بعد الله عزوجل.

أولوية الأسلوب:

((**ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير**)) الحق سبحانه وتعالى لم يكلف عباده بحكم افعل ولا تفعل إلا بعد أن قدم حيثيات الإيمان الأعلى بالإله الأعلى.[1]

الكتمان:

إن الكتمان أو التصريح يكون بالنظر إلى العاقبة، فأيما كان فيه الخير للإنسان وللرسالة كان الأولى بالفعل، فكم من مؤمنين كتموا إيمانهم فكان لكتمانهم عظيم النفع، ومن ذلك ما حدث مع "**نعيم بن مسعود**"، أتى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديما في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم،

---

[1]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 13321.

وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه، نصحا لكم، فاكتموا عني، فقالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه:

إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

(دبيب الفرقة بين المشركين):

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو (يوم) لا نعمل فيه شيئا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم. وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم.[1]

بالكتمان استطاع رجل واحد التخذيل بين أخطر فريقين اتحدا ضد المسلمين.

فالأمة بحاجة إلى مثل هؤلاء الذين يكتمون إيمانهم في سبيل حماية الرسالة وأبناءها من خلال اكتشاف المخططات وما إلى ذلك من المهام.

والكتمان ضروري في حالات، ولكن الجهر والتصريح في حالات يصبح أولى كما كان الحال عند السحرة. فالسحرة قد أعلنوا إيمانه أمام الملأ لأنهم يعلمون بأن الناس تتأثر بهم.

وأيضا بالنسبة للرجل المؤمن من آل فرعون فقد كشف عن إيمانه عندما اقتضى الأمر الدفاع عن حياة النبي، وفوض أمره لله فوقاه الله سيئات ما مكروا.

إن قول كلمة الحق من أفضل الأعمال، قال رسول الله ﷺ: "ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[2]

أولوية الأشخاص:

إلى فرعون وهامان وقارون" خصهم بالذكر لأن مدار التدبير في عداوة موسى كان عندهم، ففرعون الملك وهامان والوزير وقارون صاحب الأموال والكنوز فجمعه الله معهما، لأن عمله في الكفر والتكذيب كأعمالهما..[3]

---

[1]- عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية لابن هاشم، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مر، ط2، 1375هـ - 1995م، ج2، 129-131.

[2]- الإمام أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421- 2001م،

[3]- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، مصدر سابق، ص 345

أولوية مصادر المعرفة:

يعتبر القرآن الكريم مصدر العلم الأول الذي ينغي أن ينطلق منه المسلم ليصل إليه، والكون أيضا خلق من أجل الإنسان وقد سخر الله ليستدل به الإنسان على وجود الله، هذا من ناحية المعتقد، أما من الناحية المعرفية فلا تعارض بين النقل والعقل فالله هو الذي خلق وهو أعلم بما خلق.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

ـ **إن فقه الأولويات ليس اجتهادا بشريا محضا**، وإنما هو علم تستمد أصوله أولا من القرآن الكريم الذي رتب الأعمال والمهام بحسب أهميتها ومآلاتها، ثم من السنة النبوية التي جسدت هذا الترتيب عمليا في حياة الرسول ﷺ وأصحابه، ثم من خبرة أهل العلم والاختصاص في مختلف مجالات الحياة.

ـ **إن الإعراض عن فقه الأولويات وعدم مراعاته في العمل الإصلاحي ليس مجرد خطأ إداري أو قصور تنظيمي، بل هو في حقيقته ذنب يؤثم عليه تاركه**، لأنه يفضي إلى تضييع مقاصد الشرع وتعطيل المصالح الكبرى، بل وربما استبدال الأدنى بالأعلى، أو تقديم الجزئي على الكلي، مما يعد انحرافا عن منهج القرآن الكريم والسنة النبوية.

ـ **إن احترام قانون الأولويات ليس شأنا تعبديا صرفا، بل هو سنة كونية أودعها الله تعالى في نظام الاستخلاف**، فمن أخذ بها نهض، ومن أعرض عنها تخلف، وهذا ما نجده في مسيرة الأمم المتقدمة، إذ لم يكن تقدمها وليد الصدفة وإنما كان ثمرة إدراك دقيق لأولوياتها في مجال التعليم والبحث العلمي والتنمية الاقتصادية والتقنية، فقد رتبت هذه الدول أولوياتها علما وعملا، فاستثمرت طاقاتها فيما يحقق المصلحة العامة ويؤسس لمستقبلها فسبقت غيرها.

ـ **إن مصلحة وكرامة الإنسان لها الأولوية في الثقافة الإسلامية.**

ـ **إن معرفة الأمور التي لها حق الأولوية دليل على العلم الوافر ولكنها توفيق رباني أيضا.**

المبحث الخامس: منهجية ولكم في القصص عبرة

لم يسق القصص القرآني لمجرد التسلية أو الإخبار، بل جاء ليؤدي دورا إصلاحيا عميقا، إذ يبرز السنن الإلهية في المجتمعات، ويقدم النماذج الإيجابية للاقتداء، ويحذر من العواقب الوخيمة للانحراف.

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (**سورة يوسف: 111**) مما يبين أن العبرة بالقصص تعد منهجا تربويا وإصلاحيا يوجه العقول والقلوب معا.

وفي سورة غافر يبرز هذا المنهج بوضوح في خطاب مؤمن آل فرعون الذي وظف القصة وسنن التاريخ لتقويم العقيدة، وإصلاح الأخلاق، وترشيد الفكر، مقدما أنموذجا عمليا للمصلحين في كيفية استثمار القصص للعظة وبناء الوعي الإصلاحي.

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

أولا: تعريف القصص

لغة: القصص لغة اسم مشتق من المصدر قص.

"قص يقص، والقص فعل القاص إذا قص القصص، والقصة معروفة.

ويقال في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام ونحوه قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ (**يوسف: 3**)، أي نبين لك أحسن البيان.

والقصة الخبر وهو القصص، وقص علي خبره يقصه قصا وقصصا: أورده.[1]

ومن معاني القصة أيضا: تتبع الأثر

اصطلاحا:

عرفت القصص بأنها: الأخبار المتتابعة

وقصص القرآن: "إخباره تعالى عن أحوال الأمم الغابرة وشأن النبوات السابقة والحوادث الواقعة وأمور

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج7، ص73- 74.

كثيرة أخرى، وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار وما حدث فيها وتتبع آثار كل قوم".[1]

ثانيا: العبرة

لغة: مأخوذ من مادة (ع ب ر)

جاء في مقاييس اللغة أن: "العين والباء والراء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدل على النفوذ والمضي في الشيء. يقال: عبرت النهر عبورًا".[2]

والعبرة هي: الاعتبار بما مضى، أي: الاتعاظ والتذكر. [3]

العابر: هو الناظر في الشيء، والمعتبر: المستدل بالشيء على الشيء.[4]

من خلال تتبع معنى كلمة العبرة في القواميس والمعاجم اللغوية يتضح بأنها تحمل معنى: الاعتبار، الاتعاظ والتذكر.

اصطلاحا:

عرفت العبرة بأنها "الآية التي يعبر بها من منزلة الجهل إلى العلم؛ لأن المعتبر بالشيء، تاركٌ جهله، وواصلٌ إلى علمه بما رأى".[5]

وقد عرفت الباحثة العبرة المراد بها في هذه الدراسة هي: ما يتوصل إليه المصلح من اعتبار واتعاظ وفقه بعد البحث والتأمل والتدبر في القصص المذكورة في السورة القرآنية.

والاعتبار بالقصص القرآني تندرج ضمن منهجيات الاصلاح الذاتي التربوي، كما تندرج ضمن منهجيات الاصلاح الرسالي، وقد اختارت الباحثة إدراجها في هذا الفصل لأن الفصل الآخر تضمن منهجية الجمع بين القراءات والقصص من ضمن مواضيع القراءة التي يصلح بها الإنسان نفسه.

---

[1]- محمد أحمد محمد معبد: نفحات من علوم القرآن دار السلام، القاهرة، ط2، 1426هـ، ص 106.

[2]- ابن فارص، مقاييس اللغة مرجع سابق، ج4، ص 207.

[3]- الفيومي، المصباح المنير، مرجع سابق، ج2، ص 390.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج4، ص 530.

[5]- الواحدي، التفسير البسيط، مرجع سابق، ج5، ص 89.

المطلب الثاني: أهمية منهجية الاعتبار بالقصص في الإصلاح

قال تعالى في سورة يوسف: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (**يوسف: 111**) لقد أوحى الله سبحانه وتعالى في كتابه قصص الأنبياء مع قومهم ومختلف القصص لتكون أنموذجا يعتبر به أولو الألباب.

قال الطيب برغوث –حفظه الله-: "ضرورة الوعي بالدور الحيوي الحاسم للنموذج، في أبعاده الفكرية والبشرية والاجتماعية، وفي حركة التغيير والتجديد الحضاري، فحركة التغيير يكتب لها من النجاح بقدر ما تتمكن من تقديم القدوة النموذجية للآخرين على مستوى التنظير الفكري ثم على مستوى التمثل الذاتي لذلك التنظير، ثم على مستوى التجسيد الاجتماعي فالحضاري للنموذج".[1]

وتتمثل أهمية القصة في الإصلاح فيما يلي:

ـ **إن للقصة دورا كبيرا في الإصلاح**، وذلك من خلال التأثير القلبي والإقناع العقلي الذي ينعكس على الأخلاق والسلوك للأفراد.

ـ **وأيضا للمصلحين**، إذ يستنبطون منها كل شيء.﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (**يوسف: 111**).

ـ **معرفة الكليات:** قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق العقلاء على أن ضرب المثل مما يعين على معرفة الكليات، وأنه ليس الحال إذا ذكر مع المثال كالحال إذا ذكر مجرداً عنه، ومن تدبر جميع ما يتكلم فيه الناس من الكليات المعلومة بالعقل في الطب والحساب والصناعات والتجارات وغير ذلك وجد الأمر كذلك، والإنسان قد ينكر أمراً حتى يرى واحداً من جنسه فيقر بالنوع، ويستفيد بذلك حكماً كلياً.[2]

ـ " إن في تكرار القصة الواحدة في القرآن فوائد، وفي كل فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارض

---

[1]- الطيب برغوث، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، مرجع سابق، ص 6.

[2]-أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، مصدر سابق، مج 9، ص 238

في المجموع لأنها لما كانت منزلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في البعض الآخر حتى لا يمل للفظها ولا لمعانيها ثم إن الأقوال المحكية فيها إنما هي معبرة عن المعاني وشارحة للحقائق وليست نقلا لألفاظ المحكي عنهم بأعيانها، فإن بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم ولم تكن لغة العربي منهم كلغة القرآن في فصاحتها وبلاغتها، هذا وإن اختلاف الأساليب وطرق التعبير في قصص القرآن عموما عن المعنى الواحد لا تختلف إلا لنكت تفيد من فهمها فائدة لفظية أو معنوية."[1]

المطلب الثالث: أقسام القصص في الإصلاح

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.[2]

إن موضوعات القصص متنوعة فهناك ما يتعلق بالصالحين وأخرى على الظالمين، قصص النساء (حواء، مريم، امرأة فرعون، سارة وهاجر، امرأة العزيز ...) والرجال، قصص الإنسان والحيوانات (ناقة صالح، الغراب، بقرة بني إسرائيل..)

---

[1]- عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص 6.

[2]- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ - 2000م، ص 317.

المطلب الرابع: منهجية ولكم في القصص عبرة من خلال السورة الكريمة

لقد أوحى الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم في هذه السورة الكريمة

قصص تتعلق بحوادث غابرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾

قصص الأنبياء ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾ ﴿**إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾.

قصة مؤمن آل فرعون:

وقد تضمنت هذه السورة هذه القصص وفيها العبرة والعظة للرسول ﷺ ، ولكل المصلحين، ويمكن تقسيم هذه الأهمية إلى عنصرين: علمية وعملية

❖ **الأهمية العلمية:**

_ الاستدلال بما حدث للسابقين: إن في قصص السابقين عبرة لمن يأتي من بعدهم، فالمصير واحد طالما أنه بيد الله الواحد الأحد.

وقد استعمل مؤمن آل فرعون معرفته بما حدث للسابقين في نصح قومه، وقد حذر الرسول ﷺ قريش من عاقبة الكفر أسوة بما حدث مع السابقين كذلك.

_الاستشراف: وهو التنبؤ بما سيقع انطلاقا من إحداثيات الواقع، وهو "الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، والمراد منه التأمل والتفكر".[1]

وقد استشرف مؤمن آل فرعون مصير قومه، فحذرهم من زوال الملك وأخذ الله لهم.

كما استشرف الرسول ﷺ تغير الموازين، وأن الله سينصر المسلمين وسيهلك الظالمين بالرغم من أن موازين القوى عند نزول هذه السورة كانت تبدو لصالح الكافرين.

_المعرفة الإسلامية الصحيحة بالشخصيات والأحداث: لقد طال التحريف الديانات السابقة إلى درجة كبيرة، فجاء القرآن مبينا هذا الزيف والافتراء. وقد تحدى الرسول ﷺ اليهود والنصارى بما أنزله الله

[1]-القاسمي، محاسن التأويل، مرجع سابق، ج 6، ص 238.

عليه من الحق، وأنهم بما يعتقدونه في ضلال مبين.

❖ **الأهداف العملية التطبيقية:**

_ **تزويد المصلح بالزاد الكافي:** إن الإصلاح مهمة تتطلب عقيدة راسخة، وعقل راجح، كما تتطلب أن يكون حامل اللواء شخص نبيه وحازم، وللقصص القرآنية دور في بنائه البناء السليم الذي يهيئه إلى هذا الدور.

إن القصص هي من تجعل المصلح في حالة فطنة وذكاء، لا تغريه العروض، ولا تهزمه الصدامات ولا القيود، وهذا ما نجده في الأنبياء وفي كل من تبعهم في هذا الطريق.

إن مؤمن آل فرعون كان عند محاولته صد قومه عن الطغيان ودعوتهم إلى إصلاح حالهم لم ينخدع بأكاذيب فرعون، كما لم يخف ولم يتخلف، واستمر في قيامه بوظيفته وهو صامد ثابت.

_**القيام بمهمة الإصلاح في وضوح:** إن الصراع بين الحق والباطل صراع أبدي، والاختلاف فقط في الزمان والمكان، أما الإنسان فهو الإنسان على مر الأزمان.

والمصلح الذي يواجه الجبروت والطغيان هو ما سبق للسلف مواجهته ومجابهته، وقراءة قصصهم وأحوالهم مع أقوامهم تزوده بالمنهجيات المناسبة في الإصلاح، وبذلك لا يضل الطريق. وقد تضمنت هذه السورة المنهجية المناسبة في تعامل المصلح مع الطغاة وهي منهجية التلطف والنصح.

وهي المنهجية التي استعملها الرسول ﷺ مع قومه حيث كان يقوم بمحاولة إصلاح حال القوم بالنصيحة والدعوة، فلما انتقل إلى المدينة وتغيرت الموازين تغيرت كذلك منهجية الإصلاح.

_ **تفادي الأخطاء:** لقد استعجل نوح عليه السلام في لقاء ربه وترك قومه فعبدوا العجل من بعده، ويئس يونس عليه السلام من إسلام قومه فخرج غاضبا فالتقمه الحوت..

ومثل هذه القصص تحمي المصلح من الوقوع في تلك الأخطاء، فتجلعه يقوم بما عليه في عزيمة وصبر وبصيرة، والرسول ﷺ لم يمل ولم ييأس من صلاح قومه إلى آخر حياته ﷺ.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

ومما يستفيده المصلحون من القصص الواردة في السورة الكريمة:

ـ إن الطعن في الحق من خلال تشويه صورة رافعي راية الإصلاح والتغيير ليس ظاهرة عابرة ولا ممارسة مستحدثة، بل هو منهجية قديمة وقصة متكررة في تاريخ الصراع بين الحق والباطل، فقد واجه الأنبياء والمصلحون عبر العصور أشكالا من التشويه والافتراء، قصد صرف الناس عن دعوتهم، وإسقاط مصداقيتهم، والحيلولة دون وصول رسالتهم إلى القلوب والعقول، وقد سجل القرآن الكريم قصص هؤلاء المفترين في مواضع عدة، حيث اتهم الأنبياء بالسحر والجنون والكذب، كما في قول فرعون عن موسى عليه السلام، وهو ما يقال الدعاة اليوم بأنهم دعاة فتن وعنف، وأطلقوا عليهم مصطلح الإرهابين.

ـ **مؤمن آل فرعون:** رجل لم يكن نبيا، ولكنه حمل قلبا نابضا بالإيمان، ولسانا صادقا بالحجة، وعقلا راجحا بالبصيرة، كتم إيمانه زمنا حتى حان الموقف الفصل، فتكلم بكلام أذل به كبرياء فرعون، وأقام الحجة على قومه، فصار أنموذجا خالدا لكل مصلح يواجه الباطل وحده، مثبتا أن كلمة الحق إذا خرجت من القلب المؤمن أزاحت جبال الباطل مهما علت.

ـ إن التدافع والصراع بين الحق والباطل سنة ماضية في تاريخ الإنسانية، ابتدأت منذ عهد نوح عليه السلام، واستمرت عبر العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد عرضت سور القرآن الكريم هذه السنة بجلاء، مبينة كيف أن أهل الباطل كانوا يمتلكون سطوة وقوة، لكنهم سخروها في سبيل الطغيان وإشاعة الظلم، مستندين إلى منطق الاستبداد الفرعوني "ما أريكم إلا ما أرى"!

ـ إن القصص القرآني مدرسة إصلاحية ربانية، والعاقل لا يقف عندها كحكايات تروى، بل يتزود منها زادا لإصلاح نفسه، ويقتبس منها نورا لهداية غيره، فهي مدرسة للقلوب، وميزان للأعمال، ودليل للسالكين إلى الله، ومن أعرض عنها حرم الحكمة، ومن اعتبر بها نال البصيرة.

نتائج الفصل الرابع:

بعد الانتهاء من معالجة مباحث هذا الفصل المتعلق بمنهجيات الإصلاح الدعوي الرسالي، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. **تعريف منهجيات الإصلاح الدعوي الرسالي الواردة في سورة غافر:** هي مجموعة القواعد الكلية والأسس التوجيهية التي أرساها الوحي لضبط مسار الدعوة وتوجيه خطابها وتنظيم أدواتها وأساليبها، مما يسهل عمل الدعاة والمصلحين تربطهم بمقاصد الشريعة الكبرى المتمثلة في الهداية والإصلاح، ولا يتركهم رهائن للاجتهادات الفردية المطلقة، ويحميهم من الانحراف أو القصور أو الإفراط والتفريط.
2. **قيمة المنهجية القرآنية في العمل الدعوي الإصلاحي:** إن المنهجية القرآنية في الدعوة والإصلاح ليست مجرد أسلوب من الأساليب، بل هي المرجع الأعلى الذي يوجه الفكر والعمل، لأنها صادرة عن العليم بخلقه، قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ **(سورة الملك: 14)**.
3. **خطر الجهل وعدم العمل بالمنهجية القرآنية في الإصلاح:** إن جهل المصلح أو الداعية بالمنهجية القرآنية، أو إعراضه عن العمل بها، يؤدي إلى انحراف المسار الدعوي بعدة مظاهر، من أبرزها:

❖ **الخلل في ترتيب الأولويات:** فينشغل بالدعوة إلى الجزئيات قبل إصلاح الأساس العقدي والمعرفي.

❖ **الخطاب المنفر أو غير المتوازن:** بسبب غياب التوجيه القرآني الجامع بين الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

❖ **ضعف الثمرة الإصلاحية:** لأن غياب المنهجية يجعل العمل موسميا أو عاطفيا، سريع الذبول.

❖ **الوقوع في الاجتهادات غير المنضبطة:** مما قد يوقع المصلح في الغلو أو التفريط، أو في تقليد مناهج بشرية قاصرة.

4. **أثر أوصاف "أكثر الناس" في توجيه المنهجيات الدعوية:** إن توصيف سورة غافر لغلبة حال الناس يوجه المصلح إلى اختيار المصلح إلى اختيار الأساليب المناسبة والقيام بنشاطات وبرامج مركزة: حملات علمية مبسطة لمعالجة قلة العلم، برامج تبصيرية تربوية لإثارة الذكر والشكر،

واستراتيجيات ترتكز على ثبات العقيدة لأن "أكثرهم لا يؤمنون" يستلزم البدء بالأساس العقدي قبل الفروع.

5. **منهجية الخطاب الدعوي**: أمام جمهور يعاني من قلة الإيمان، قلة العلم، قلة الذكر والشكر، يصبح الخطاب الفصيح وحده غير كاف، لذلك تؤكد السورة على خطاب يجمع بين بيان عقلي مليء بالحجج، وسرد قصصي للعبرة، ونداء عاطفي يحرك القلوب، مع استعمال التكرار والتدرج في الرسالة لضمان الاستيعاب والتثبيت.

6. **منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة**: لقد أبرزت شخصية مؤمن آل فرعون أن الإصلاح لا يشترط أن يبدأ من الجماعة أو المؤسسة، بل قد ينبثق من مبادرة فرد واحد، إذا توفرت له البصيرة والشجاعة، فيكون موقفه سببا في إنقاذ الأمة أو إقامة الحجة عليها.

7. **منهجية التشخيص قبل المعالجة ثم التفويض**: أظهرت السورة الكريمة أن المصلح مطالب أولا بتشخيص علل المجتمع بدقة –كما فعل مؤمن آل فرعون بتوصيف حال قومه وبيان مآلاتهم – ثم يقدم العلاج المناسب ويختم عمله بتفويض أمره لله تعالى، إقرارا بأن النتائج بيد الله وحده.

8. **منهجية ترتيب الأولويات في الإصلاح**: بينت السورة الكريمة أن هذه المنهجية من أهم السنن الإصلاحية التي أرسى القرآن الكريم معالمها، إذ يقوم على تقديم ما حقه التقديم وتأخير ما حقه التأخير، بما يضمن وضوح الرؤية وسلامة المنهج، ودوام الأثر.

9. **منهجية "ولكم في القصص عبرة"**: وهي منهجية تبرز أن القصص القرآني ليس مجرد تاريخ، بل هو منهج إصلاحي عملي، يقدم سننا ربانية ونماذج حية، ويوظف العبرة لتقويم العقائد وتهذيب الأخلاق وتصحيح الفكر.

الفصل الخامس:
منهجيات الإصلاح الرباني

وفيه مباحث خمسة رئيسية وهي:

المبحث الأول: منهجية ربط كل غيب بمشهد

المبحث الثاني: منهجية المعجزة

المبحث الثالث: منهجية الإمهال قبل الأخذ

المبحث الرابع: منهجية لكل فرعون موسى

المبحث الخامس: منهجية السنن الربانية

تمهيد:

يعتبر الإصلاح الرباني البعد الأعمق في مسيرة الهداية الإنسانية، إذ يرتبط مباشرة بسنن الله في الخلق والتدبير، فقد شاء الله تعالى أن يكرم الإنسان ويمنحه وظيفة الاستخلاف في الأرض، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ (**سورة الإسراء: 70**).

وهذه الكرامة لم تكن مجرد منحة وجودية، بل اقترنت بتكليف إصلاحي يقوم على العدل والرحمة، وعلى العودة إلى منهج الله كلما انحرفت الفطرة واعوج المسار.

ومن مقتضى عدل الله وحكمته أن جعل الإصلاح في حياة البشر سنة ربانية جارية، فجاءت منهجيات مخصوصة لا يملكها إلا هو سبحانه، مثل إرسال الرسل لهداية الناس وإقامة الحجة عليهم، والإمهال قبل الأخذ تحقيقا لمبدأ الرحمة والإنذار، ثم الجزاء العادل الذي لا يظلم فيه أحد، ولخص القرآن هذه الحقيقة بقوله: ﴿**رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ (**النساء: 165**) وقوله سبحانه: ﴿ **مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ (**سورة فصلت: 46**).

وعليه، فإن دراسة منهجيات الإصلاح الربانية ليست بحثا في التاريخ أو في المجرد، بل هي قراءة في قوانين الإصلاح الإلهي التي تحكم مسيرة الإنسان، وتكشف عن رحمة الله بعباده، وعدله في معاملتهم، وإرادته أن يظلوا موصولين به، مهتدين بنوره، حتى يحققوا وظيفتهم في عمارة الأرض على الوجه الذي أراده سبحانه.

المنهجيات:

المبحث الأول: منهجية ربط كل غيب بمشهد

تمهيد:

إن الإيمان بالغيب من صفات المتقين لقوله تعالى: ﴿الم. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وقد ربط القرآن الكريم بين الغيب والمشهد في نصوصه، لتربية الإنسان على الربط بين السماء والأرض، وبين الدنيا والآخرة، لينال رضى رب العالمين.

المطلب الأول: ضبط المصطلحات

أولا: تعريف الغيب

لغة: "الغيب كل ما غاب عنك، تقول غاب عنه غيبة وغيبا وغيوبا ومغيبا وجمع الغائب غُيبٌ، وغياب وغيب أيضا".[1]

"والغيب هو كل ما غاب عن العيوب وإن كان محصلا في القلوب، وغاب الأمر عني غيبا وغيوبا ومغابا ومغيبا، وسمعت صوتا من وراء الغيب أي: من موضع لا أراه، والغيب خلاف الشهادة والحضور."[2]

اصطلاحا:

"الغيب" مفردة قرآنية، وردت في القرآن الكريم في ستة وخمسين موضعا.

عرفه الطاهر بن عاشور: "هو ما لا يدرك بالحواس، مما أخبر الرسول ﷺ صريحا بأنه واقع أو سيقع، مثل وجود الله وصفاته ووجود الملائكة والشياطين وأشراط الساعة وما استأثر الله بعلمه"[3].

---

[1]- اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1402هـ - 1982م، ص3777

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص 654.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 229.

وعرفه الراغب بأنه: " ما غاب من الحاسة، وعلم الإنسان"[1]

وعرف بأنه: " ما غاب عن الحواس، وهو الأمر الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ولا يعلمه الرسول ρ فضلا عن بقية الناس إلا من أطلعه الله على شيء منه."[2]

والغيب المقصود بالدراسة هو: ما ورد ذكره في سورة غافر مما لا تدركه الحواس، ولكن الله أخبر به في السورة الكريمة (أركان الإيمان الست).

ثانيا: تعريف المشهد

لغة: (ش هـ د) الشهادة خبر قاطع، تقول شهد على كذا من باب سلم، والمشاهدة المعاينة وشهده شهودا أي حضره، فهو شاهد، وقوم شهود أي حضور.[3]

اصطلاحا: "هو ضد الغيب، وهي الأمور التي يشاهدها الناس ويتوصلون إلى علمها "[4]

والمشهد المقصود بالدراسة هو: الأمور التي ذكرت في سورة غافر والتي يشاهدها الناس أو يتوصلون إلى علمها، والتي تكون سببا في الإيمان بالغيب.

المطلب الثاني: أهمية منهجية الربط بين الغيب والمشهد في الإصلاح

قال الشيخ الشعراوي –رحمه الله –: "إن الحق سبحانه وتعالى يريد في دينه ثلاثة أمور: عقائد، وأحكام ومادة تؤدي هذه العقائد والأحكام وهي كلامه في القرآن، وكل من هذه الثلاثة فيه غيب وفيه مشهد.

فالعقائد وأولها الإيمان بالله وهو غيب لكن يمكنك الوصول إليه والاستدلال عليه بالمشاهد من مخلوقاته وعظيم صنعته وهندسته في الكون المرئي، لأن هذا الكون البديع لم يدع أحد خلقه ولم ينسبه لنفسه

---

[1]- الراغب الأصفهاني: مفردات عريب القرآن، تحقيق محمد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ص 1090.

[2]- يحي مراد: عالم الغيب بين الوحي والعقل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د ت، ص 14.

[3]- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1420هـ - 1999م، ص 169.

[4]- المرجع نفسه، ج7، ص 309.

إذن هو لله وحده، إذن نصدق هذا الغيب بالمشاهد أما الغيب الذي ليس له مشهد كالصفات التي للحق سبحانه فنأخذها مما نسمع من كلامه سبحانه.

كذلك الفرائض والأحكام فيها مشهد وفيها غيب فالصلاة والزكاة والحج والصيام كلها مشهد، وفيها غيب لا نعرف حكمته حتى الآن فالصلاة فيها استطراق عبودية، والصيام فيه استدامة التكليف والزكاة لاستطراق المال في المجتمع والحج لإعلان الولاء للبيت الذي هو بيت الله هذه الأمور تستطيع أن تعرفها بالعقل، لكن ما الحكمة مثلا من جعل الصبح ركعتين والظهر أربعا والمغرب ثلاثا والعشاء أربعا هذه لا نعرفها.

إذن: مع كل غيب مشهد، ومع كل مشهد غيب، كذلك كلام الله تعالى فيه غيب وفيه مشهد، أما المشهد فهو الكلام الذي نعرف ونقرؤه ونسمعه ونكتبه ونعرف معناه وتفسيره، وفيه غيب كما في (الم، ن، ق، ص)

فكل غيب محروس بمشهد يساعدنا على الإيمان بالغيب لأن المسائل كلها لو كانت مشهدا ما كان للإيمان مجال. فالإيمان محله الغيب.

لكن هذا الغيب لابد أن تكون له شواهد من المشاهدة ومقدمة تؤدي إليه، مثلا رحلة الإسراء والمعراج. هذا غيب لم يره أحد غير سيدنا رسول الله ﷺ رحلة الإسراء كانت رحلة أرضية ورحلة المعراج كانت رحلة سماوية، الناس شاهدت ما على الأرض من معالم لكن لم تشاهد ما في السماء.

لذلك لما أراد سيدنا رسول الله أن يقدم لهم دليلا على صدقه وصف لهم معالم رآها على الأرض فوصف لهم بيت المقدس.

والقبيلة التي رآها مسافرة ومتى ستصل وأن بها جملا صفته كذا وكذا فهذه رحلة أرضية من الممكن أن يقام عليها دليل.

وبصدقه ﷺ فيما أخبر من مشاهدات أرضية صارت هذه الرحلة مشهدا ووسيلة لتصديق المشهديات المخالفة للقوانين، فإن أخبر أنه صعد إلى السماء فصدقوه وأخذوا من صدقه في المشاهد دليلا على صدقه فيما غاب، لأن كل غيب محروس بمشهد".[1]

[1]- الشعراوي. تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 13272-13274.

المطلب الثالث: منهجية الربط بين الغيب والشهادة في أركان الإيمان من خلال السورة

لقد أولى الرسول ﷺ الإصلاح العقدي العناية البالغة، فقد دعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد وإلى نبذ الشرك، وحثهم على التوحيد باعتباره جوهر الإيمان وروحه، وهو جوهر كل الرسالات السابقة.

كما تضمنت السورة الكريمة قضايا الإيمان الأخرى، وقد جاءت بالأدلة التي تبرهن صدق هذه القضايا العقيدة، وذلك من خلال الربط بين الغيب بما يدل عليه من مشهد.

أولا: الإيمان بالله تعالى

إن سورة غافر نزلت لتعرف الناس على الله سبحانه وتعالى، ولهذا جاءت متضمنة لكل أنواع التوحيد: (الألوهية، الربوبية، الأسماء والصفات).

قال تعالى: ﴿**حم. تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾

قال سيد قطب –رحمه الله–: "الله سبحانه وتعالى يعرف نفسه لعباده بصفاته، ذات الأثر في حياتهم ووجودهم ويلمس بها مشاعرهم وقلوبهم، فيثير رجاءهم وطمعهم، كما يثير خوفهم وخشيتهم، ويشعرهم بأنهم في قبضته لا مهرب لهم من تصريفه، ومن هذه الصفات:

العزيز: القوي القادر الذي يغلب ولا يغلب، والذي يصرف الأمر لا يقدر عليه أحد، ولا يعقب عليه أحد.

العليم: الذي يصرف الوجود عن علم وعن خبرة فلا يخفى عليه شيء، ولا يند عن علمه شيء.

غافر الذنب: الذي يعفو عن ذنوب العباد، بما يعلمه –سبحانه– من استحقاقهم للغفران

قابل التوب: الذي يتوب على العصاة، ويتقبلهم في حماه، ويفتح لهم بابه بلا حجاب.

شديد العقاب: الذي يدمر على المستكبرين ويعاقب المعاندين، الذين لا يتوبون ولا يستغفرون.

ذي الطول: الذي يتفضل بالإنعام ويضاعف الحسنات ويعطي بغير حساب.

لا إله إلا هو فله الألوهية وحده لا شريك له فيها ولا شبيه.

إليه المصير: فلا مهرب من حسابه ولا مفر من لقائه، وإليه الأوبة والمعاد.

وهكذا تتضح صلته بعباده وصلة عباده به، تتضح في مشاعرهم وتصوراتهم وإدراكهم فيعرفون كيف يعاملونه في يقظة وفي حساسية وفي إدراك لما يغضبه وما يرضيه وقد كان أصحاب العقائد (وما زال) يعيشون مع آلهتهم في حيرة لا يعرفون عنها شيئا مضبوطا ولا يتبينون ماذا يسخطها وماذا يرضيها ويصورونها متقلبة الأهواء، غامضة الاتجاهات، شديدة الانفعالات ويعيشون معها في قلق دائم يتحسسون مواضع رضاها بالرقى والتمائم والضحايا والذبائح ولا يدرون سخطت أم رضيت إلا بالوهم والتخمين، فجاء الإسلام واضحا ناصعا، يصل الناس بإلههم الحق، ويعرفهم بصفاته، ويبصرهم بمشيئته ويعلمهم كيف يتقربون إليه وكيف يرجون رحمته ويخشون عذابه على طريق واضح قاصد مستقيم" [1].

ومن الآيات الكونية المشاهدة والدالة على وجوده:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾

أي "أن الله يريكم الآيات الكونية لتؤمنوا بالإله ويريكم المعجزات على أيدي الرسل، ثم ينزل لكم آيات الأحكام التي تحمي أديانكم وعقائدكم لأنني كما حميت أبدانكم بما أنزلت من ماء السماء وما نشأ عنه من رزق لكم تقتاتون به وتعيشون عليه فكذلك خذوا مني الشيء الآخر الذي جعلته لقوام أديانكم وهو الأحكام التي تحمي عقيدتكم في الحركة الحكمية بافعل ولا تفعل.[2]

ومن آياته الكونية:

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم

---

[1]- سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 3068-3069.

[2]- الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 13323.

﴿مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

إن "الطريق التي سلك الشرع بالناس في تقرير هذا الأصل هي من الطرق البسيطة القليلة المقدمات التي نتائجها قريبة من المقدمات المعروفة بنفسها".[1]

ذلك أنه إذا تؤملت الآيات التي تضمنت هذا المعنى وجدت تلك الطرق هي: " طريق العناية، وهي إحدى الطرق الدالة علة وجود الخالق تعالى، ذلك أنه كما أن الإنسان إذا نظر إلى شيء محسوس فرآه قد وضع بشكل ما وقدر ما ووضع ما موافق في جميع ذلك للمنفعة الموجودة في ذلك الشيء المحسوس والغاية المطلوبة حتى يعترف أنه لو وجد بغير ذلك الشكل أو بهير ذلك الوضع أو بغير ذلك الوضع أو بغير ذلك القدر، لم توجد فيه تلك المنفعة علم على القطع إن لذلك الشيء صانعا صنعه ولذلك وافق شكله ووضعه وقدره تلك المنفعة"[2]

كل هذه البينات وأخرى تضمنتها سورة واحدة تجيب الناس عن سؤالهم لرسول الله ﷺ عن "من هو ربك الذي تؤمن به وتأمرنا بالإيمان به؟" فجاءت هذه السورة بالأدلة الكثيرة التي يفترض أن تجعل المتلقي يعرف ربه ويؤمن به وبوحدانيته.

ثانيا: الإيمان بالملائكة

إن الإيمان بالملائكة ثاني أركان الإيمان، وهذا الإيمان "ينتظم في معان: أحدهما التصديق بوجودهم، والثاني: إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقته كالإنس والجن، مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل".[3]

لقد تضمنت السورة الكريمة الحديث عن الملائكة التي تقوم بوظائف مختلفة:

---

[1]- محمد ابن رشد: فلسفة القاضي ابن رشد، مطبعة اجمالية، مصر، ط2، 1328هـ – ص 80.

[2]- محمد جمال الدين القاسمي: دلائل التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، د ت، ص 33.

[3]- جلال الدين السيوطي: الحبائك في أخبار الملائك، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ 1985م، ص 9.

ـ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ...﴾

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾

ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ. قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

إن الأدلة التي يمكن استنباطها من الآيات حول وجود الملائكة والتي يمكن للناس مشاهدتها هي:

ـ **الوحي المنزل على الرسول** ﷺ: وذلك من خلال قوله تعالى: " يلقي الروح" قال ابن كثير: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (**النحل: 2**) وكقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: **192-194**).

"إن وصول الوحي إلى الأنبياء والمرسلين، إذ كان غالبا ما يصلهم بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام الملك الموكل بالوحي، وهذا أثر ظاهر لا ينكر، وهو مثبت لوجود الملائكة".[1]

ـ **تأييد المؤمنين في ساحات القتال**: حيث أثبت كتب السيرة ذلك وخاصة في غزوة بدر.

ثالثا: اليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر هو: "الإيمان بكل ما أخبر به النبي ρ مما يكون به بعد الموت، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والنشر والصحف والميزان والحساب والصراط والحوض والشفاعة وأحوال الجنة والنار وما أعد الله لأهلهما اجمالا وتفصيلا".[2]

لقد ورد ذكر هذا الركن بكثرة في هذه السورة الكريمة، وقد تم ذكره عبر تسميته بتسميات مختلفة، حيث تحمل كل تسمية وصفا وحقيقة عن ذلك اليوم:

ـ**يوم التلاق**: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾

---

[1]- أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، دار الفكر، بيروت، ط8، 1396هـ - 1976م، ص 25.

[2]- عبد العزيز المحمد السلحان، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ط 12، 1403هـ - 1983م، ص 261.

ـ **يوم الجزاء:** ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

ـ **يوم الآزفة:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾

ـ **يوم الحساب:** ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾

ـ **يوم التناد:** ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾

ـ **الساعة:** ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

ـ **يوم يقوم الأشهاد:** ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

ـ **يوم لا ينفع الندم والمعذرة:** ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾

لقد تضمنت السورة الكريمة هذه الأوصاف للدلالة على اليوم الآخر، كما تضمنت السورة مشاهد تعرض فيها الأحداث مما يجعلها واضحة وبينة.

ومن المشاهد التي ذكرت في السورة: قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ. وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ. قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

إن استحضار المشهد الحاصل بين أهل النار بهذه الطريقة يجعل القارئ يعيش ويستشعر الأحداث، "إن طريقة التصوير هي أجمل طرائق التعبير، وأفضلها في الفن والدين، ويكفي لهذا الفضل أن نتصور المعاني في صورتها الذهنية التجريدية وأن نتصورها بعد ذلك في صورتها التصويرية التشخيصية، إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي، وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة، وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى: من الحواس بالتخييل والإيقاع، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها الوحيد، ولهذه الطريقة فضلها ولاشك في أداء الدعوة لكل عقيدة". [1]

[1]- سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 16، 1427هـ - 2006م، ص 8_9

ومن الأدلة الدالة على البعث قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾

فكما أن الله خلق وأحيا في المرة الأولى فهو القادر سبحانه على إعادة الإحياء للمرة الثانية، وذلك من أجل الحساب والقضاء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

المطلب الرابع: منهجية الربط بين الغيب والشهادة في مصير الأمم السابقة من خلال السورة

قال تعالى: ﴿﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقال على لسان الرجل المؤمن: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

وتضمنت سورة غافر دعوة الناس إلى إصلاح أحوالهم حتى لا يصيبهم ما أصاب غيرهم من أخذ بسبب الكفر والجحود والظلم.

لقد أكد علماء الآثار بالبحث العلمي التطابق الكلي بين الوصف القرآني والآثار المتبقية لتلك الأمم، حيث أن "الدارس للآيات القرآنية المتعلقة بقصص الأمم البائدة عندما يمعن النظر في الوصف القرآني للأماكن التي سكنها هؤلاء الأقوام يتوصل لحقيقة قطعية أن هذا الوصف لا يمكن أن يصدر عن بشر كسيدنا محمد ρ لما فيه من معلومات دقة بالغة لا يمكن أن يفطن لها البشر خاصة إذا مروا بتلك الأماكن مرورا عابرا، ولقد أشار القرآن الكريم إلى إبراز أثر ثلاث أمم بائدة وهي عاد وثمود والفراعنة، فأما أبرز أثار عاد فهي مدينة إرم المجهولة، وأما ثمود فقد اشتهروا ببناء بيوتهم في داخل صخور الجبال وأما

الفراعنة فآثارهم معروفة في مصر"[1].

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

_ الربط الرباني بين مشاهد الدنيا والآخرة يعين الإنسان على الاستخلاف في الأرض، إذ عندما يدرك الإنسان أن أفعاله اليومية وسلوكه العملي مرتبط بالجزاء الأخروي، فإن هذا الوعي يوجه حركته في الأرض وفق منهج الله تعالى، فيتحقق معنى الاستخلاف الرشيد، فالمؤمن لا يرى الدنيا منفصلة عن الآخرة، بل يعتبرها مزرعة للحصاد الأخروي مما يفرض عليه الانضباط بالقيم الشرعية.

_ الانتقال من المشاهد الحسية الملموسة إلى المشاهد المعنوية الروحية والفكرية تصنع الإنسان الناجح المذكور في القرآن، فالنجاح في القرآن ليس نجاحا ماديا صرفا، بل هو نجاح شامل يجمع بين إصلاح الداخل (النفس والعقل)، وإصلاح الخارج (العمل والسلوك).

وهذا النجاح يتحقق عندما يتجاوز الإنسان ظاهر المشاهد إلى بواطنها الروحية، فيربط بين دلالات الكون والآخرة، وبين الأسباب والنتائج.

_ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، وإدراك حقيقة الدنيا يحمي العبد المستخلف من الغرور بالسلطة أو المال أو الجاه، ويجعل نظره دائما معلقا بالدار الآخرة، فيعمر الأرض بقيم العدل والرحمة والحق، لا بمطامع زائلة.

_ الإيمان بالغيب ينافي المادية المجردة التي تروج للإلحاد باسم العلم التجريبي، فالإيمان بالغيب يفتح للإنسان بابا لفهم ما وراء المادة، فيدرك أن العلم التجريبي مهما بلغ لا يكفي لتفسير الوجود بأبعاده الغائية والروحية، بهذا يصبح الغيب سياجا يحمي من الانحدار نحو الإلحاد الذي يروج للمادية على أنها العلم النهائي، ومن الفكر المادي المعاصر الذي يقصر المعرفة على التجريب الحسي، ويرفض كل ما لا يخضع للقياس والمشاهدة.

هذا التصور الذي يجعل الإنسان أسيرا للظواهر، ويغفل عن الحقائق الوجودية الكبرى كالخالق والبعث الحياة الأخروية.

أما القرآن الكريم فيقدم رؤية شمولية يقر بالحس والتجريب كوسيلة لمعرفة سنن الكون، لكنه لا يحصر

---

[1]- حمزة الجبالي: الإعجاز الغيبي والتاريخي في القرآن والسنة النبوية والكتب السماوية، دار الأسرة، الأردن، ط1، 2016م، ص 4.

الوجود فيها، بل يوسع أفق المعرفة ليشمل الغيب الذي يحقق التوازن بين العقل والوحي.

_ المنكرون للغيب آلاتهم معطلة وقلوبهم عاطلة، فإنكار الغيب يعني إغلاق أهم منافذ المعرفة التي وهبها الله للإنسان: العقل السليم، والفطرة النقية، والوحي المنزل.

والقرآن الكريم وصف الكافرين بقوله: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (**الأعراف: 179**).

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن القلوب التي تنكر الغيب تفقد طاقتها الروحية، فلا تتأثر بالموعظة ولا تهتدي بالآيات، لأنها حجبت بالمادية الضيقة، وقد صور القرآن ذلك بقوله: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (**سورة محمد: 24**)

_ الدلائل والشواهد الكونية باب من أبواب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم التي تخاطب الإنسان من منظور عقلي للوصول به إلى الإيمان بالغيب، فعرض الدلائل الكونية في القرآن ليس عاطفيا فقط، بل هو برهان عقلي يقود الإنسان للتأمل والاستنتاج.

وهنا يلتقي العقل بالحس، لكن النتيجة التي يريدها القرآن تتجاوز حدود المادية إلى الإيمان بالغيب.

_ أهمية محاورة الملحدين واقناعهم من خلال استعمال المنهجية القرآنية المتعلقة بربط مشاهد الغيب بالشهادة لإقامة الحجة والبرهنة، لأن محاورة الملحدين بالمنهجية القرآنية القائمة على ربط الغيب بالشهادة تعد وسيلة إصلاحية عميقة، إذ تقيم عليهم البرهان من جنس ما يسلمون به (المحسوس والعقل) لتقودهم إلى ما ينكرونه (الغيب)، وبذلك تتحقق إقامة الحجة الشرعية والعقلية معا.

_ الملاحدة تظهر لديهم في الغالب اضطرابات نفسية وميل الى الاستعراض لجذب أنظار الآخرين، وليكونوا محط اهتمام الآخرين بمعاداة الأديان والكفر بالله، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى على لسان فرعون: "يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب"، فالكثير من المنكرين للغيب لا ينطلقون من برهان عقلي خالص، بل من دوافع نفسية كالغرور، وحب الظهور، والرغبة في مخالفة المألوف لجذب الأنظار، وهذا ما تشير إليه الدراسات النفسية الحديثة التي تبين أن الإلحاد عند بعض الأشخاص يتغذى من فراغ روحي ومن نزعة استعراضية.

المبحـــث الثـــــاني: منهجية المعجزة

تمهيد:

جعل الله عز وجل معجزة القرآن معجزة خالدة، فكلما تقدم وتطور العلم زاد بيان إعجازه أكثر، وذلك لما يحمله من علم دقيق في كل المجالات سواء المتعلقة بالإنسان أو الكون أو إلى غير ذلك، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ (الإسراء: **88**).

وأسلوب الإعجاز هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ 23 فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: **24/23**).

المطلب الأول: تعريف المعجزة

لغة: عجز عن الأمر ويعجز عجزا وعجوزا وعجزانا فهو عاجز من، وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه وأعجزه أي صيره عاجزا..

ومعجزة النبي ρ: ما أعجز به الخصم عند التحدي والجمع معجزات.[1]

اصطلاحا:

إن مصطلح المعجزة لم يذكر في القرآن الكريم، وإنما استعملت مصطلحات أخرى للدلالة عليها مثلا:

ـ البينة: ﴿**قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ (**غافر: 50**)

ـ الآية: قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ (**غافر: 78**).

ـ البرهان: ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ (**القصص: 32**).

وغيرها من المصطلحات القرآنية.

أما المعجزة كمصطلح فقد أطلقت على " **الأمر الخارق المقرون بالتحدي السالم عن المعارضة**

---

[1]- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، مج 4، ص 53

يظهره الله على يد رسله".[1]

وعليه، المعجزة هي منهجية ربانية لرد عباده عن الضلال إلى الهدى، وقد أيد الله كل رسله بما يناسب زمانهم من معجزات وجعل هذا القرآن هو المعجزة الباقية لكافة الناس إلى يوم الدين.

المطلب الثاني: علاقة المعجزة بالإصلاح

لقد وردت في السورة الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل ومعهم البينات الدالة على صدقهم، قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ. قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾

لقد دلت آيات السورة الكريمة أنه ما من رسول إلا وأيده الله بالآيات، "فبما أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الرسل بشرا يوحى إليهم، كانت الحاجة إلى آيات ودلائل تبين صدقهم فيما يبلغون عن ربهم، وتقيم الحجة على الناس، لذا كانت المعجزة قرينة الرسالة، ولولا المعجزة لأشكل الأمر على الناس والتبس أمر الصادق بغيره ولما سلمت الدعوات من مدعين كاذبين، وتأييد الرسول بآية صدق سنة إلهية في رسالات الأنبياء جميعا، والقرآن الكريم يوضح هذه السنة ويقررها، كما وردة في قصص الأنبياء والأمم السابقة ولم يؤاخذ الأقوام عندما طالبوا رسلهم بالآيات الدالة على صدقهم، إنما آخذهم عندما عطلوا ملكاتهم العقلية ولم يتدبروا أصر الحكمة والتدبير فيما حولهم، أو أصروا على نوع معين من الآيات من قبل العناد والجمود على العادات الجاهلية الموروثة من الآباء الذين لم يكونوا على هدى من ربهم".[2]

---

[1]- مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط2، 1416هـ - 1996م، ص 14.

[2]- مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، المرجع السابق، ص 13.

ـ إن شعور العجز عن الإتيان بمثله، في بلاغته، تشريعه أو مغيباته، وفي أخباره، وفي التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف، وفي كل أوجه إعجازه.

إن هذا الإدراك والشعور بالعجز ينبغي أن تنتج عنه حالة إيمان واستسلام، حالة طاعة وخشوع.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: 23).

ـ المسلمون يؤمنون بأن القرآن كتاب الله ومعجزة رسوله ﷺ، لكنه إيمان يزيد بالعلم فكلما كان للإنسان علم كلما أدرك معنى الإعجاز **﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر: 28).**

والعلم شيء مشترك بين الناس، سواء أكان المتدبر في هذا القرآن مسلما أو غير مسلم فإن العلوم والمعارف التي يضمنها حرية بالبرهنة على الصدق.

ـ معرفة الحق من الباطل، والصح من الخطأ، قال تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**

ـ وفي المعجزة أيضا تثبيت للذين اختاروا الهدى والحق، وإعطاءهم القدرة على الصبر.

المطلب الثالث: وجوه الاعجاز الواردة في السورة

ـ **الإعجاز النفسي:** فلا شيء يغرس الطمأنينة والراحة القلبية وتبديد ما في الصدور من قلق واضطراب وخوف. لا شيء يزيل عن القلب ألم الفقد مثل كلام الله عز وجل.

إن الإنسان بالتركيبة التي خلقه الله بها يتغير بكلام الله حتى وإن لم يفهم المراد، وقد أجريت تجارب على غير العرب الذين لا يتكلمون العربية فلوحظ تأثرهم الشديد وحبهم الكبير وإعجابهم الشديد بما سمعوه وأدركوا بفطرتهم أنه ليس بكلام بشر.

ـ **الاعجاز العلمي:** لقد تضمنت السورة آيات عن الخلوق والكون وفيها إشارات ودلالات تتضمن حقائق علمية منها ما كانت مجهولة ثم عرفت بالعلم ومنها ما لا يزال مجهولا لم تصل إليه البشرية بعد.

ومن ذلك قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ**

﴿الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

_**الإعجاز الإخباري**: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله على قلب النبي الأمي ρ فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها والقرون الخالية في دهرها.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

كما تضمنت السورة وجوها أخرى من الإعجاز كالإعجاز العقدي والتربوي ...

المطلب الرابع: منهجية الاعجاز البياني الذي تحدى الله به العرب من خلال السورة

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾

المعجزة تعني أن الرسل ليس بيدهم شيء من الأمر، وأن الآيات من عنده الله وبمشيئته وأمره.

والقرآن الكريم معجزة محمد ﷺ الكبرى.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ. أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: 33_35)

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (هود: 14_15)

وسورة غافر افتتحت بمقاطع الحروف التي تعتبر تحديا واعجازا بذاتها.

ذكر الشيخ الشعراوي –رحمه الله–: "إن الحرف له اسم وله مسمى، نقول: ألف للحرف (أ) وباء للحرف (ب)، أما المسمى لو قلت مثلا (كتب) أنا لا أنطقها كاف تاء باء فهذه أسماء الحروف إنما أنطقها كتب وهذا هو المسمى: مسمى الكاف كَ، ومسمى التاء تَ، ومسمى الباء بَ، إذن: نحن في

كلامنا ننطق بمسمى الحروف.

لكن في (حم) ننطق باسم الحرف فنقول ح م ولو نطقنا المسمى لقلنا حمَ ومن هنا تأتي أهمية السماع في قراءة القرآن فبالسماع تقرأ في أول البقرة (الم) هكذا ألف لام ميم في حين تقرأ نفس الحروف في سورة الشرح "ألم نشرح لك صدرك" ولولا السماع ما كنا نعرف هذا النطق.

بعض العلماء أخذوا يحومون حول معاني هذه الحروف في أوائل السور فقالوا: القرآن معجز لأمة العرب ولما نبغ العرب في البيان والفصاحة جاءت المعجزة من جنس ما نبغوا فيه ليكون الإعجاز في محله، وإلا فليس هناك أمة من الأمم جعلت للكلمة أسواقا ومعارض كما فعل العرب في عكاظ والمربد وذي المجاز وغيرها، وكان تحدي القرآن لهم عين الشهادة بتفوقهم في هذا الميدان، وأنهم حجة فيه.

لكن من أين أتى إعجاز القرآن؟ وبم تميز عن كلام العرب والحروف هي الحروف والكلمات هي الكلمات؟

قالوا: حروف اللغة منها حروف مبنى أي تبنى الكلمة وهذه الحروف ليس لها معنى في ذاتها وحروف معنى وهي حروف لها معنى وحدها، فمثلا الكاف حرف مبنى لأنه يدخل في بناء كلمة كتب، ولو أخذ الكاف من كتب ما كان لها معنى وحدها، أما الكاف في الجندي كالأسد فهي حرف معنى أفاد وحده معنى التشبيه ولم يدخل في بناء كلمة الأسد، كذلك الباء حرف مبنى في كتب وحرف معنى في (بالله) لأنه أفاد معنى القسم.

ومن هذه الحروف تتكون الكلمات، ومن الكلمات تتكون الجمل والعبارات، والعبارات تكون الأسلوب والأداء المتميز الجذاب الذي يستميل الأذن ويؤثر في النفس، ومن هنا تأتي بلاغة الكلام وفصاحته حين يكون موافقا لقواعد اللغة، فإذا كانت الحروف العربية والكلمات هي هي في القرآن، فبم تميز عن كلام العرب؟ قالوا تميز بنسيجه الخاص، وأن الذي تكلم به هو الله سبحانه.

إننا إذا أردنا أن نختبر جماعة من النساجين في جودة النسج ورقته لا يصح أن نعطي أحدهم خيوط الصوف والآخر القطن والآخر الحرير لأن المادة الخام مختلفة فلا نستطيع تمييز الأجود، بل لابد أن تكون المادة واحدة ليتم التمييز.

فمعنى "حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم "أو "حم والكتاب المبين" الدخان أو "الم ذلك

الكتاب لا ريب فيه " أي من هذه الحروف تكون القرآن وأعطى سر الإعجاز والتحدي لأن الله تعالى هو الذي نطق به وبلغه رسوله وهو رسول أمي لا يعرف القراءة أو الكتابة.

لذلك نطق بالقرآن كما أوحى إليه لم يغير فيه حرفا واحدا لذلك كانت الأمية عيبا وقبحا إلا في رسول الله كانت شرفا وميزة وكأنه يقول بأميته: أنا لم أتعلم من أحد شيئا وكل ثقافتي من ربي."[1]

النظام الموجود في الحروف المقطعة:

قد تأتي الحروف المقطعة فنقول: قد تأتي هذه الحروف على حرف واحد مثل (ق، ص) وعلى حرفين مثل (طس، حم) وعلى ثلاثة أحرف مثل (طسم، الم) وعلى أربعة أحرف مثل (المص، المر) وعلى خمسة أحرف مثل (كهيعص) إذن ليس لها نسق واحد.

وحين نتأمل مجموع هذه الحروف نجده أربعة عشر حرفا يعني نصف حروف الهجاء الثمانية والعشرين، كونه يأتي بالنصف بالذات يعني أنها مسألة مقصودة لم تأت هكذا كما اتفق، ودليل أن هذه الحروف الأربعة عشر تصرفت تصرفا يوحي بأن لها ملحظا وحكمة ولم تأت اعتباطا فهذه الحروف الثمانية والعشرون منها تسعة حروف من أول ألف باء إلى حرف الذال لم يأخذ منها في الحروف المقطعة إلا حرفين هما الألف والحاء وترك الباقين وهي سبعة أحرف.

ثم تأمل التسعة الأحرف الأخيرة تجد أن الحق سبحانه أخذ منها سبعة أحرف وترك حرفين على عكس الأولى فأخذ منها: القاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والياء وترك الفاء والواو. هذه ثمانية عشر حرفا، يبقى العشرة الأحرف في الوسط وتبدأ من الراء إلى الغين.

ونلحظ في هذه الأحرف أنه أخذ الحروف غير المنقوطة وترك الحروف المنقوطة أخذ الراء وترك الزاي، وأخذ السين وترك الشين، وأخذ الصاد وترك الضاد، وأخذ الطاء وترك الظاء، وأخذ العين وترك الغين.

إذن هذا النظام في الحروف المقطعة دل على أنها ليست على نسق واحد وأن لها حكمة مقصودة ولم تأت هكذا اعتباطا وعلينا نحن أن نستنبط هذه الحكم ونفهم هذه الدلالات كل حسب ما تيسر له.[2]

---

[1]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 13267- 13269

[2]- الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 13271-13272.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

_ **إن الهداية بيد الله وحده،** فالمعجزات مهما بلغت لا تؤثر ما لم يفتح القلب للحق، وهذا يربي المؤمن على التوكل على الله لا على الوسائل الظاهرة.

_ **التحذير من داء الكبر والاستكبار،** ففرعون وقومه رأوا المعجزات ومع ذلك كذبوا، مما يعلم العباد أن أخطر ما يصدهم عن الحق هو الكبر لا الجهل.

_ **إن توافق الإشارات العلمية القرآنية مع العلم الحديث يقدح في قلب العلماء _وإن كانوا غير مسلمين_ شرارة الإيمان،** فالقرآن الكريم حين يقدم إشارات علمية دقيقة لم تكتشف إلا مؤخرا، فإنه يثير الدهشة المنهجية في عقل العلماء والباحثين، ويزرع في قلوبهم بذرة الإيمان _حتى لو لم يسلموا مباشرة – لأنه يكشف أن مصدر هذا الكتاب لا يمكن أن يكون بشريا.

_ **إن من حكمة الله تعالى أن تختلف أصناف المعجزات باختلاف أصناف البشر،** فمعاملة الناس تكون بما يفهمونه، وعلى قدر عقولهم واهتماماتهم.

المبحث الثالث: منهجية الإمهال قبل الأخذ

تمهيد:

يبرز القرآن الكريم من خلال سورة غافر سنة إلهية ثابتة، وهي أن الله تعالى لا يعاجل عباده بالعقوبة عند أول مخالفة، وإنما يملي لهم ويمهلهم مهلة كافية، لعلهم يرجعون ويتوبون، ويستجيبون لنداء الإصلاح والتوبة، وهذا الإمهال ليس عن عجز، بل هو إمهال رحمة وعدل وحجة، إذ يعطي الله للإنسان فرصة زمنية يراجع فيها نفسه ويصلح سيرته وأعماله، حتى إذا انتهت المهلة وبقي الإصرار والعناد، جاء الأخذ الإلهي أخذا شديدا لا مرد له.

المطلب الأول: تعريف مصطلحي الإمهال والأخذ

أولا: تعريف الإمهال

لغة: الإمهال مأخوذ من مادة مهل، وأصلها يدل على الترفق والتأني وإعطاء الفرصة، يقال: أمهلته:

أي أنظرته ولم أعاجله و"المهلة" هي المدة التي يترك فيها الإنسان ليتدارك أمره من غير استعجال.[1]

اصطلاحا: "الإمهال هو تأخير العقوبة أو الجزاء مع بقاء الاستحقاق له، تفضلا من الله تعالى ورحمة، ليتاح للعبد أو الجماعة فرصة للتوبة والرجوع والإصلاح قبل حلول الأخذ والعقاب".[2]

ثانيا: تعريف الأخذ

لغة: الأخذ في اللغة ضد العطاء، وهو القبض على الشيء والاستيلاء عليه. يقال: أخذت الشيء إذا قبضته وامتلكته، ويستعمل الأخذ مجازا في معنى العقوبة والانتقام.[3] كقوله تعالى: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (**سورة العنكبوت: 40**).

اصطلاحا:

الأخذ هو الإهلاك، يقول ابن كثير في تفسير قوله: " أخذتهم: أي أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام".[4]

المطلب الثاني: الحكمة من هذه المنهجية

إن خالد بن الوليد الذي هُزم المسلمون على يديه يوم أحد هو نفسه القائد الذي سل الله ورسوله على الكفار والمرتدين، وهكذا كانت العناية الربانية مصاحبة له ولكل الناس، فالله عزوجل لا يستعجل عباده بالأخذ وإنما يمهلهم لما فيه من حكم ورحمة للناس كافة.

ومن هذه الحكم:

ـ **إعطاء فرصة للناس للتوبة:** فلو أن الله آخذ عباده بما يقترفون من معاصي أو آثام في لحظتها لكانت البشرية قد انقضت أو أنها لم يكن ليكون لها قائمة.

فحتى أبو البشر آدم عليه السلام قد خالف أمر ربه وأكل من الشجرة، ومع ذلك فقد أمهله الله

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (مهل)، ج 11، ص 630.

(2)- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 45.

(3)- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (أخذ)، ج1، ص 48.

(4)- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج7، ص 129.

فتاب وأحسن المتاب إلى الله.

ـ إقامة الحجة: ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ**﴾ عن الفرصة التي يبحث عنها أهل النار وهم في العذاب لن ينالوها لأنهم أعطوا فرصة الإمهال في الدنيا وأرسل الله لهم الرسل مصحوبين بالبراهين لكنهم لم يهتدوا ولم يرتدعوا عن الغي. قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾

ـ شدة العقاب: إن عقاب الله شديد، ﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾

قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾

ـ الإمهال ابتلاء واختبار لنفوس المسلمين: هل يثبتون ويصبرون أم يفتون ويجهلون، ففي الوقت الذي كان رسول الله ﷺ وأهله وعشيرته وأصحابه لا يجدون ما يأكلون، وكانوا يلاقون صنوفا شتى من العذاب، كان أهل قريش يتقلبون في البلاد، تجارة وسياحة، قال تعالى: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾

ـ مواساة الرسول ﷺ من خلال ذكر تجارب السابقين: إن التكذيب والمعاداة سنة الذين سبقوا، فلم يجئ نبي بمثل ما جاء به إلا عودي واضطهد واخرج من دياره، فإخبار الله تعالى لنبيه أن الإمهال لا يعني الإهمال وأن سنة النصر التي رافقت سيدنا نوح ومن بعده من الرسل ثابتة لا تبديل لها ولا تحويل.

ـ مواساة المؤمنين الصادقين: الذي جاهدوا في الله حق جهاده وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس، أن تقلب الطغاة في الأرض لا يعني عدم زوالهم، فكما أن الله أمهل فرعون وقارون وهامان وقبلهم النمرود ومن حذى حذوهم في الجبروت. كلهم أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك الحال مع طغاة العصر فهم إلى نفس المصير.

ـ إنذار من يسئ الظن بالله بأن أهل الضلال هم أهل الفوز، وأن الحرام مصيره إلى زوال ونقمة ومصير الحلال البركة: ونضرب في ذلك مثلا عن الكسب الغير شرعي: فالله لعن الراشي والمرتشي ولكنه أمهلهم قبل أن يحاسبهم ومن اعتقد من في الرشوة ربح سريع فقد اغتر بما رأيته عيناه وغفل عن سنة الله.

إن قارون كان من أغنى الرجال في التاريخ وقد كان الناس يشعرون بالذهول أمام تلك الثروات ولكن

في لحظة زال كل شيء إذ خسف الله به الأرض وبأملاكه في رمشه عين.

ـ **إن في منهجية الإمهال قبل الأخذ تمحيص واصطفاء:** فلا يبقى في الصف إلا الصادقون، وكما قالت العرب: "الضد بالضد يتضح" والمنافق بالفتن يفتضح.

ـ **خدمة القضية:** إن الله عندما يمهل الطغاة والضالين فهم بين أمرين: إما يهتدوا ويتوبوا ويخدموا الأمة والدين طوعا، وإما يسترون في طغيانهم يعمهون ويخدمون الدين من حيث لا يشعرون إذ بسببهم تتوحد الصفوف ويعود الناس لرب العالمين، ويقدمون في سبيل كل الحلول.

ـ **الصيرورة: إن** القوة لله ومهما كانت الأرقام خيالية فإن الله يقل للشيء كن فيكون، وكما زالت عاد التي لازلت الآثار تشهد على قوتها فكذلك تزول أمريكا وما يعرف بدولة إسرائيل وكل الدول الجائرة.

المطلب الثالث: منهجية الإمهال قبل الأخذ في عهد الرسول ﷺ

إن الصراع بين الحق والباطل بدأ مع الدعوة المحمدية مباشرة، وهذه سنة الله في الخلق فما أوتي أحد بمثل ما أوتي محمدا ﷺ إلا كذب وعودي.

وقد أمهل الله الكافرين بالرغم من طغيانهم وتجبرهم، فقد ساموا رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أصنافا من العذاب.

وكانت عاقبة هؤلاء اثنان لا ثالث لهما:

ـ **الهداية:** قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (**القصص: 56**).

إن الرسول ﷺ ومن تبعه في سلك الدعوة والإصلاح لا يستطيعون خلق الإيمان في قلوب الناس، ولا يملكون علم الغيب بمن سيمن الله بالهداية، فالأمر كله لله سبحانه وتعالى.

والله لا يظلم عنده أحد، ومن رحمته سبحانه أنه يمهل عباده ويقيم عليهم الحجة، وهناك من يتغلب على شيطانه ويهتدي إلى الحق ويكن جنديا من جنود الله، عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخالد بن الوليد عمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم الذين كان إسلامهم فتحا للأمة.

ـ **الأخذ والعقاب:** في الوقت الذي اهتدى فيه عمر بن الخطاب وغيره إلى الإسلام أصر عمرو بن

هشام (أبو جهل) وأبو له بعقبة بن أبي معيط وغيرهم على الطغيان بل وأسرفوا حتى دعا عليهم رسول الله ﷺ.

روى البخاري في صحيحه: عن عبد الله قال:

" رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، وجمع قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به، ثم يمهله، حتى إذا سجد، وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام، وهي جويرية، فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجدا، حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: (اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش). ثم سمى: (اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد). قال عبد الله: فوالله، لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: (وأتبع أصحاب القليب لعنة)".[1]

المطلب الرابع: منهجية الإمهال قبل الأخذ عند الأمم السابقة من خلال السورة

هنا جاءت الآيات البيانات لتخبرهم بأن دوام الحال من المحال، وأن الله سيأخذهم أخذ عزيز: قال سبحانه: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ 196مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ (**سورة آل عمران 197/196**). وقال تعالى: ﴿**نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ (**سورة لقمان، 24**).

وقال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾.

أولا: قوم نوح عليه السلام:

نوح عليه السلام من أولي العزم كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾ (**الشورى: 13**).

---

[1]- صحيح البخاري، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الأذى، ج1، ص 194. (رقم الحديث: 498).

وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما. يدعوهم إلى توحيد الله ونبذ كل ما سواه من الأصنام ومع ذلك لم يؤمن معه إلا القليل، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود: **40**)

وقد وصفوا الأرذلون، فقد قال الملأ من الكفار من قوم نوح: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود: **27**)

أي" أنهم وصفوا من آمنوا بنوح بأنهم نفاية المجتمع، وفي موضع آخر قالوا: "واتبعك الأرذلون" ولم ينف نوح عليه السلام، لأن الذين اتبعوه قد يكونون من الضعاف وهم ضحايا الإفساد، لأن القوي في المجتمع لا يقربه أحد، ولذلك فإنه لا يعاني من ضغوط المفسدين بعكس الضعاف الذين يعانون مع المفسدين، فما إن يظهر المخلص لهم من المفسدين فلا بد أن يتمسكوا به، ولكن ذلك لا يعني أن الإيمان لا يلامس قلوب الأقوياء بدليل أن البعض من سادة وأغنياء مكة استجابوا للدعوة المحمدية مثل أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمان بن عوف رضوان الله عليهم.

لكن الغالب في دعوات الإصلاح أنه يستجيب لها المطحونون بالفساد، وهم ضعاف الناس، فما إن يظهر داعية الإصلاح حتى يلتفون له ويتعاطفون معه، إذن فكل رسول إنما يأتي في زمن فساد، يأتي الرسول وكأنه ثورة على الطغيان والفساد.[1]

وقد جاءهم نوح عليه السلام بالأدلة والبراهين القاطعة على وحدانية الله تعالى، وقد جادلهم في ذلك حتى ملوا، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (هود: **32**)

أي طلبوا منه أن ينزل عليهم العذاب الذي يعدهم به وأنذرهم به، لأنهم استبطأوا مجيء هذا العذاب مستهزئين.

لكن نوحا عليه السلام لا يملك ذلك فملك وأمر ذلك بيده الله وحده، فهو الذي يقدر

[1]- انظر محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق.

العذاب ويقدر له الميعاد.

وبعد ألف عام إلا خمسين جاء الأمر بالتوقف عن جدال الكفار، قال تعالى:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (هود: **36**) والابتئاس هو الحزن المحبط أي لا تحزن عليهم فهم قد كفروا وليس بعد الكفر ذنب، ويأمره الله تعالى بأن يصنع الفلك.

قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود: **37**) أي لا تحدثني في أمر المغفرة لمن ظلموا أنفسهم بالكفر فقد استحقوا العقاب (الإغراق).

ونزل وعد الله وأغرق الله القوم الذين كفروا من قوم نوح بالطوفان، وما نجا من الطوفان إلا من ءامن مع نوح ممن ركبوا في السفينة.

ثانيا: قوم هود عليه السلام

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه هودا عليه السلام إلى قومه عاد.

"وعاد نسبة إلى أبيهم الذي كان يسمى بهذا الاسم، وكانت مساكنهم بالأحقاف، جمع حقف، وهو الرمل الكثير المائل، وكان قوم هود عليه السلام يعبدون الأصنام فأرسله الله لهدايتهم".[1]

أرسله الله هاديا مرشدا إياهم إلى ما يؤدي إلى زيادة غناهم وقوتهم، كما حذرهم من سوء عاقبة البطر، وأمرهم بالاستغفار، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: **52**).

لكن عادا قابلوا كل ذلك بالتطاول عليه والسخرية منه، قال تعالى ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: **53**)

كما أنهم أصروا على شركهم وكفرهم فحذرهم هود من سوء عاقبة ذلك، قال تعالى:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

[1]- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م، ج7، ص 221.

حَفِيظٌ﴾ (هود: 57).أي إن توليتم عن دعوتي وأعرضتم عن الحق فإن العاقبة ستكون الخسران وهي الهلاك، وفعلا جاء العقاب وجاء الهلاك، وأمَّا عاد فأُهلِكوا بريح باردة شديدة الهبوب، سلَّطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة، لا تَفْتُر ولا تنقطع، فترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى كأنهم أصول نخل خَرِبة متآكلة الأجواف ذكر الله ذلك في قوله: ﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ**﴾ (الحاقة: 6-8)

فهل ترى لهم من باقية أي لم يبق منهم أحد، ومن جهة أخرى فقد نجى الله هودا والذين ءامنوا معه.

ثالثا: قوم صالح عليه السلام

اختار الله سبحانه وتعالى صالحا عليه السلام للرسالة وبعثه إلى قومه ثمود، يدعوهم إلى التوحيد ويترك ما هم فيه من ضلال وكفر ويذر عبادة الأصنام التي عبدوها من دون الله.

"وصالح عليه السلام كان من أشرف قومه نسبا، عرف بالصدق والأمانة والرشد، لكن قومه انقلبوا عليه لما أخذ في دعوته إلى الله.

وثمود هي قبيلة عربية سكنت شمال جزيرة العرب في منطقة تعرف بالحجر.

وكانت لهم حضارة عمرانية باهرة، فقد أسسوا الأبنية الفارهة المنحوتة، وكانوا يتمتعون بطاقة عقلية متقدمة، يقول تعالى عنهم: ﴿**وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**﴾ (العنكبوت: 38). ومستبصرين تعني ذوي بصائر.

إلا أن الشيطان زين لهم أعمالهم وألهاهم بالشهوات وصدهم عن الحق، فكفروا بأنعم الله وعبدوا الأصنام من دون الله.

وسبب فسادهم أنهم اتخذوا مجلسا مكونا من تسعة أشخاص يقودهم سياسيا لكن هذا المجلس أفسد بدل أن يصلح، وأضل بدل أن يهدي، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ (النمل: 48).

وقد تعددت صور فساد قوم ثمود:

ففي الجانب الديني: اتخذوا الأصنام آلهة وعبدوها من دون الله.

ومن الناحية الأخلاقية: أسرفوا في البذخ والفساد، وأطاعوا أمر المسرفين، وتكبروا ودفعهم غرورهم وتكبرهم للسخرية من صالح وأتباعه.

وكانت بداية دعوة صالح إلى عبادة الله وحده، قال تعال: ﴿۞ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾ **(هود: 61)**.

كما ذكرهم بالنعم التي يتمتعون بها ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ **(الأعراف: 74)** وقال تعالى: ﴿**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**﴾ **(الشعراء: 146-148)**

لكنهم أعلنوا تمسكهم بعبادة الأصنام ولم يتوقفوا هنا، بل أخذوا في سب صالح وإيذائه، فاتهموه بالسحر ﴿**قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ**﴾ **(الشعراء: 153)**.

ورموه بالكذب: ﴿**أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ**﴾ **(القمر: 25)**

وطلبوا منه آية تثبت لهم صدقه فأخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بدعوته، قالوا له ادع ربك يخرج لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء عشراء فإن خرجت صدقناك، فلما خرجت صدقه سيد قومه وطائفة معه، ولم يؤمن الآخرون، قال تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾ **(هود: 64)**.

بظهور الناقة انقسمت ثمود إلى فريقين، فريق ءامن برسالة صالح، وفريق استمر على ضلاله وكفره، وهؤلاء قالوا لصالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين، ومن ضلالهم أخذوا يدبرون لقتل صال ومن ءامنوا معه سرا، ووضع خطة القتل التسعة رهط المذكورون في الآية: ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ **(النمل: 49)**.

ولكن القدر الإلهي كان أسبق منهم فلقد جاء أشقاهم وعقر الناقة وقتلها فنزل وعيد الله فيهم

بعد ثلاثة أيام، إذ جاءتهم صيحة عالية ارتجت لها الأرض. فماتوا جميعا وهم جاثمون على ركبهم.

ونجى الله صالحا والمؤمنين معه، وأبقى الله بيوت ثمود خالية لتشهد عليهم.[1]

قال تعالى: ﴿**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِين. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (النمل: **52**).

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

_ سنة الإمهال قبل الأخذ سنة ثابتة لا تبديل لها ولا تحويل، إذ تقتضي حكمة الله تعالى أن ينذر الأقوام ويمنحهم الفرص المتكررة للتوبة والرجوع، حتى إذا استنفدوا المهلة وأصروا على العناد نزل بهم الأخذ المحتوم، وهذا الثبات في السنة الإلهية يرسخ في النفوس قاعدة اليقين بعدل الله ورحمته، ويؤكد أن التغيير والإصلاح لا يقومان على المصادفة أو الفوضى، وإنما على قوانين ربانية محكمة لا تحابي أحدا.

_ إن الظالمين والمخطئين إذا شملتهم رحمة الله فتابوا ورجعوا، فإنهم يصبحون من أقدر الناس على القيام بالدعوة والإصلاح، فقد خبروا طريق الانحراف وتذوقوا مرارته، ثم ذاقوا بعده حلاوة الهداية، فصاروا أكثر الناس فهما للنفس البشرية، وأشدهم إخلاصا في نصح الغير وأقدرهم على مقارعة الباطل بالحجة والبرهان، ولهذا نجد أن كثيرا من الدعاة الصادقين والمصلحين الكبار كانوا في بداياتهم بعيدين عن طريق الحق، ثم لما تابوا انقلبت خبراتهم السابقة إلى رصيد دعوي وإصلاحي فريد، مثل سحرة فرعون الذين كانوا أداة باطل فلما آمنوا بعد المعجزة صاروا من أوائل الدعاة الشجعان.

_ إن الأخذ الإلهي إذا جاء بعد الإمهال يكون شديدا، إذ يكشف عن قهر الله تعالى وعدله، غير أن هذا الأخذ مهما اشتد في الدنيا فإنه يظل أخف من عقاب الآخرة، حيث العذاب أشد وأبقى، وهكذا تتكامل صورة المنهجية، فالإمهال يبرز رحمة الله، والأخذ يبرز عدله، وعذاب الآخرة يبرز كمال قهره وسلطانه، لتتوازن في وجدان المؤمن معاني الخوف والرجاء.

_ قلوب العباد تحت تصرف رب العباد، يقلبها كيف يشاء فيجعلها قابلة للهداية أو معرضة عنها، وفق ما تقتضيه حكمته وعدله.

---

[1]- أحمد غلوش: دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1432هـ - 2002م، ص 93 وما بعدها.

المبحث الرابع: منهجية لكل فرعون موسى ولكل موسى رب يحميه

تمهيد:

لكل فرعون موسى، ولكل نمرود بعوضة، ولكل كهنة يوسف، ولكل شواذ لوط، ولكل مرابين شعيب، ولكل جاهل محمدا_ عليهم جميعا الصلاة والسلام_، وهذا تسخير رباني في كل زمان ومكان.

المطلب الأول: ما المقصود بعبارة لكل فرعون موسى؟

يقال: "إن العلم متى اشتهر في معنى ينزل منزلة الجنس الدال على ذلك المعنى كما في قولهم: لكل فرعون موسى".[1]

المقصود بذلك أن لكل جبار في الباطل قهار في الحق لأن الله سبحانه وتعالى قد سخر أناسا يحبهم ويحبونه للوقوف في وجه الطواغيت، من أجل الحق وكلمة الحق، في كل مكان وزمان.

إن فرعون علا في الأرض وطغى وتأله، ولما واجهه موسى بالبينات قال تعالى:

﴿اذهَب إِلَىٰ فِرعَونَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ .فَقُل هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ .وَأَهدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخشَىٰ .فَأَرَىٰهُ ٱلأَيَةَ ٱلكُبرَىٰ .فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ .ثُمَّ أَدبَرَ يَسعَىٰ .فَحَشَرَ فَنَادَىٰ .فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلأَعلَىٰ .فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلأَخِرَةِ وَٱلأُولَىٰ﴾ (سورة النازعات: 17–25).

وقال في سورة غافر: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾

لقد احتل فرعون مكانا تاريخيا في تاريخ الطغاة، فأصبح يضرب به المثل في الظلم والاستبداد وقهر الشعوب والتلاعب بالعقول وتزييف الحقائق، فجعل الباطل حقا والحق باطل.

---

[1]- الحسين بن عبد الله الطيبي: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن، ط1، 1434هـ - 2013م، ج4، ص 178.

هلك فرعون ولم تهلك الأخلاق والسياسات الفرعونية المذكورة في القرآن الكريم.

وعليه فإن الناس عليهم أن يفعلوا ما فعل موسى وأخاه هارون، قال تعالى: ﴿**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ. قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ. قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ**﴾ (طه: **43-46**)

فلكل موسى رب يحميه:

مما يستعين به المصلح في مواجهة الطغاة أن يستحضر معية الله، فالله معه يسمعه ويراه.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾

وقال عن مؤمن آل فرعون: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾

المطلب الثاني: الحكمة من هذه المنهجية

إن الصراع بين الحق والباطل صراع أبدي فهو سنة من سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول.

وقد جعل الله هذه المواجهة بين أهل الباطل وأهل الحق لحكم عديدة نذكر منها:

ـ أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ـ عدم الوقوع في اليأس والقنوط، فهما كانت أوضاع المسلمين مزرية فسيسخر الله من يرفع الراية ويحارب الفساد. ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الروم: **47**).

ـ الاستعداد للتغير والوقوف بوجه الطغاة وذلك من خلال التأهب الجيد مثل اعداد الخطاب والعلم الوافي و...

ـ إن المصلحين هم من يرفعون البلاء عن الناس والأوطان، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ (هود: **117**) ومن حقهم على الناس أن يذكروهم بالخير في دعائهم وأن يحترموا ذكراهم.

ـ الطغيان نهايته أليمة: إن الله سبحانه وتعالى يمهل الطغاة ويملي لهم ويستدرجهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ، كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ (القمر: **41، 42**)

﴿.. **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (النحل: 118) وفيما وقع لفرعون هذه الأمة "آريال شارون" عبرة وعظة، فقد نكل الله به لما مارسه من جرائم في حق الفلسطينيين ولا ذنب لهم إلا أنهم مسلمون عزل. لعنة الله عليه وعلى أمثاله إلى يوم الدين.

المطلب الثالث: المصلحون الذين واجهوا الطواغيت من الأنبياء في السورة

لقد أنزلت السورة المباركة على سيدنا محمد ﷺ في العهد المكي، أي في عهد الاستضعاف حيث كان طواغيت قريش يعذبون رسول الله ﷺ ومن ءامن به وبصدق رسالته.

ولدى جاءت هذه السورة بقصص من سبقوه في الدعوة والاصلاح ليعلم بأن هذا الصراع كان موجودا من قبل مع من سبقه من الأنبياء، فذكر في الآية قوم نوح وعاد وثمود.

كما وردت في السورة قصة موسى عليه السلام الذي واجه فرعون الطاغية. وقد ورد في هاته القصة كيف بدأت المواجهة بين الحق والباطل، حيث بدأت بالحكمة وكيف كانت ردة فعل فرعون وقد كانت ردة مليئة بالمراوغة وادعى بان سبيل الرشاد وأن موسى لا يحمل لقومه سوى الفساد. فلما غلبه موسى عليه السلام بالحجج والبراهين لجأ إلى منطق الجبروت (القتل) فما كان لموسى إلا أن فوض أمره لله الذي نجاه وأغرق فرعون ومن معه وجعله عبرة لمن يعتبر.

المطلب الرابع: المصلحون الذين واجهوا الطواغيت من غير الأنبياء في السورة

لقد ورد ذكر قصة مؤمن آل فرعون الذي خلد الله ذكره في أعظم كتاب أنزل، لأنه بفطرته عرف الحق واتبعه، وبذكائه وحرصه كتمه، وبحكمته وحنكته وقف أمام قرار قتل موسى فراوغ فرعون وأحرجه، مما جعل فرعون يتخذ لنفسه مهربا جديدا: "يا هامان ابن لي صرحا"

وقد أراد فرعون بهذا المؤمن شرا لكن الله وقاه منهم، قال تعالى: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾

لقد سخر الله سبحانه وتعالى أبا بكر رضي الله عنه كما سخر مؤمن آل فرعون لموسى ليدافع عنه أمام الطواغيت.

عن عروة ابن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاصي: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عدوانه؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فقالوا فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط: سفه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قال؛ فبيناهم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ، فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفتها في وجهه، فمضى، ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح، فأخذت القوم كلمته حتى ما من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر واقع، وحتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك لتلقاه بأحسن ما يجد من القول، حتى أنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فو الله ما أنت بجهول، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه، فبينا هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل، وأحاطوا به يقولون أنت الذي يقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: نعم، أنا الذي أقول ذلك، فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر الصديق دونه يبكي ويقول: ويلكم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط.[1]

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

– إن قوة الإيمان وقوة العلم ما يحتاجه المصلح في مواجهته للطغاة، فالإيمان يمده بالثبات والصبر وعدم الخضوع لتهديدات المستكبرين، والعلم يجعله قادرا على دحض الشبهات وكشف زيف دعاوى الطغاة بالحجة والبرهان، ومن ثم فإن الجمع بين هذين المقومين يمثل ركيزة لا غنى عنها في المنهجية القرآنية للإصلاح.

[1]- محمد بن إسحاق: السير والمغازي تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ -1987م، ص 230.

ـ إن أشد الحجج أثرا في النفوس هي تلك التي تصدر من الداخل، من "أبناء البيت" العارفين بخفايا الأسرار وحقائق الوقائع، إذ إن معرفتهم الدقيقة بما يدور في محيطهم تجعلهم أقدر على تفنيد الباطل وكشف الزيف بالدليل والبرهان، وقد جسد القرآن الكريم هذا المعنى في خطاب مؤمن آل فرعون الذي لم يكن غريبا عن القوم، بل كان واحدا منهم، يعرف طبائعهم ويفهم أسرارهم، فواجه فرعون وقومه بالحجج البينة والنصائح المخلصة، مما منح كلماته قوة مضاعفة في التأثير والإقناع، وهذا يبرز قيمة الإصلاح الداخلي الذي يقوم به المصلح من داخل المنظومة إذ يكون أبلغ حجة وأقوى تأثيرا.

– وفي واقعنا المعاصر رجال صدقوا الله ما عاهدوه عليه، صادعين بالحق غير هيابين ولا وجلين، متسلحين بالثبات والإيمان العميق، وهم امتداد حي لنماذج الأنبياء والصالحين في مواجهة الطغيان.

المبحث الخامس: منهجية السنن

تمهيد:

تعتبر السنن الإلهية من أعظم المواضيع القرآنية، إذ شغلت حيزا كبيرا من الذكر، سواء أكان ذلك من خلال لفظة "سنة الله" أو من خلال ما يدل عليها من الصيغ والأساليب كقوله: "وما كان ربك ..."

وهذه السنن لها أقسام متنوعة، منها ما هو مرتبط بالمجال الكوني، ومنها ما هو متعلق بالمجال البشري.

والمتتبع لنصوص هذه السنن يجدها على اختلاف أنواعها وتقسيماتها تشترك في بعدها الإصلاحي، وقد بينت سورة غافر هذا الدور فيما يلي.

المطلب الأول: تعريف السنن الإلهية

لغة:

عرفها ابن فارس بقوله: "السين والنون أصل واحد مطَّرد وهو جريان الشَّيء واطِّراده في سهولة.. والأصل قولهم سَنَنْت الماء على وجهي إذا أرسلته، ثم اشتُقَّ منه رجل مسْنون الوجه، كأنَّ اللَّحم قد سنَّ على وجهه.. ومما اشتُقَّ منه السُّنَّة وهي السِّيرة وإنما سُمِّيَت كذلك لأنها تجري جريًا..، وجاءت الرِّياح سنائن إذا جاءت على طريقة واحدة..."[1]

وعرف الجرجاني السنة بأنها: "العادة"، ومن الناحية الشرعية السنة هي: " مشترك بين ما صدر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، وبين ما واظب النبي ﷺ بلا وجوب".[2]

اذن السنة لغة تشمل معان عدة وهي: الطريقة، العادة، الشريعة، والسيرة...

اصطلاحا:

لقد عرف مجموعة من العلماء السنن الإلهية بتعريفات متعددة، ومن بينها تعريف ابن تيمية الذي قال: " السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، والله أخبر أن سنته لن تتبدل ولن تتحول، وأن سنته عادته التي يسوي فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي وهذا يقتضي أنه سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة".[3]

إن تعريف ابن تيمية يتعلق بالسنن الإلهية المتعلقة بأحوال الناس، والتي مفادها أن الله قد جعل للناس قانونا واحدا ثابتا ومطردا، فمتى تحقق الشرط وقع الجزاء ولا فرق في ذلك بين الأولين والآخرين.

لكن السنن الإلهية لا تتعلق بالناس فقط، ولكنها تشمل الكون، فالسنن الكونية هي: "القوانين التي يسير وفقها الوجود كله وتتحرك بمقتضاه الحياة وما في الكون من ذرة أو حركة إلا وفيها قانون أيضا يتجلى في الأسباب والعوامل المؤدية إليها".[4]

---

[1]- أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر– بيروت، ط: 1979، ج3، ص60- 61

[2]- الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص 122.

[3]- أحمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، الرياض، ط1، 1415هـ، مج 7، ص 13.

[4]- محمد هيشور: سنن القرآن في قيام وسقوط الحضارات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1996م، ص 27.

ومن تعريفات سنة الله " الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة".[1]

المطلب الثاني: دور السنن الإلهية في الإصلاح من خلال السورة

إن هذه السورة الكريمة قد أنزلت على الرسول ﷺ في مرحلة بدايات الدعوة والإصلاح، حيث كان الرسول ﷺ يحث الناس على نبذ الشرك وترك عبادة الأصنام إلى الإيمان بالله الواحد الأحد.

وعند التأمل والتدبر في هذه السنن، نجد بأنها تلعب دورا في الإصلاح من جانبين:

_ الجانب النظري المعرفي:

_ الجانب التطبيقي.

أولا: الجانب النظري المعرفي: إن السنن الإلهية (الكونية، أو سنن الأنفس أو السنن الشرعية المتعلقة بالأوامر الدينية) الواردة في القرآن الكريم تهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من بينها:

_ إثبات صدق رسالة التوحيد بأنواعه الثلاث (توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات): ذلك أن النظام الإلهي المتعلق بالكون من حيث الخلق والتسيير يثبت وجود رب واحد لهذا الكون، وكذلك فيما يتعلق بالناس وتسير نظام حياتهم وأحوالهم وقوانين النصر والهلاك وما إلى ذلك وكل هذا يثبت وجود إله واحد أحد ترجع إليه الأمور.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ. فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾.

قال القرطبي –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ**﴾ أي دلائل توحيده وقدرته "وينزل لكم من السماء رزقا " جمع بين إظهار الآيات وإنزال الرزق، لأن بالآيات قوام الأديان، وبالرزق قوام الأبدان، وهذه الآيات هي السماوات والأرضون وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم

[1]- عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد والأمم في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م، ص13..

والرياح والسحاب والأنهار والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا.[1]

_ **التخفيف عن الرسول ﷺ وأتباعه،** لأن العلم بالسنن الإلهية "يخرجهم من ضيق الأزمة إلى سعة الحكمة"[2]. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾

_ **الهداية والتثبيت لأهل الحق بأنهم هم الناجون وأن العقاب سيطال المكذبين،** والدليل على ذلك أحوال السابقين ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

_إن الله سبحانه وتعالى قد أوحى لرسوله الكريم بهذه السنن **ليرشده إلى ما يجب عليه فعله في سبيل الإصلاح، وفي نفس الوقت ليعرف الناس بشروط مهام الاستخلاف.**

إن السنن لابد أن تكون ضمن العلم الذي يعتمد عليه المصلح أثناء مهامه، وهذا العلم السنني هو ما حاج به مؤمن آل فرعون قومه، فالسنن معيار النجاة والهلاك، ومعيار التقدم والتخلف ومؤشر النصر أو الهزيمة.

والمسلمون اليوم بحاجة إلى العلم والعمل بالسنن لإصلاح أحوالهم.

قال سيد قطب رحمه الله: "إن القرآن الكريم يرد المسلمين إلى سنن الله في الأرض، يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها الأمور، فهم ليسوا بدعا في الحياة، فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف والأمور لا تمضي جزافا إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بأسباب النصر وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ ".[3]

---

[1]- القرطبي. الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، مصدر سابق، ص 337

[2]- أحمد يوسف السيد، السنن الإلهية وأثرها في الإصلاح، الموقع الإلكتروني: https: //baheth.ieasybooks.com/ (تاريخ الزيارة: 2024/01/30م)

[3]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 34، 1425هـ - 2004م، مج 1، ج4، ص 478.

_ **إصلاح أحوال الأفراد والأمم في شؤونهم الدنيوية والأخروية:** وذلك من خلال تطبيق وتنفيذ القواعد والضوابط والأحكام و.. التي أمرهم الله بها.

قال الطيب برغوث: «إن الفعل الإنساني لكي يتسم بالأصالة والفعالية والاطراد ويندرج في سياق حضاري أو استخلاف إنساني تكاملي ترقوي تتطلبه الصيرورة الآنية لحركة الابتلاء والتداول والتدافع والتجديد.

هذه الشروط موزعة عبر المنظمات السننية الأربعة التي منح الله تعالى لكل منها سلطانه وسلطته في بناء الدورة الانجازية للفعل الإنساني.[1]

والمنضمات السننية الأربع هي:

_**سنن الله في الاستخلاف،** ممثلة في سننه العامة في الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد.

_ **سنن الله في التسخير،** المتمثلة في سنن الآفاق والأنفس والهداية والتأييد.

_ **سنن الله في منهجية التغيير،** المتمثلة في سنن الفهم والقدوة والدعوة والبناء والمواجهة الوقائية.

_ **وسنن الله في مقاييس "الدورة الإنجازية"** للفعل التغييري الناجح المتمثلة في سنن الأصالة والفعالية والتكاملية والاطراد.[2]

ثانيا: الجانب التطبيقي، وذلك أن الله سبحانه صاحب القدرة المطلقة في التنفيذ والتطبيق والأخذ

قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ**﴾

إن القرآن الكريم قد أخبرنا أن الأصل في الحساب الإلهي للبشر يكون في الآخرة، لكن الله سبحانه وتعالى وعد المكذبين والطغاة بالأخذ في الدنيا لحكم منها: ليكون مصيرهم عبرة لغيرهم،

---

[1]- الطيب برغوث: مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2004م، ص 28.

[2]- الطيب برغوث: قواعد المنهج في الحركة الحضارية ليوسف عليه السلام، دار قانة، باتنة، ط1، 2008م، ص 6.

ولحفظ الأرض من الفساد والفناء، ولأنه سبحانه المنتقم شديد العقاب.

المطلب الثالث: أقسام السنن الواردة في سورة غافر

إن الناظر في السنن الإلهية الواردة في سورة غافر يلاحظ أنها تنقسم إلى قسمين:

– سنن "الكون والآفاق "وسنن "الأنفس أو السنن الاجتماعية":

1.**سنن الآفاق:** و"هي القوانين الحاكمة في الطبيعة وفي العالم المادي وفي نظام الكون وتركيبه، وتسمى السنن الكونية أو الآيات الكونية، والسنن الطبيعية وتسمى بلسان العصر علوم الفلك والفضاء والأرض والبحار والأحياء".[1]

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾

وقال سبحانه: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾

ومن خصائص هذه السنن أنها **سنن ربانية إجبارية:** " لأنها تنطبق على ما هو من الكون مجبور لا اختيار له، فهي لا تنطبق على سلوك الكائنات الحية ذات الإرادات الحرة، في حدود دوائر سلوكها الإرادي الحر، الخاضعة فيه للمسؤولية والحساب والجزاء. أما في حدود دوائرها الجبرية من حركات وسكنات، ونمو وتطور، وتأثير في غيرها وتأثر بغيرها، وكل ما لا يخضع لإرادتها الحرة في ذواتها، فهي تخضع في كل ذلك لقوانين وسنن جبرية ثابتة، كسائر الكائنات المجبورة، لأنها في هذه الدوائر مجبورة لا اختيار لها."[2]، هي عكس السنن الخارقة التي «تأتي لتأييد نبي كمعجزة وتأتي لتأكيد أو مساندة ولي ككرامة وهذه موجودة في القرآن الكريم فيما يتعلق بالأنبياء، فالسنن الخارقة تأتي على غير عادة

---

[1]- رشيد كهوس: مقدمات في الفلسفة السننية، مجلة المدونة، السنة الثانية، العدد 5، رمضان 1436هـ، يوليو 2015م، ص 157.

[2]- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ -1991م، ص 149.

المألوف لما تعارف عليه الناس من السنن الجارية".[1]

2. **سنن الأنفس**: وهي السنن الاجتماعية المتحكمة في مسيرة المجتمعات البشرية وفي أحداثها. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

وتندرج تحت هذا القسم أنواع من السنن سخرها الله للناس منها:

ـ **سنن الهداية**: هي الأصول اللازمة لهداية الناس في كل زمان ومكان من قضايا العقيدة والعبادات والمعاملات والقيم والأخلاق وثوابت الفطرة وأصول الاجتماع العمراني البشري عامة.[2]

ـ **سنن التأييد**: السنن المتعلقة بالتأييد الإلهي ومدده المباشر وغير المباشر لعباده في كافة مراحل الاستخلاف في الأرض، وخاصة عندما يتعلق الأمر بحالة عجز قدراتهم التسخيرية المستمدة من سنن الآفاق والاجتماع والهداية عن مواجهة الواقع وتحدياته فيلجؤون حينئذ إلى من بيده الأمر كله، فيطلبون العون والمدد والتأييد ...وتشتمل هذه السنن على المعجزات التي يؤيد الله تعالى بها أنبياءه ورسله عليهم السلام والكرامات التي يؤيد بها أولياءه وكل ما يؤيد الله به عباده المؤمنين في مسيرتهم في الحياة الدنيا، وتسمى أيضا السنن الخارقة، أي الخارقة للعادات ولنظام السببية الذي يعرفه البشر لكن تسميتها بسنن التأييد أفضل وأحسن.[3]

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام الذي طلب تأييد الله له من بطش فرعون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾

وقد نجى الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام كما نجى مؤمن آل فرعون الذي فوض أمره لله: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾

ومن خصائص السنن الاجتماعية أنها **سنن اختيارية** أي أنها "قائمة على مستوى إرادة

---

[1]- علي الصلابي: السنن الإلهية، الموقع الإلكتروني: www.aljazeera.net (تاريخ الزيارة: 2020/03/1م)

[2]- رشيد كهوس: علم السنن الإلهية: من الوعي النظري إلى التأسيس العملي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1ط، 1436هـ-2015م، ص 49.

[3]- رشيد كهوس، مقدمات في الفلسفة السننية، المرجع السابق، ص 159،160.

الإنسان وما يمكن أن يناله الإنسان أو يسخره في الحياة باستخدام القدرات المختلفة التي زود بها لغرض تحقيق غاية خلقه وسبب وجوده في استعمار الأرض والاستخلاف فيها".[1]

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

ومن خصائصها كذلك أنها **سنن جارية:** أي أنها "سنن ماضية تعمل من تلقاء نفسها وفق شروط وضعها من وضع السنن وسيرها وأجراها".[2]

قال تعالى: ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾

المطلب الرابع: السنن المتعلقة بالمؤمنين والكافرين من خلال السورة الكريمة

يمكن تقسيم هذه السنن إلى قسمين: السنن متعلقة بالمؤمنين والسنن المتعلق بالكافرين

2.1السنن المتعلقة بالمؤمنين: وهي السنن التي تتضمن أن يفعل في المؤمنين مثل ما فعل في المؤمنين الذين سبقوهم من نصر وتمكين وتأييد، لأنهم توفرت فيهم أسباب النصر.

سنة النصر: وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

كما قال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾

يتضح من خلال السورة الكريمة أن النصر له حالات متعددة، فهو لا يتعلق بالنصر الذي يحققه الشخص في حياته فقط، وإنما هو يرتبط أيضا بمظاهر أخرى لا تقل أهمية، ومن ذلك النصر المتجسد في الثبات على الحق وانتصار العقيدة، والنصر المتجسد في عدم الخضوع لأهواء أهل الباطل.

قال سيد قطب رحمه الله: "إن هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر في صورته الظاهرة القريبة

---

[1]- حسن سليمان حسن قيلي: السنن التاريخية في القرآن الكريم، قسم الفلسفة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ، 2008م، ص 22.

[2]- عطية عدلان: استراتيجيات التغيير بين السنن الجارية والسنن الخارقة، الموقع الإلكتروني https: //mubasher.aljazeera. / (تاريخ الزيارة: 3/ 10/ 2022م).

ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة لقد انتصر ρ في حياته، لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض، فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعا من القلب المفرد إلى الدولة الحاكمة فشاء الله أن ينتصر صاحب هذه العقيدة في حياته ليحقق هذه العقيدة في صورها، ويترك هذه الحقيقة مقررة في واقعة تاريخية محددة مشهودة ومن ثم اتصلت صورة النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية وفق تقدير الله وترتيبه[1].

2.2 السنن المتعلقة بالكافرين: وهي السنن التي تتضمن أن يفعل الله في الكافرين مثل ما فعل في الكافرين الذين سبقوهم من هلاك وعذاب، لأنهم توفرت فيهم أسباب الأخذ والهلاك والعقاب.

قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ. وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾

وقال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ**﴾

سنة النصر	سنة الهلاك
* للمؤمنين	* للكافرين
إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ" وعد الله للمؤمنين بالنصر في الدارين	**"كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ.."التكذيب**
"فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ" الصبر والذكر	**"وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ" محاولة قتل الرسل**
"فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ" زمن النصر لا يعلمه الله وهو بخضع للحكمة والتدبير الالهي.	**"وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ" محاولة صد الناس عن الحق باستعمال مختلف الاساليب كالجدال بالباطل.**
	"أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ .." عدم أخذ العبرة بأحوال ومصير

[1]- سيد قطب. في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 3086

	السابقين.
	"ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ.."الكفر
	"فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ"سنة الهلاك تحصل عند استنفاذ المهلة
	"فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون"التكذيب بسبب العلم الضال.
	"فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ" هذه الآية لخصت كل ما سبق ذكره فيما يتعلق بالكافرين وسنة اهلاكهم.

إن سنة أخذ الكافرين (الظالمين المكذبين) تتضمن سننا أخرى في طياتها مثل سنة التقلب وخاصية "الصيرورة"

وقد جعل الله الصراع بين الحق والباطل قانونا يسمى **قانون التدافع**، ذلك أن "التدافع بين الحق والباطل أمر لابد منه وحتمي لأنهما ضدان والضدان لا يجتمعان، ولأن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر وطرده ودفعه وإزالته، أو في الأقل إضعافه ومنعه من أن يكون له تأثير في واقع الحياة، فلا يتصور إذن أن يعيش الحق والباطل في سلم من دون غلبة أحدهما على الآخر إلا لعلة كضعف أصحابهما أو جهلهم بمعاني الحق والباطل ومقتضيات ولوازم هذه المعاني أو ضعف تأثير هذه المعاني فيهم."[1]

و قد تضمنت السورة الكريمة التدافع بين الحق والباطل، قال سيد قطب في ذلك: "هذه السورة تعالج قضية الإيمان والكفر، قضية الدعوة والتكذيب وأخيرا قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق،

[1]- عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص 46.

فهي قصة قديمة من عهد نوح، ومعركة ذات مواقع متشابهة في كل زمان وهذه الآية تصور هذه القصة قصة الرسالة والتكذيب والطغيان على مدى القرون والأجيال كما تصور العاقبة في كل حال، رسول يجيء فيكذبه طغاة قومه ولا يقفون عند مقارعة الحجة بالحجة، إنما هم يلجؤون إلى منطق الطغيان الغليظ، فيهمون أن يبطشوا بالرسول ويوهون على الجماهير بالباطل ليغلبوا به الحق. هنا تتدخل يد القدرة الباطشة فتأخذهم أخذا يعجب ويدهش ويستحق التعجب والاستعراض" [1]

إن الله سبحانه وتعالى قد كتب سنة النصر للمؤمنين (الذين استحضروا أسباب النصر) من أجل إحقاق الحق والخير والصلاح، وإزهاق الباطل والطالح والفساد والظلم. ومن أجل الاستخلاف وإقامة الدين، قال تعالى: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: **41/40**).

السنن الإلهية المتعلقة بالأفراد:

هذه السنن الإلهية المتعلقة بالأمم، أما السنن الإلهية المتعلقة بالأفراد، فيقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

ومن ضمن سنن الله في الأفراد، والتي تنصلح بها أحوالهم "سنة والمغفرة والعقاب"، قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

يقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله – في شرح هذه المنهجية: " يريد الحق سبحانه وتعالى ألا ينفصل خلقه تعالى عنه مهما كثرت ذنوبهم وغلبتهم شهواتهم، يريد سبحانه أن يعطفهم إليه ويجمعهم في ساحته، لذلك فتح لهم باب التوبة والمغفرة وبسط لهم يد العفو والتسامح، ثم لوح لهم بعصا العقاب حتى لا يغتروا، وهذا المنهج يعود نفعه على الكون كله وعلى الفرد خاصة، لأن صاحب

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 3069_3070.

الذنب لو علم أن ذنبه لن يغفر لتمادى فيه وأكثر وعربد في الكون وأفسد، وساعتها سيشقى به المجتمع وخاصة أهل الإيمان".[1]

إن تشريع التوبة وقبولها فيه إصلاح لأحوال الفرد في كل المناحي (النفسية والاجتماعية و..) وفي كل العلاقات:

مع الله: فلا ينقطع عن الله بسبب الذنوب، وإنما يجدد النوبة والأوبة ما دام باب الله مفتوحا.

مع نفسه: بدءا بإصلاح باله من الضنك والقلق.

مع الآخرين: ويكون إصلاح أحواله مع أسرته والناس من حوله من خلال رد المظالم وطلب العفو والبدء بصفحة جديدة.

شكل (1) يلخص منهجية السنن:

السنن الإلهية هي:

القانون الإلهي المتعلق بـ:

الكون: (سنن الأفاق)

_من خصائصه: أنه إجباري

_من أهدافه: توحيد الربوبية

الإنسان: (سنن الأنفس)

_ من خصائصه: أنه اختياري

_ من أهدافه: توحيد الألوهية

_ يتعلق بـ: الجماعات والأفراد

الجماعات والأمم:

الأفراد:

[1]-محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص 13279.

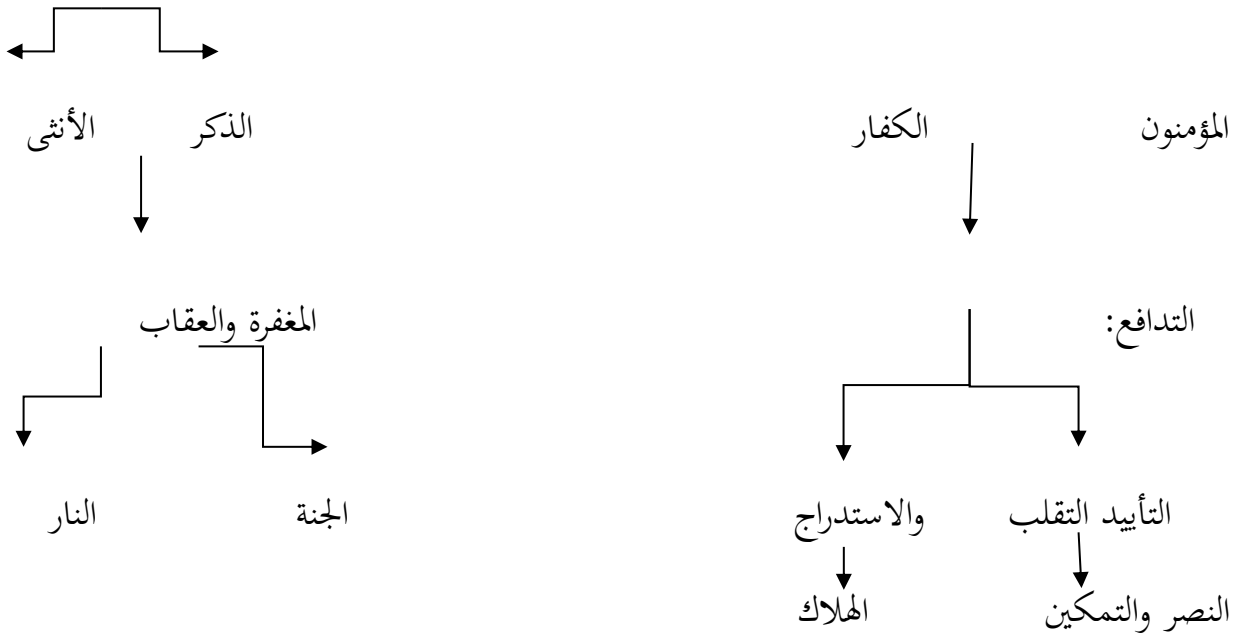

تصميم الباحثة.

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية

ـ إن القرآن الكريم باعتباره كتاب هداية وبناء، قد أولى موضوع السنن الإلهية عناية بالغة، إذ شكل هذا الموضوع جزءا أصيلا من نسيجه المفهومي ومنظومته التربوية والتشريعية، لا فرعا ثانويا أو مبحثا عرضيا، فالسنن الإلهية في القرآن الكريم ليست مجرد سرد لقوانين كونية أو تاريخية، بل هي ركيزة تفسيرية لفهم حركة الحياة والمجتمع.

ـ تعد سورة غافر من السور التي قدمت هديا ربانيا بسنن الله تعالى في الكون والإنسان والمجتمع، حيث عرضت نماذج متعددة لهذه السنن في سياق القصص والمجادلات العقدية والمواقف الدعوية، بما يجعلها مرجعا منهجيا لفهم القوانين الربانية التي تحكم حركة الإصلاح في التاريخ البشري وتوجه المصلحين إلى مراعاة تلك السنن في مشاريعهم الدعوية والاجتماعية.

ـ إن القانون الإلهي ثابت ومطرد لا يتحول ولا يتبدل ولا يحابي، وهو يمثل القوانين الكونية والتشريعية التي أودعها الله في نظام الوجود والحياة الإنسانية، وتجري آثارها وفق مقتضى الأعمال والاختيارات الإنسانية.

ـ إن القانون الإلهي الضابط لحركة الكون بما يتسم به من التناسق والدقة والاطراد يمثل برهانا عقليا ووجدانيا على أن هذا الوجود هو نتاج تدبير رباني واحد، وليس وليد الصدفة أو الفوضى، فالسنن الكونية تكشف عن وحدة المصدر وهو ما يؤسس منهجية إصلاحية تقوم على التوحيد وإرجاع كل حركة في الكون والحياة إلى العبودية لله تعالى.

ـ إن القانون الإلهي المنظم لأحوال البشر وتطور مجتمعاتهم بما يتضمنه من التدرج والجزاء والابتلاء والتداول، يكشف عن وحدة الإرادة المدبرة لهذا الكون الإنساني، ويدل دلالة قاطعة على أن الفاعل وراء هذه السنن إله واحد لا شريك له، فاطراد السنن الاجتماعية في الثواب والعقاب والنهوض والسقوط، يؤكد أن حركة التاريخ البشري تخضع لنظام إلهي واحد.

ـ إن السنن الإلهية في بعدها الغيبي تتعلق بجملة من أفعال الله تعالى التي لا يملكها أحد سواه، كالجزاء والثواب والعقاب، والنصر والهلاك، والإمهال والاستدراج، إذ تجري كلها وفق مشيئته وعدله وحكمته المطلقة، وهذه السنن تذكر الإنسان –فردا وجماعة– بأن تدبير الكون والمصائر بيد الله وحده، لا بيد القوى المادية أو الأسباب الظاهرة.

ـإن العلم بالسنن الإلهية يعد من أعظم ما يورث السكينة والطمأنينة في نفس الإنسان وخاصة في نفس المصلح، إذ يمنحه فهما عميقا لطبيعة الحياة وسير الأحداث، ويجعله يدرك أن ما يجري في الكون من ابتلاء أو تأخير أو نصر إنما يقع وفق نظام إلهي محكم لا عبث فيه ولا اضطراب، فإدراك ثبات السنن وعدلها يحرر المرء من القلق والاستعجال، ويغرس فيه الثقة بحكمة الله وعدله، كما يعصمه من الاضطراب أمام تقلبات الواقع أو استعلاء الباطل المؤقت، ليظل ثابتا على منهج الصلاح والإصلاح مؤمنا بأن النتائج على الله وأن العاقبة للمتقين.

ـ حين يحضر الأجل وتنقضي فرصة العمل فإن تلك السنن تنقلب من مجال للتجريب والاختبار إلى مجال للحساب والجزاء، فلا ينفع حينئذ إيمان طارئ ولا توبة متأخرة ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾. صدق الله العظيم.

أهم نتائج الفصل الخامس:

بعد إتمام دراسة مباحث هذا الفصل الموسوم بـ: منهجيات الإصلاح الرباني، يمكن تلخيص أهم النتائج في النقاط التالية:

1. **المقصود بمنهجيات الإصلاح الرباني:** هي قوانين الله في تربية الإنسان وتزكية واقعه، وهي سنن جارية تكشف عن عمق الرحمة الإلهية وعدالة المعاملة الربانية، إذ لم يترك الله عباده دون هدى، بل وجههم بقوانين ثابتة ووسائل شتى تضبط مسارهم.

2. **منهجية ربط الغيب بالمشهد:** أظهرت أن الإصلاح القرآني لا يقوم على التجريد العقدي فقط، بل يجسد الإيمان في الواقع من خلال ربط مشاهد الغيب بوقائع الحياة، كما في سورة غافر التي وظفت مشاهد القيامة والجزاء لبناء وعي إصلاحي متوازن بين الإيمان والعمل، وبين وعد الآخرة ومسؤولية الدنيا.

3. **منهجية المعجزة في الإصلاح:** بينت السورة أن الآيات الربانية المعجزة تؤكد صدق الدعوة والدعاة.

4. **منهجية الإمهال قبل الأخذ:** أبرزت هذه المنهجية جانبا من رحمة الله وعدله، إذ يجعل سبحانه وتعالى الإمهال مرحلة تربوية تتيح للظالمين مراجعة أنفسهم قبل حلول العقوبة، وللمصلحين ترسيخ دعوتهم بالحكمة والصبر، وهذه المنهجية تربى المصلح على الأفق والرحمة بالمخالفين قبل الحكم عليهم.

5. **منهجية "لكل فرعون موسى":** دلت هذه المنهجية على أن الإصلاح الرباني قائم على مبدأ التداول بين الحق والباطل، وأن الله يقيم في وجه الطغيان من يحمل رسالة الهداية، كما في قصة موسى ومؤمن آل فرعون، فهي سنة ربانية في بقاء المصلحين لتجديد العهد الإيماني ومواصلة حمل الرسالة في كل عصر.

6. **منهجية السنن الإلهية في الإصلاح:** أبرزت سورة غافر هذه المنهجية في عدة مواضع، وقد بينت آياتها أن الله سبحانه وتعالى أجرى أحوال العباد والأمم وفق قوانين ربانية ثابتة، تحكم سير الحياة وتحدد نتائج الأفعال، بحيث يصبح الإصلاح خاضعا لمنظومة من السنن الإلهية التي لا تتبدل ولا تتحول.

فالله تعالى أصلح المجتمعات، وبدل أحوالها، وأجرى عليها النصر أو الهلاك، بحسب ما تقتضيه هذه السنن من عـــدل وحكمـــــة.

خاتمة

وفي خاتمة هذا الدراسة الموسومة بـ: **"منهجيات الإصلاح من خلال سورة غافر –دراسة تحليلية–"** والتي أبرزت ملامح البناء المنهجي في الإصلاح كما يقدمه القرآن الكريم، وبينت دقة النسق الرباني الذي ينظم حركة الإنسان في ذاته ومجتمعه وكونه.

وفي ضوء هذه الدراسة التحليلية لمضامين سورة غافر، تبين أن القرآن الكريم لا يقدم الإصلاح في صورته المجردة فحسب، بل يؤسس على **منهجية متكاملة** تقوم على القواعد والأصول والسنن التي أرساها الوحي، والتي يعد استنباطها ضرورة عقدية قبل أن يكون مطلبا علميا أو تقنيا، حيث أنه يرتبط استنباطها والعمل بها جوهر الإيمان ومقصد الهداية الذي أنزل من أجله الكتاب.

ففهم الإصلاح في ضوء المنهج القرآني ينقل الإنسان من ضيق التفكير البشري المحدود إلى أفق السنن الإلهية الواسع، حيث تتجلى حكمة الله في تدبير شؤون الخلق، ويترسخ في القلب معنى الارتباط بالرب الموجه للحركة والمقدر للمصائر.

وغياب هذا الفهم القرآني في ممارسة الإصلاح يؤدي إلى اضطراب في الوعي الرسالي، وإلى خلل في الموازين التي تضبط مسار الدعوة، فتتعثر الجهود، وتتكرر الإخفاقات، لأن الإصلاح الذي ينفصل عن الوحي يفقد روحه ومقصده، ويغدو جهدا بشريا ناقصا لا يثمر ثباتا ولا صلاحا مستمرا.

ومن أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة في فصولها المختلفة، النقاط التالية:

أبرز نتائج الفصل الأول:

لقد خصص الفصل الأول لبيان المنهجية القرآنية في الإصلاح من حيث تعريفها، وخصائصها، وشروط استنباطها من الوحي، وضرورة العمل بها.

وتبين أن منهجية القرآن في الإصلاح تتمثل في مجموعة القواعد الكلية والمبادئ التوجيهية التي أرساها الوحي لتنظيم عملية الإصلاح في النفس والمجتمع، وهي تتميز بالشمول، والربانية، والواقعية، والتوازن، ويتم من خلالها تحقيق مقاصد الهداية.

وعليه، فإن المنهجيات التي توصلت إليها الدراسة من خلال سورة غافر – سواء في الإصلاح الذاتي

أو الدعوي أو الرباني- تتصف بصفات المنهج القرآني ذاتها، إذ إنها:

_ **ربانية المصدر**: لأنها منبثقة من الوحي ومؤسسة على السنن الإلهية في الخلق والهداية.

_ **واقعية التطبيق**: لأنها تراعي سنن الكون والنفس والمجتمع، فلا تنفصل عن الواقع ولا تذوب فيه.

_ **تربوية المقصد**: لأنها تهدف إلى تزكية النفس وتهذيب السلوك وبناء الإنسان قبل بناء المجتمع.

_ **شمولية الرؤية**: إذ تمتد من إصلاح الذات إلى إصلاح الأمة والإنسانية في ضوء مقاصد الوحي.

_ **منضبطة بالقانون الإلهي**: فلا تتبدل بتبدل الأهواء أو الظروف، بل تسير وفق السنن الربانية التي تحكم سير الحياة.

أبرز نتائج الفصل الثاني:

أما الفصل الثاني، فقد تناول سورة غافر من حيث تعريفها، وموضوعاتها ومقاصدها الإصلاحية، فتبين أنها سورة مكية جامعة بين أمور العقيدة وحقائق السنن المختلفة ونموذج المصلحين، مما يجعلها سورة تأسيسية في رسم ملامح الإصلاح

أبرز نتائج الفصل الثالث:

وفي الفصل الثالث، برزت منهجيات الإصلاح الذاتي باعتبارها المنطلق الحقيقي لكل عملية إصلاحية، إذ لا يمكن إصلاح المجتمع دون صلاح النفس، وتجلى ذلك في المنهجيات التالية: منهجية حاكمية الكتاب، منهجية التخلية قبل التحلية، منهجية الجمع بين الرجاء والخوف مع الإيمان، منهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج، منهجية الجمع بين القراءات.

وهذه المنهجيات هي التي ترشد الإنسان إلى طريق تزكية نفسه وضبط ميوله وإصلاح أخطائه بنور الوحي.

أبرز نتائج الفصل الرابع:

أما الفصل الرابع الذي خصص لمنهجيات الإصلاح الدعوي الرسالي، فقد ركز على دراسة وتحليل ما جاء عن مؤمن آل فرعون، باعتباره نموذج المصلح الرباني الذي جمع بين الإيمان والعلم والذكاء، واعتمد على

منهجيات قائمة على الدقة والبراعة، وتجلت منها المنهجيات التالية: منهجية حاكمية الكتاب، ومنهجية الخطاب، منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة، منهجية التشخيص قبل المعالجة والتفويض، منهجية ترتيب الأولويات، منهجية ولكم في القصص عبرة.

أبرز نتائج الفصل الخامس:

ختمت الدراسة بالفصل الخامس الذي تناول منهجيات الإصلاح الرباني، أي الطرق التي أجرى الله بها أحوال العباد في التغيير والجزاء والهداية، وقد توصلت الدراسة إلى بعض من هذه المنهجيات وهي:

منهجية ربط كل غيب بمشهد، منهجية المعجزة، منهجية الإمهال قبل الأخذ، منهجية لكل فرعون موسى ولكل موسى رب يحميه، منهجية السنن الرباني.

وفي ختام هذه الأطروحة، يمكن القول إن الإصلاح في القرآن الكريم ليس مجرد معالجة لأوضاع فاسدة، بل هو مشروع إلهي لبناء الإنسان في فكره ووجدانه وسلوكه، وفق منهجية ربانية تعيد صياغة العلاقة بين العبد وربه، وبين الفرد والمجتمع، والإنسان والكون.

ولذلك، فإن دراسة منهجيات الإصلاح القرآني تظل ميدانا خصبا للبحث العلمي، يدعو إلى توسيع المقاربة المنهجية لتشمل سورا أخرى ذات مضامين إصلاحية، من أجل بناء نظرية قرآنية متكاملة في الإصلاح، تستوعب التغيرات المعاصرة دون أن تنفصل عن أصول الهداية الربانية.

﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾

(سورة غافر: 85)

فسبحان من جعل في كتابه هدى للمصلحين، ونورا للمهتدين، وبيانا لمن أراد أن يسلك سبيل الحق في زمن الفتن والاضطراب.

التوصيات:

بعد سنوات من التدبر والتحليل في موضوع منهجيات الإصلاح من خلال سورة غافر، وهو تحليل ربطت فيه الباحثة بين النص والواقع، وانطلاقا من النتائج التي توصلت إليها في دراستها، ترى أن أهم ما يمكن الخروج به من توصيات تتمثل فيما يلي:

أولا: التوصيات العلمية والبحثية

1. **توصي الباحثة بضرورة تعميق الدراسات القرآنية في مجال منهجيات الإصلاح**، لتأسيس علم منهجي يجمع بين فقه النص وفقه الواقع، مستلهم من التجربة القرآنية كما تجلت في سورة غافر.

2. **توصي الباحثة بتوسيع دائرة البحث في منهجيات الإصلاح في سور قرآنية أخرى**، مثل يونس وهود وإبراهيم والقصص، قصد استكمال الرؤية الإصلاحية القرآنية الكلية.

3. **توصي الباحثة بإعادة بناء علم الإصلاح الإسلامي على ضوء المنهج القرآني**، في الجمع بين التوحيد والعمل، وبين الإيمان والعقل، ليكون علما مؤصلا منضبطا بمرجعية الوحي.

4. **توصي الباحثة بتشجيع البحوث المقارنة بين منهجية مؤمن آل فرعون ومنهجيات المصلحين الآخرين**، لما فيها من وحدة في الغاية وتنوع في الوسائل، واستلهام أساليب الحكمة القرآنية في مواجهة الطغيان والفساد.

5. **توصي الباحثة بتجديد مناهج التفسير ودراساته**، انطلاقا من شمولية القرآن الكريم للعلوم الشرعية والكونية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتشجيع المتخصصين في مختلف الميادين على استنباط ما يتصل بتخصصاتهم من هداياته، تحقيقا للتكامل بين الوحي والعلم.

ثانيا: التوصيات التربوية والدعوية

1. **توصي الباحثة بإدراج مادة حفظ القرآن الكريم كمادة أساسية في مختلف الأطوار التعليمية**، لتنشئة جيل متمكن عقديا وفكريا وأخلاقيا وعلميا.

2. **توصي الباحثة بتضمين منهجيات الإصلاح القرآنية في المناهج التربوية والدعوية**، لتدريب الدعاة على فقه السنن، وضبط الخطاب الدعوي بمنهج الحكمة والموعظة الحسنة.

3. **توصي الباحثة بالعناية بإصلاح الذات كمنطلق للإصلاح العام**، اقتداء بمؤمن آل فرعون الذي بدأ إصلاحه من داخل المجتمع، وبأسلوب متدرج يجمع بين العلم واللين والحجة.

4. **توصي الباحثة بتفعيل فقه الحوار القرآني في الخطاب الدعوي المعاصر**، لما قدمته سورة غافر من نموذج راق في الحوار بالحجة والرحمة دون انفعال أو خصومة.

5. **توصي الباحثة بتربية الدعاة والعلماء على الجمع بين الخوف والرجاء في خطابهم الإصلاحي**، ليبقى الإصلاح متوازنا بين التحذير من الانحراف وبث الأمل في رحمة الله تعالى.

ثالثا: التوصيات المجتمعية والحضارية

1. **توصي الباحثة بتفعيل التنسيق بين وزارة التعليم العالي ووزارة الشؤون الدينية**، قصد تحقيق تكامل علمي وعملي في تأهيل الأئمة والمرشدين والمرشدات، عبر إدماج البحوث الأكاديمية المتخصصة في برامج التكوين، وتزويد مكتبات المساجد بالرسائل والأطروحات العلمية ذات الصلة بالإصلاح القرآني.

2. **توصي الباحثة بتبني منهجية قرآنية شاملة في معالجة أزمات الأمة**، تبدأ بإصلاح الفكر والإيمان قبل إصلاح المؤسسات والهياكل، وفق فقه السنن الإلهية في التغيير.

3. **توصي الباحثة بوضع آلية وطنية فعالة لربط البحث العلمي بواقع الإصلاح الاجتماعي والتنموي**، لضمان استثمار مخرجات البحوث الأكاديمية في السياسات العامة، حتى لا تبقى الجهود العلمية مجرد معلومات نظرية لا تجد طريقها إلى التطبيق العملي.

4. **توصي الباحثة بضرورة مراعاة السنن الإلهية في بناء الحضارة والإصلاح الشامل**، إذ إن أي مشروع إصلاحي لا يحقق التوازن بين الشق الروحي والتربوي والمادي يظل ناقصا، مما يستلزم تعاون العلماء والمفكرين وصناع القرار لتفعيل فقه السنن في مشاريع النهوض الحضاري.

5. **توصي الباحثة بتعزيز ثقافة الحوار والإقناع بالحجة القرآنية في المؤسسات التعليمية والإعلامية**، لمواجهة الفكر المادي والإلحادي، وبناء وعي قرآني حضاري لدى الأجيال الصاعدة.

6. **توصي الباحثة بالربط بين الإصلاح الفردي والإصلاح الاجتماعي في السياسات التربوية والدعوية**، انسجاما مع المنهج القرآني الذي يبدأ بالنفس وينتهي بالمجتمع.

خاتمة التوصيات:

إن الإصلاح في ضوء المنهج القرآني كما عرضته سورة غافر ليس مشروعا نظريا فحسب، بل هو مسار حضاري متكامل يبدأ من إصلاح العقيدة والفكر، ويمر عبر تزكية النفس وبناء الإنسان، لينتهي إلى إعمار الأرض وفق السنن الإلهية، ومن ثم فإن كل جهد علمي أو مؤسسي أو دعوي يسير في هذا الاتجاه إنما يشارك في تحقيق المقصد القرآني الأسمى:

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

قائمة المصادر والمراجع:

_القرآن الكريم برواية حفص.

1. ابن إسحاق محمد، السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ - 1987م.
2. ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، د.ت.
3. ابن القيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2010م.
4. ابن باديس عبد الحميد ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الرشيد، الجزائر، ط 1، 1430هـ-2009م.
5. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمود بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ - 1991م.
6. ابن تيمية أحمد، مجموع الفتاوى، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط3، 1426هـ - 2005م.
7. ابن تيمية تقي الدين، النبوات، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1420هـ- 2000م.
8. ابن حبان محمد، صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، تحقيق محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433هـ -2012م.
9. ابن حزم علي بن أحمد، معجم فقه ابن حزم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1385هـ -2966م.
10. ابن حنبل أحمد، المسند، تحقيق الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ - 2001م.
11. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوي الشأن الأكبر (المقدمة)، دار الفكر، بيروت، ط1، 2016م.
12. ابن رشد محمد، فلسفة القاضي ابن رشد، مطبعة اجمالية، مصر، ط2، 1328هـ.

13. ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984.

14. ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399هـ -1979م.

15. ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، د ت.

16. ابن قيم الجوزية، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1428هـ.

17. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1998م.

18. ابن ماجة محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 1430هـ -2009م.

19. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، د ت.

20. ابن نبي مالك، فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، دار الفكر، دمشق، ط3، 1422هـ - 2001م.

21. ابن نبي مالك، من أجل التغيير، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط4، 2005م.

22. ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية لابن هاشم، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مر، ط2، 1375هـ - 1995م.

23. أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1982م.

24. أبو سليمان عبد الحميد أحمد، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 2009م.

25. أبو نواس، ديوان ابي نواس، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1418هـ-1998م.

26. أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، الرياض، ط1، 1415هـ.

27. الأصفهاني الراغب، مفردات غريب القرآن، تحقيق محمد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الخلبي، مصر، ص 1090.

28. الأنصاري فريد، قناديل الصلاة، منشورات التجديد، الدار البيضاء، ط1، 1420هـ -1999م.
29. الأنصاري فريد، مجالس القرآن: مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ، دار السلام، القاهرة، ط1، 1430هـ -2009م.
30. أوزي أحمد، تحليل المضمون ومنهجية البحث، الشركة المغربية للطباعة، المغرب، ط1، 1993م.
31. الباقلاني بكر، إعجاز القرآن، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط1، د ت. أبو
32. البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1414هـ -1993م.
33. البدر عبد المحسن بن حمد العباد، أهمية العناية بالتفسير والحديث والفقه، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، ط1، 1425هـ.
34. برغوث الطيب، قواعد المنهج في الحركة الحضارية، يوسف عليه السلام، دار قانة، باتنة، ط1، 2008م.
35. برغوث الطيب، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2004م.
36. البقاعي ابراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط 1، د ت.
37. البوطي محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983م.
38. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ -2003م.
39. البيهقي أبو بكر، شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1423هـ -2003م.
40. البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
41. الترمذي محمد بن عيسى، الجامع الكبير " سنن الترمذي"، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ -2009م.

42. الثعالبي عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبي زيد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1997م.

43. الثعلبي أحمد أبو اسحاق، الكشف والبيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م.

44. الجبالي حمزة، الإعجاز الغيبي والتاريخي في القرآن والسنة النبوية والكتب السماوية، دار الأسرة، الأردن، ط1، 2016م.

45. الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، الدار الوطنية للنشر، مصر، ط1، 1948م.

46. الجزائري أبو بكر، منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، دار الفكر، بيروت، ط8، 1396هـ - 1976م.

47. الجوالي عبد الله أسود خلف، الخوف والرجاء في القرآن –دراسة تحليلية، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط1، 1424هـ - 2003م.

48. الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1402هـ - 1982م.

49. حداد محمد بشير، الدعوة والإصلاح مناهج وأساليب، دار القلم، دمشق، ط 1، 2012م.

50. الحراحشة سالم حمود، الشباب والأنشطة اللامنهجية، دار الخليج، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2017م.

51. الحسني محمد بن إسماعيل، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ - 2011م.

52. حمد أبو القاسم حاج، منهجية القرآن المعرفية، محمد دار الهادي، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.

53. دراز محمد عبد الله، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، القاهرة، ط1، 2000م.

54. الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على أم البراهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د ت، 255.

55. الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ط1427هـ -2006م.

56. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1420هـ - 1999م.

57. الريسوني أحمد، منهجية الإصلاح الإسلامي، مدخل وتقويم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 2010م.

58. الزحيلي وهبة وآخرون، الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م.

59. الزركشي محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، ط3، 1984م.

60. زروق أحمد، قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.

61. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1430هـ - 2009م.

62. الزنداني عبد المجيد، منهجية الإصلاح في القرآن، دار الإيمان، مصر، ط1، 2004م.

63. الزيات أحمد وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1392هـ.

64. زيدان عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد والأمم في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م.

65. زيدان عبد الكريم، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1998م.

66. السلحان عبد العزيز المحمد، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، ط 12، 1403هـ - 1983م.

67. سلطان صلاح، سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير، دار سلطان للنشر، القاهرة، ط1، 1429-2008م.

68. السوسوة عبد المجيد محمد، فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، دار القلم، دبي، ط1، 1425هـ - 2004م.

69. السويدان طارق، الحضارة الاسلامية القادمة، شركة الإبداع الفكري، بيروت، ط1، 2019م.

70. السيد أحمد، سنن الإصلاح في القرآن الكريم، دار السلام، القاهرة، ط1، 2019م.
71. السيوطي جلال الدين ، الحبائك في أخبار الملائك، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ 1985م.
72. السيوطي جلال الدين أبي عبد الرحمان، لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 2002م.
73. السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط1، 2008م.
74. الشاطبي إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
75. الشافعي، ديوان دار المعرفة، بيروت، ط3، 2005م.
76. الشرقاوي محمد عبد الله، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم مفهومه، منهجه وضوابطه، دار السلام، القاهرة، ط1، 2015م.
77. شلتوت محمد، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، ط18، 1421هـ -2001م.
78. الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001م.
79. الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفكر، بيروت، ط1، 1999م.
80. الصالح محمد أديب، التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1423هـ- 2002م.
81. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية، ط1، 1996م.
82. الطنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت.
83. الطيار مساعد بن سليمان بن ناصر، تفسير جزء عم، دار ابن الجوزي، ط8، 1430هـ.
84. الطيار مساعد بن سليمان، المحرر في علوم القرآن، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط2، 1429هـ-2008م.

85. الطيبي الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن، ط1، 1434هـ - 2013م.

86. العاني نزار، الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب بيروت، ط2، 1426هـ – 2005م.

87. عبد الحميد محمود، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، د ت.

88. عبد الرحمان أبو محمد، الراسخون في ذاكرة الأيام، دار المواهب، الجزائر، ط1، 2011م.

89. عبده محمد، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1972م.

90. العقاد عباس محمود، الإنسان في القرآن الكريم، الدار الإسلام، القاهرة، ط1، د.ت.

91. العلواني طه جابر، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، دار الشروق، مصر، ط1، 2005م.

92. العلواني طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي، دار الهادي، بيروت، ط1431هـ - 2001م.

93. العلواني طه جابر، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1427هـ - 2006م.

94. العلواني طه جابر، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الهادي، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.

95. العلواني طه جابر، حاكمية القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط1، 1996م.

96. عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ -2008م.

97. عوده محمد وفقيري ناهد شعيب، الدليل التشخيصي للاضطرابات النمائية العصبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 2016م.

98. عوض عبد المجيد ، منهج القرآن الكريم في الإصلاح العقدي والاجتماعي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003م.

99. الغزالي أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ -1993م.

100. غلوش أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1432هـ - 2002م، ص 93 وما بعدها.

101. الفاروقي إسماعيل راجي، التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط1، 2014م، ص 37.

102. الفاروقي إسماعيل راجي، جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2021م.

103. الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1998م.

104. القاسمي محمد جمال الدين ، دلائل التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، د ت.

105. القرضاوي يوسف، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية: مع نظرات تحليلية في اجتهادات العصر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1994م.

106. القرضاوي يوسف، بينات الحل الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2006.

107. القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1437هـ-2006م.

108. القسطلاني أحمد بن محمد أبو العباس، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط 7، 1323هـ.

109. القشيري أبو القاسم عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة الشعب، القاهرة، 1989،

110. القطان مناع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ - 2000م.

111. قطب سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 34، 1425هـ - 2004م.

112. قطب سيد، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 16، 1427هـ - 2006م.

113. قيلي حسن سليمان حسن، السنن التاريخية في القرآن الكريم، قسم الفلسفة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ، 2008م.

114. الكفوي البقاء أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م. أبو

115. الكلبي محمد بن أحمد بن جزي ، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت.

116. كهوس رشيد، علم السنن الإلهية: من الوعي النظري إلى التأسيس العملي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1ط، 1436هـ-2015م.

117. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الموسوعة الإسلامية العامّة، القاهرة، ط 1، 2003م.

118. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 2014م.

119. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، الجزائر، ط1، د.ت.

120. مراد يحي، عالم الغيب بين الوحي والعقل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د ت.

121. مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط2، 1416هـ - 1996م.

122. مصطفى جابر العلواني، عالمية الخطاب القرآني: دراسة تحليلية في السور المسبحات الخمس، رسالة ماجستير، جامعة الجزيرة، 1425هـ -2004م.

123. معبد محمد أحمد محمد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام، القاهرة، ط2، 1426هـ.

124. ملكاوي فتحي حسن، منظومة القيم العليا، التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط 1، 1434هـ - 2013م.

125. المودودي الأعلى، الإسلام والمدينة الحديثة، مطبعة القاهرة، ط1، 1978م. أبو

126. مؤسسة رواد الترجمة، موسوعة المصطلحات الإسلامية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1441هـ.

127. الميداني الرحمان حسن حبنكة، فقه الدعوة إلى الله، عبد دار القلم، دمشق، ط1، 1991م.

128. الميداني عبد الرحمان حسن حبنكة، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ -1991م.

129. النيسابوري أبو الحسن علي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ-1994م.

130. النيسابوري علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، دار الاصلاح، المملكة العربية السعودية، ط2، 1416هـ.

131. النيسابوري مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1 1374هـ -1955م.

132. هيشور محمد، سنن القرآن في قيام وسقوط الحضارات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1996م.

133. الوكيلي محمد ، فقه الأولويات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1، 1416هـ.

134. Larousse. Maury. France.2008

المجلات:

135. مجلة الإحياء، المجلد 21، العدد 28، جانفي 2021م.

136. مجلة الرسالة، العدد 418، 7 يوليو 1941م.

137. مجلة المدونة، السنة الثانية، العدد 5، رمضان 1436هـ، يوليو 2015م.

الأطروحات الجامعية:

138. حسن سليمان حسن قيلي: السنن التاريخية في القرآن الكريم، قسم الفلسفة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ، 2008م.

المواقع الإلكترونية:

139. الموقع الإلكتروني: https: //baheth.ieasybooks.com/

140. الموقع الإلكتروني: https: //mubasher.aljazeera. /

141. الموقع الإلكتروني: https: //www.mobdiicom/

142. الموقع الإلكتروني:: https: //www.alukah.net

143. الموقع الإلكتروني: https: //ar.wikipedia.org/ا_/

144. الموقع الإلكتروني: https: //www.arrabita.ma /

145. الموقع الإلكتروني: www.aljazeera.net

الفهارس

ويضم:

- فهرس المحتويات
- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث

أولا: فهرس المحتويات

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	أ
الفصل الأول: **تعريف منهجيات الإصلاح وطرق استنباطها من خلال القرآن الكريم**	
المبحث الأول: ضبط المصطلحات:"المنهجية"، "الإصلاح"، و"منهجية الإصلاح القرآنية".	2
المطلب الأول: ضبط مصطلح "المنهجية"	2
1- من الناحية المعجمية	2
2- من الناحية الاصطلاحية	5
المطلب الثاني: ضبط مصطلح "الإصلاح"	8
1- من الناحية المعجمية	8
2- من الناحية الاصطلاحية	10
المطلب الثالث: ضبط مصطلح "منهجية الإصلاح القرآنية"	19
تعريف القرآن الكريم	19
1- من الناحية المعجمية	19
2- من الناحية الاصطلاحية	19
المبحث الثاني: أهمية معرفة منهجيات الإصلاح في القرآن والعمل بها وتفعيلها في الواقع	21
تمهيد	21
1- الاهتداء إلى الصراط المستقيم في الإصلاح	21
2-تفعيل مرجعية الوحي	21
3-تحديد المشروع الإصلاحي بطريقة واضحة	23
4-تفادي الأخطاء والانزلاقات المنهجية	23

5-التخطيط الجيد	24
6-تحقيق الشمولية	24
المبحث الثالث: خصائص منهجيات الإصلاح القرآنية	25
تمهيد	25
1- خاصية المصدرية الربانية	25
2- خاصية مركزية العقيدة والإنسان وبناء الداخل الإنساني	26
3- خاصية الشمولية والتوازن	27
4- خاصية الجمع بين مصالح الدنيا والدين (التكامل بين المعاش والمعاد)	30
5- خاصية التنوع والتوحد في التعدد (التنوع ضمن الوحدة)	31
6- خاصية الواقعية والمرحلية	32
7- خاصية الاستمرارية والثبات على المبدأ	33
المبحث الرابع: المحددات المنهجية لفهم الإصلاح في القرآن الكريم	35
تمهيد	35
المبحث الخامس: مفاتيح استنباط منهجيات الاصلاح من القرآن الكريم	38
تمهيد	38
المطلب الأول: المفاتيح المتعلقة بالنص القرآني	38
المطلب الثاني: المفاتيح المتعلقة بالمستنبط لمنهجيات الإصلاح في القرآن الكريم	43
نتائج الفصل الأول	48
الفصل الثاني: **سورة غافر: تعريفها، مقاصدها، وأبعادها الإصلاحية**	
المبحث الأول: اسم السورة وترتيبها ونوعها وموضوعها	52
المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها	52

الفرع الأول: تسميتها	52
الفرع الثاني: ترتيبها	53
المطلب الثاني: نوعها	54
المطلب الثالث: موضوعها	54
المبحث الثاني: فضل السورة وأسباب نزولها	56
المطلب الأول: فضل السورة	56
المطلب الثاني: أسباب نزولها	58
المبحث الثالث: مناسبات السورة وأغراضها	59
المطلب الأول: مناسبات السورة	59
المطلب الثاني: أغراضها	60
المبحث الرابع: الأبعاد الإصلاحية في سورة غافر	61
المطلب الأول: الأثر الإصلاحي المباشر للسورة الكريمة	61
المطلب الثاني: وجوه الاصلاح العقدي والأخلاقي والفكري في سورة غافر	62
المبحث الخامس: صفات المصلحين ومنهجيات المفسدين في سورة غافر	67
المطلب الأول: صفات المصلحين من خلال السورة	67
المطلب الثاني: مصادر الفساد ومنهجيات التصدي للحق من قبل المفسدين من خلال السورة	70
المطلب الثالث: منهجية مواجهة التحديات من خلال السورة	75
نتائج الفصل الثاني	77
الفصل الثالث: **منهجيات الإصلاح الذاتي التربوي**	
المبحث الأول: منهجية حاكمية الكتاب	84

المطلب الأول: ضبط مفهوم الحاكمية	84
المطلب الثاني: أهمية العمل بهذه المنهجية	86
المطلب الثالث: عناصر حاكمية القرآن الكريم الواردة في السورة	89
المطلب الرابع: منهجية أعداء الدين في صد الإنسان عن هذا الكتاب المبين	92
المبحث الثاني: منهجية التخلية قبل التحلية	95
المطلب الأول: ضبط مصطلحي "التخلية " و"التحلية"	95
المطلب الثاني: أهمية العمل بمنهجية التخلية قبل التحلية	96
المطلب الثالث: لماذا التخلية قبل التحلية؟	98
المطلب الرابع: منهجية التخلية قبل التحلية من خلال السورة	99
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	101
المبحث الثالث: منهجية الجمع بين الرجاء والخوف مع الإيمان	102
المطلب الأول: ضبط مصطلحي الخوف والرجاء	102
المطلب الثاني: أهمية العمل بهذه المنهجية	103
المطلب الثالث: الآيات التي تبث الرجاء في قلب القارئ في السورة	106
المطلب الرابع: الآيات التي تبث الرعب والخوف والزجر في قلب الإنسان القارئ لهذه الآيات	107
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	108
المبحث الرابع: منهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج	109
المطلب الأول: ضبط المصطلحات	109
المطلب الثاني: أهمية العمل بمنهجية ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج	110
المطلب الثالث: ربط الأسباب بالمسببات التي ينتج عنها النجاح والفلاح من خلال سورة غافر	112
المطلب الرابع: ربط الأسباب بالمسببات التي ينتج عنها الخسران المبين	116

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	121
المبحث الخامس: منهجية الجمع بين القراءات	123
المطلب الأول: ضبط مصطلح القراءة	123
المطلب الثاني: أنواع القراءات الواردة في السورة	124
المطلب الثالث: منهجية الجمع بين القراءات في القرآن الكريم	125
المطلب الرابع: منهجية الجمع بين القراءات من خلال السورة	129
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	131
نتائج الفصل الثالث	133
الفصل الرابع: **منهجيات الإصلاح الدعوي الرسالي**	
تمهيد	136
المبحث الأول: المنهجية المتعلقة بالخطاب الإصلاحي	138
المطلب الأول: تعريف الخطاب الإصلاحي	138
المطلب الثاني: أهمية الخطاب في الإصلاح	139
المطلب الثالث: شروط الخطيب من خلال السورة	140
المطلب الرابع: منهجية الخطاب الإصلاحي من خلال سورة غافر	142
أولا: الخصائص	142
ثانيا: الفرق بين خطاب مؤمن آل فرعون (الخطاب الإصلاحي الرشيد) وخطاب فرعون (الخطاب الاستبدادي المفسد)	147
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	147
المبحث الثاني: منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة	149
المطلب الأول: ضبط المصطلحات	149

أولا: تعريف المبادرة الشخصية	149
ثانيا: تعريف المواجهة	151
المطلب الثاني: أهمية منهجية المبادرة الشخصية في الإصلاح	152
المطلب الثالث: أهمية منهجية المواجهة في عملية الإصلاح	153
المطلب الرابع: منهجية المبادرة الشخصية والمواجهة من خلال سورة غافر	154
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	155
المبحث الثالث: منهجية التشخيص قبل المعالجة ثم التفويض	156
المطلب الأول: ضبط المصطلحات	156
المطلب الثاني: قواعد وأسس التشخيص السليم من أجل معالجة جيدة	158
المطلب الثالث: شروط التفويض	159
المطلب الرابع: منهجية التشخيص قبل المعالجة ثم التفويض من خلال السورة	159
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	161
المبحث الرابع: منهجية ترتيب الأولويات	162
المطلب الأول: تعريف الأولويات	162
المطلب الثاني: أهمية منهجية ترتيب الأولويات في القرآن الكريم	163
المطلب الثالث: ضرورة العمل بمنهجية الأولويات في الإصلاح	164
المطلب الرابع: منهجية ترتيب الأولويات من خلال السورة	165
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	168
المبحث الخامس: منهجية ولكم في القصص عبرة	169
المطلب الأول: ضبط المصطلحات	169
أولا: تعريف القصص	169
ثانيا: العبرة	170

المطلب الثاني: أهمية منهجية الاعتبار بالقصص في الإصلاح	171
المطلب الثالث: أقسام القصص في الإصلاح	172
المطلب الرابع: منهجية ولكم في القصص عبرة من خلال السورة الكريمة	173
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	175
نتائج الفصل الرابع	176
الفصل الخامس: **منهجيات الإصلاح الرباني**	
المبحث الأول: منهجية ربط كل غيب بمشهد	180
المطلب الأول: ضبط المصطلحات	180
أولا: تعريف الغيب	180
ثانيا: تعريف المشهد	181
المطلب الثاني: أهمية منهجية الربط بين الغيب والمشهد في الإصلاح	181
المطلب الثالث: منهجية الربط بين الغيب والشهادة في أركان الإيمان من خلال السورة	183
أولا: الإيمان بالله تعالى	183
ثانيا: الإيمان بالملائكة	185
المطلب الرابع: منهجية الربط بين الغيب والشهادة في مصير الأمم السابقة من خلال السورة	188
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	189
المبحث الثاني: منهجية المعجزة	191
المطلب الأول: تعريف المعجزة	191
المطلب الثاني: علاقة المعجزة بالإصلاح	192
المطلب الثالث: وجوه الاعجاز الواردة في السورة	193
المطلب الرابع: منهجية الاعجاز البياني الذي تحدى الله به العرب من خلال السورة	194

المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	197
المبحث الثالث:منهجية الإمهال قبل الأخذ	198
المطلب الأول: تعريف مصطلحي الإمهال والأخذ	198
المطلب الثاني: الحكمة من هذه المنهجية	199
المطلب الثالث: منهجية الإمهال قبل الأخذ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم	201
المطلب الرابع: منهجية الإمهال قبل الأخذ عند الأمم السابقة من خلال السورة	202
أولا: قوم نوح عليه السلام	202
ثانيا: قوم هود عليه السلام	204
ثالثا: قوم صالح عليه السلام	205
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	207
المبحث الرابع: منهجية لكل فرعون موسى ولكل موسى رب يحميه	208
المطلب الأول: ما المقصود بعبارة لكل فرعون موسى؟	208
المطلب الثاني: الحكمة من هذه المنهجية	209
المطلب الثالث: المصلحون الذين واجهوا الطواغيت من الأنبياء في السورة	210
المطلب الرابع: المصلحون الذين واجهوا الطواغيت من غير الأنبياء في السورة	210
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	211
المبحث الخامس: منهجية السنن	213
المطلب الأول: تعريف السنن الإلهية	213
المطلب الثاني: دور السنن الإلهية في الإصلاح من خلال السورة	214
المطلب الثالث: أقسام السنن الواردة في سورة غافر	217
المطلب الرابع: السنن المتعلقة بالمؤمنين والكافرين من خلال السورة الكريمة	220
المطلب الخامس: من فوائد هذه المنهجية	225

أهم نتائج الفصل الخامس	227
الخاتمة	229
الفهارس	
أولا: فهرس الآيات القرآنية	236
ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية	149
ثالثا: قائمة المصادر والمراجع	250
فهرس الموضوعات	261
الملخصات	

ثانيا: فهرس الآيات الكريمة

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	6	21
سورة البقرة		
﴿الم. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ...﴾	5-1	86
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	11	10
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ 23 ...﴾	24-23	191
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	29	124
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ..﴾	30	81
﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	160	10
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ ...﴾	164	128
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	208	28
﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾	220	10
﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	224	10
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ... ﴾	228	10
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾	286	32
سورة آل عمران		
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ ...﴾	103 105	140
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ...﴾	103	147

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ...﴾	14	83
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...﴾	159	43 ،5
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	185	101
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) ... ﴾	190 191	129
﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ 196مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾	196- 197	202
سورة النساء		
﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾	16	11
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾	35	11
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾	54	83
﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾	58	84
﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	114	11
﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾	128	61
﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ...﴾	128	11
﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	129	11
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	146	11
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا	165	179

حَكِيمًا﴾		
سورة المائدة		
﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	1	84
﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	28	102
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	48	4، 5
﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ...﴾	107	162
سورة الأنعام		
﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	48	11
﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	54	11
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	74	31
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. ...﴾	76-79	32
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ...﴾	153	5
﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	161	25
سورة الأعراف		
﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	35	11
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	56	11
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	74	206
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ	85	11

مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾		
﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	142	12
﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾	170	12
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	179	190
سورة الأنفال		
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	01	12
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	28	82
سورة التوبة		
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾	33	87
﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾	108	
سورة يونس		
﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	81	12
سورة هود		
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	15-14	194
﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾	27	202
﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	32	203

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	36	203
﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾	37	203
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	40	202
﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾	52	204
﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	53	204
﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾	57	204
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾	61	205
﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (	64	206
﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	88	12
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾	117	12، 209
سورة يوسف		
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾	3	169
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	40	25
﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾	55	32
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	111	169، 171
سورة الرعد		
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو	6	103

مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾		
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾	11	112 ،26
﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾	23	12
سورة إبراهيم		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾	24	147
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾	24	
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾	28	26
﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾	34	82
سورة الحجر		
﴿﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ 49 وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾	49	103
سورة النحل		
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾	89	86
﴿﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	90	29
" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى، وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"	90	72
﴿.. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	118	210
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	119	12
سورة الإسراء		
﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾	9	56

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾	57	103
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾	67	82
﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾	70	70، 81، 161، 179
﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	88	191
﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾	100	83
سورة الكهف		
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾	54	82
سورة طه		
﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ. قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ. قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾	(46-43	209
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	44	43 ،33
﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾	55	132
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾	124	127
سورة الأنبياء		
﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾	(37	82
﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾	69	111
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾	90	13
سورة الحج		
﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم	41-40	223

بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾		
سورة النور		
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	5	13
﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ﴾	37	
سورة الفرقان		
﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾	30	22
﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾	36	33
سورة الشعراء		
﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾	43 46	124، 129
﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾	146 148	206
﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾	152	13
﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾	153	
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	214	62
سورة النمل		
﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾	48	13، 205
﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾	49	206
﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	52	206
سورة القصص		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ	4	40

وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾		
﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾	19	13
﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾	32	191
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	56	201
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾	77	30
سورة العنكبوت		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾	14	34
(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ..)	20	115
﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾	38	205
﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	40	198
سورة الروم		
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ..﴾	41	ب
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	47	209
﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾	48	111
سورة لقمان		
﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾	24	202
سورة السجدة		

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	16	103
سورة الأحزاب		
﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	33	96
﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	71	13
سورة فاطر		
﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	28	193
سورة الصافات		
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	96	127
سورة ص		
﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	29	56
سورة الزمر		
﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	9	104
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾	23	193
سورة غافر		
ذكرت في معظم صفحات الرسالة		
سورة فصلت		
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾	26	92
﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	46	179
﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾	49	82

سورة الشورى		
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾	13	202
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾	40	13
سورة الأحقاف		
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ ...﴾	15	13
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾	35	34
سورة محمد		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾	02	14
﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾	05	15 ،14
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	24	
سورة الحجرات		
﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	09	14
﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾	9	61
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	10	14
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا.. ﴾	14	2
سورة الطور		
﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ. أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾	35-33	194
سورة القمر		

﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾	25	206
﴿وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ، كذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	42-41	209
سورة الرحمان		
﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	4-1	82
سورة الصف		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	3-2	142
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	8	93 ،87
سورة الجمعة		
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	5	87
سورة الملك		
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	14	81
﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	22	23
سورة الحاقة		
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾	8-6	204
سورة المعارج		
﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾	22-19	82
سورة نوح		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾	5	34
سورة الجن		
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾	2-1	20

سورة المدثر		
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمهِيد. ...﴾	26-11	73
سورة القيامة		
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾	21-20	82
سورة النازعات		
﴿ٱذهَب إِلَىٰ فِرعَونَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ .فَقُل هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ .وَأَهدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخشَىٰ . فَأَرَىٰهُ ٱلأَيَةَ ٱلكُبرَىٰ .فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ .ثُمَّ أَدبَرَ يَسعَىٰ .فَحَشَرَ فَنَادَىٰ .فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلأَعلَىٰ .فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلأَخِرَةِ وَٱلأُولَىٰٓ﴾	25-17	208
﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ والأولى﴾	25	33
سورة عبس		
﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾	17	82
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	4	82
سورة العلق		
﴿ٱقرَأ بِٱسمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ مِن عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	5-1	125
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	5	82
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾	7-6	82
سورة العاديات		
﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	6	82
سورة قريش		
﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾	4	102
سورة الفلق		
﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾	5	83

ثالثا: فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
اذهبوا بنا نصلح بينهم	16
اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه"	56
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام: قالوا بلى. قال: إصلاح ذات البين.....	16
ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر	167
إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"	100
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	64
الحواميم ديباج القرآن	57
الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع: جهنم، والحطمة، ولظى، والسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم، فتجيء كل حاء ميم منهن يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فيقول: لا يدخل الباب من كان يؤمن بي ويقرأني	57
قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ..	6
كلُّ بني آدم خَطَّاءٌ، وخيرُ الخَطَّائِينَ التوابون	83
كلُّ سُلامى من النّاس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ...	16
ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا	16
من أراد أن يرتع في رياض مونقة من الجنّة، فليقرأ الحواميم"	57
من دل على خير فله مثل أجر فاعله	152
وأتبع أصحاب القليب لعنة	202
ومن قرأ سورة حم المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا مؤمن إلا صلوا عليه واستغفروا له"	57

الملخصات

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ: **"منهجيات الإصلاح من خلال سورة غافر –دراسة تحليلية–** " إلى الكشف عن ملامح الإصلاح في القرآن الكريم من خلال التحليل الموضوعي لسورة غافر، واستنباط القواعد المنهجية التي تؤطر حركة الإصلاح في بعدها الذاتي والدعوي والرباني.

وقد تمحورت الدراسة حول السؤال المركزي الآتي: **ما هي منهجيات الإصلاح الواردة في سورة غافر؟**

اعتمدت الدراسة على **المنهج الاستنباطي التحليلي** في قراءة السورة، من خلال تتبع الآيات ذات الطابع الإصلاحي، وتحليل بنائها الموضوعي ودلالتها العقدية والاجتماعية والنفسية، كما استندت إلى المنهج التوثيقي بالرجوع إلى كتب التفاسير القديمة والمعاصرة؛ بغرض بلورة رؤية منهجية متكاملة في الإصلاح تقوم على أسس قرآنية خالصة.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الإصلاح في القرآن الكريم ليس حركة بشرية عشوائية، بل نظام رباني شامل يحكمه قانون السنن الإلهية، ويبنى على تزكية النفس، وهداية العقل، وإقامة العدل، كما أبرزت أن سورة غافر تعد نموذجا تطبيقيا للمنهج الإصلاحي القرآني في تدرجه من الفرد إلى المجتمع ثم إلى الكون بأسره.

الكلمات المفتاحية:

المنهجية -الإصلاح- سورة غافر- منهجيات الإصلاح

Résumé

Cette étude intitulée *« Les méthodologies de la réforme à travers la sourate Ghafir – étude analytique »* vise à analyser les fondements coraniques de la réforme à partir d'une lecture thématique de la sourate Ghafir. Elle cherche à identifier les principes méthodologiques qui régissent le mouvement réformateur dans ses dimensions spirituelle, missionnaire et divine.

En adoptant une approche déductive et analytique, fondée sur l'étude des versets à portée réformatrice et sur les principales sources exégétiques anciennes et contemporaines, la recherche met en évidence une vision intégrée de la réforme fondée sur les valeurs du Coran.

Les résultats révèlent que la réforme, selon le Coran, est un système divin global reposant sur la purification de l'âme, la raison éclairée et la justice, et que la sourate *Ghafir* constitue un modèle pratique illustrant le cheminement réformateur du niveau individuel au niveau universel.

Mots clés

Méthodologie – réforme – sourate Ghafir – méthodologies de la réforme

abstract

This study, entitled *"Methodologies of Reform through Surah Ghafir – An Analytical Study,"* aims to analyze the Qur'anic foundations of reform through a thematic reading of Surah Ghafir. It seeks to identify the methodological principles that govern the reform movement in its spiritual, missionary, and divine dimensions.

Adopting a deductive and analytical approach based on the examination of reform-oriented verses and the main classical and contemporary exegetical sources, the research highlights an integrated Qur'anic vision of reform.

The findings reveal that reform in the Qur'an is not a random human endeavor but a comprehensive divine system governed by the law of divine traditions, grounded in the purification of the soul, enlightened reason, and the establishment of justice. Moreover, Surah *Ghafir* serves as a practical model illustrating the progressive path of reform from the individual to society and ultimately to the universe.

Key Words

Methodology – Reform – Surah Ghafir – Methodologies of Reform

Democratic Popular Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Amir Abd-el-Kader University of Islamic Sciences
Constantine

Faculty of Usūl al-Dīn

Department Of Da'wa and Information and Communication

Methodologies of Reform through Surah Ghafir
- An Analytical Study-

Thesis introduction to get Doctorate The third phase of the LM.D in Islamic
Specialty : Islamic Advocacy and Culture

Elaborated by the student
Khadija Tabti

Supervised by:
Dr. Wahida Boufedah Badissi

The discussion jury members

Name and First Name	Function	Scientific Rang	Original University
	President		
Dr. Wahida Boufedah Badissi	Supervisor and Reporter	Professor	Amir Abd-el-Kader University of Islamic Sciences
	Member		
	Member		
	Member		
	Member		

University year: 1447 -1448h / 2025-2026